

قَصِيدَةُ الشَّرِّ

فِي مَشْهَدِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ

شَرِيف رَزَق

الفهرس

تمهيد

فضاء آخر لشعرية أخرى

الفصل الأول

إشكاليات النوع الشعري في قصيدة النثر

الفصل الثاني

شعرية قصيدة النثر

الفصل الثالث

مشكلات قصيدة النثر الراهنة

خاتمة

معالم أخرى، في المشهد المفتوح

مُعْجَمُ شُعْرَاءِ الْبَحْثِ

أَعْمَالُ الْكَاتِبِ

"مَا مِنْ شَيْءٍ أَصْعَبُ هَذِهِ الْأَيَّامِ،
مِنْ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ، شَاعِرَ قَصِيدَةٍ تَرُّ"

أندريه بريتون (1896- 1966)

تمهيد

فَضَاءٌ آخَرٌ ، لِشِعْرِيَّةٍ أُخْرَى

كثيراً ما يُواجهنا الاستفهام التعجبي حول مناط الشعريّة في قصيدة النثر، ومن الجليّ أنّه ليس الإيقاع العروضي ؛ فهذا الأخير الذي وُجد في قصائد ، منذ الشعر الجاهليّ - لم يُوجد في قصائد أخرى ، منذئذٍ ، ومنها - على سبيل المثال - قصيدة عبيد بن الأبرص : " أفقر من أهله ملخوب " ؛ التي تُعدّ من المعلقات العشر ، رغم خروجها على سنن الأوزان العروضيّة المعروفة ، وقصيدة الأسود بن يَغْفَر ، وقصيدة سلمى بن ربيعة ، وأبيات لغروة بن الورد ، وقصيدة لأمية أبي الصلت⁽¹⁾ ، وفي عصر الخليل بن أحمد (100 - 170 هـ) عُرفت قصائد خالفت نظم العروض وأعرافه ، ومنها قصائد لأبي العتاهية - الذي ذكر أنّه أكبر من العروض⁽²⁾ ، وأنّه لو شاء أن يكون حديثه كلّ شعراً مؤزّناً لكان⁽³⁾ ، ولأبي نواس ، وسلم الخاسر ، ورزين بن زندور ؛ الذي عرّف برزين العروضي لكثرة خروجه على العروض⁽⁴⁾ ، وبعد عصر الخليل وُجدت قصائد عديدة لشعراء كبار ، خرجت على العروض ، ولم يخرجوها من حيز الشعر ، ومنها قصائد لأبي الطيّب المُنْتَبِي⁽⁵⁾ (303 - 354 هـ) .

وقد دلّل عبد القاهر الجرجاني (471 - هـ) على أنّ الأوزان ليست مناط الشعريّة بقوله : " الوزن ليس هو من الفصاحة والبلاغة في شيء ؛ إذ لو كان له مدخل فيهما لكان يجب في كلّ قصيدتين اتّفقتا في الوزن أن تتّفقا في الفصاحة والبلاغة " ⁽⁶⁾ فالشعر ليس مُحَصَّلَة جَمْع النثر + الوزن ، كما أنّ النثر ليس مُحَصَّلَة طَرَح الوزن من الشعر .

كما أنّ العاطفة ليست - وحدها - المسئولة عن تشكيل الشعر ؛ فهي - أيضاً - تُوجد في الشعر كما تُوجد في النثر الفنيّ والشعريّ على السواء ، كما تُوجد في فنون أخرى غير أدبيّة .

وليست التشكيلات اللغويّة المدهشة هي المسئولة عن تشكيل الشعر ؛ فهي - أيضاً - تُوجد في الشعر ، كما تُوجد في النثر . وهو ما يُمكن أن يُقال - أيضاً - عن التصوير والتخييل ؛ فالتخييل لم يُعدّ قاصراً على الشعر ؛ حيث أصبح السمة المميّزة لكلّ نتاج أدبيّ ، بل وفنيّ عامة ؛ فوّقت أن هيمن الخيال الجزئيّ في الشعر نجده مُهيمنًا في النثر كذلك ؛ فما حدث في شعر بشار بن بُرد ومُسلم بن الوليد وأبي تمام وعبد الله بن المعتز في شعر العصر العبّاسيّ حدث ، كذلك ، في رسائل أبي بكر الخوارزميّ والهمذانيّ والصاحب بن عبّاد وأبي إسحاق الصّابيّ - خصوصاً في كتابه : التاجي - ولهذا قرن ابن خلدون (- 808 هـ) بين الشعر والنثر الفنيّ ، ورأى أساسهما واحداً ؛ حيث استعمل العرب " أساليب الشعر وموازينته في المنشور ، من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين الأغراض ، وصار

هَذَا الْمَنْشُورُ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَقَنَهُ ، وَلَمْ يَفْتَرِقْ إِلَّا فِي الْوِزْنِ ... وَهَذَا الْفَرْقُ الْمَنْشُورُ الْمُقْفَى أَدْخَلَ الْمُتَأَخَّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ⁽⁷⁾ ، وَأَبْنُ خَلْدُونَ ، كَمَا يَتَضَحُّ ، يُبَيِّنُ أَنَّ قِيَمَ الشَّعْرِيَّةِ وَاحِدَةٌ ، فِي الْمَوْزُونِ وَالْمَنْشُورِ عَلَى السَّوَاءِ ، وَيَرَى ، فِي الْوِزْنِ ، عُصْرًا تَمَيِّزًا بَيْنَهُمَا

ومشكلة التعريفات الشكلية كلها أنها جعلت الشعر كائنًا منحوتًا ركزت على أبعاده الظاهرية وتجاهلت الروح المتدفقة في أعماقه سواء كان هذا الشعر موزونًا أو منشورًا ، وقد لاحظ محمد الخضر حسين (1875 - 1958) أن القائل بهذا التعريف الشكلي كـ " مثل من يشرح لك الإنسان بأنه حيوانٌ بادي البشرة ، مُنْتَصِبُ الْقَامَةِ "⁽⁸⁾ ' وقد رأت جوليا كريستفا (1941 -) في " اللغة الشعرية قوى مشحونة بالانفعالات "⁽⁹⁾ ، والواقع أن هذه اللغة لا تكتسب قيمتها إلا بهذا الشحن ، وتحويل هذه اللغة الصامتة إلى كيان نابض ؛ فـ " الظاهرة النصية في حد ذاتها لا تعني مجموع أشكال مفرغة من كل روح توصف في علاقات تقابلية ووحدات تركيبية ، ووظائف لغوية " ⁽¹⁰⁾ ، وهذا الشحن هو الذي يجعلنا نستشعر تيارًا في الشعر لا يوجد في النظم ، يشبه الأرواح في الأبدان ، وهذا التيار هو المسئول عن إضاءة النص الشعري ، ولئن ثار سؤال عن حد هذا التيار ، والدليل على وجوده ، فإن الإجابة ستكون في رد ابن عربي (- 638 هـ) المتسائل : " وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى حَلَاوَةِ الْعَسَلِ ؟ ، فَلابُدَّ أَنْ يَقُولَ لَكَ : هَذَا عِلْمٌ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالذَّوْقِ ، فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَدٍّ ، وَلَا يَقُومُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ، فُقُلْ لَهُ : هَذَا مِثْلُ ذَلِكَ . "⁽¹¹⁾

ولقد استطاعت المحددات - التي استنبطها النقاد من حركة الشعر ، منذ القدم - أن تحدد معالم النوع الشعري العربية الواضحة ، ولكنها ظلت تمثل مشكلة ؛ حيث اعتبرت شروطاً لتحقيق الشعرية ، ورغم هذا فهي لم تستطع أن توضح لنا : لماذا يعلو نص على نص آخر ، رغم اشتراكهما في الوزن أو الموضوع أو الملامح التشكيلية العامة ، ولم تكشف لنا عن حقيقة الشعر الخالصة وجوهه وروحه السارية ونبضه الحي .

وقد ظلت هذه المحددات الشكلية تكتسب استقرارًا تاريخيًا ، للحد الذي جعل الخروج عليها يعد - في نظر الكثيرين - فقدًا لعناصر الشعرية ولأشراطها الأساسية ، والواقع أن أيًا من هذه المحددات لا يعين الشعر تحديدًا ؛ فالقول بأنه " الكلام الموزون المقفى " ⁽¹²⁾ يدخل فيه الشعر والنظم على السواء ، والقول بأنه " يدل على معنى " ⁽¹³⁾ ، يستوي فيه الشعر والنثر ، حتى غير الأدبي ، والقول بضرورة " القصيدة " ⁽¹⁴⁾ ، و " النية " ⁽¹⁵⁾ ، لا يكفي لتحقيق (الشعر)ية

، بل رُئِمَا قَوَّضَتْهَا هذه القَصْدِيَّةُ تَحْدِيدًا ، والقولُ بأنَّه " جِنْسٌ مِنَ التَّصْوِيرِ " ⁽¹⁶⁾ لا يَقلُّ مُرَاوَعَةً وَتَبَسُّيْطًا .

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الشَّعْرُ ، بهذه الظَّوَاهِرِ الشَّكْلِيَّةِ ، يعكسُ قِصُورًا بِحَقِيقَةِ الشَّعْرِ الْخَالِصَةِ ، فَجَوْهَرُ الشَّعْرِ الْحَقِيقِيِّ لَا يُمَكِّنُ إِخْطَاؤَهُ ، وقد يكونُ مُحَمَّدٌ بن وَهْب ، الْوَحِيدَ ، مِمَّنْ تَنَاولُوا مَفْهُومَ الشَّعْرِ ، الَّذِي تَنَبَّهَ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ ، حِينَ قَالَ : " الشَّاعِرُ مِنْ شَعَرٍ يَشْعُرُ فَهُوَ شَاعِرٌ وَالْمَصْدَرُ : الشَّعْرُ وَلَا يَسْتَحِقُّ الشَّاعِرُ هَذَا الْاسْمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِمَا لَا يَشْعُرُ بِهِ غَيْرُهُ ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ خَارِجًا عَنْ هَذَا الْوَصْفِ فَلَيْسَ بِشَاعِرٍ ؛ وَإِنْ أَتَى بِكَلَامٍ مُوزُونٍ " ⁽¹⁷⁾ مِنْ هَذَا يَتَضَحُّ أَنَّ اقْتِرَانَ هَذِهِ الْمُحَدَّدَاتِ بِهَوِيَّةِ الشَّعْرِ خَطَأٌ تَارِيخِيٌّ ، وَبِخَاصَّةٍ أَنَّهَا اسْتَمَدَّتْ مِنْ نَوْعٍ شِعْرِيٍّ مَا ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ الشَّعْرُ عِنْدَ هَيْئَةٍ ، وَلَا اسْتَمَرَّ عَلَى شَكْلِ ، وَمَعَ هَذَا ظَلَّ ، دَائِمًا ، شِعْرًا ، وَحِينَ جَاءَتْ قَصِيدَةُ النَّثْرِ اسْتَمَدَّتْ - فِي تَحْقِيقِ شِعْرِيَّتِهَا الْحُرَّةِ الْآخَرَى - عَلَى هَذَا الْجَوْهَرِ الْكَامِنِ ، وَخَالَفَتْ شَتَّى الْمُحَدَّدَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الرَّاسِخَةِ ، فَكَانَتْ الشَّاعِرِيَّةُ طَرِيقًا إِلَى الشَّعْرِيَّةِ ، وَبِتَوَالِي النَّمَاذِجِ الْخَلَاقَةِ لِقَصِيدَةِ النَّثْرِ تَأَكَّدَ حُضُورُهَا الْفَعَالُ ، فِي الْمَشْهَدِ الشَّعْرِيِّ الْعَرَبِيِّ بِقُوَّةٍ ، وَوَضَحَتْ مَلَامِحُهَا الشَّعْرِيَّةُ ، الَّتِي تَمَيَّزَتْ ، وَأَكَّدَتْ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهَا الْخَاصَّةِ ، لِلزَّهَانِ عَلَى شِعْرِيَّةٍ أُخْرَى ، جَدِيدَةٍ ، بَعْدَ أَنْ تَخَلَّصَ شَاعِرُهَا مِنْ كُلِّ الْمُحَدَّدَاتِ السَّابِقَةِ عَلَيْهِ ؛ لِيَكُونَ - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ أَنْسِي الْحَاج (1937 -) - مَسْئُولًا وَحْدَهُ ، كُلُّ الْمَسْئُولِيَّةِ عَنْ عَطَائِهِ ⁽¹⁸⁾ .

لَقَدْ فَتَحَتْ قَصِيدَةُ النَّثْرِ فُضَاءً جَدِيدًا لِلشَّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَبِرَغْمِ حَدَاثَةِ عَهْدِهَا إِلَّا أَنَّهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُقَدِّمَ مَشْرُوعًا كَامِلًا ، وَثَرِيًّا ، حَاوَلَ الْكَثِيرُونَ اسْتِجْلَاءَ مَعَالِمِهِ عَبْرَ مَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الدِّرَاسَاتِ وَالْمَقَالَاتِ وَالْمُتَابَعَاتِ وَالشَّهَادَاتِ ، الَّتِي - رَغْمَ وَهْمِ التَّأْسِيسِ - ظَلَّ بَعْضُهَا يَسْتَعِيدُ بَعْضًا ، وَلَمْ تَخْلُصْ تَمَامًا مِنْ تَأْثِيرِ رُؤَى سُوْزَانِ بَرْنَار ، فِي أُطُرِ وَحْتِهَا عَنْ قَصِيدَةِ النَّثْرِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، رَغْمَ أَنَّ الْأَدَاءَ الشَّعْرِيَّ ظَلَّ يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الرُّؤَى ، وَيُوسِّعُ - بِأَلْيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ - فُضَاءَهُ الْجَدِيدَ .

وَالْوَاقِعُ أَنَّ قَصِيدَةَ النَّثْرِ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ شَهِدَتْ ، مِنْذُ انْبَثَقَتْ تَجَلِّيَاتُهَا الْإِبْدَاعِيَّةُ وَالنَّظَرِيَّةُ - تَحْتَ هَذَا الْمُصْطَلَحِ - فِي فُضَاءٍ مَجَلَّةٍ : (شِعْرٍ) الْبَنَائِيَّةِ فِي عَامِ 1960 - تَحَوُّلَاتٍ فَارِقَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ النَّظَرَ الْعَامَّةَ إِلَى مَشْهَدِهَا الْأَسَاسِيِّ ، تَكْشِفُ عَنْ هَيْمَنَةِ تَيَّارِينَ أَسَاسِيِّينَ ، اسْتَعْلَتْ عَلَيْهِمَا شِعْرِيَّتُهَا وَدَارَتْ شَتَّى التَّجَارِبُ حَوْلَهُمَا ، وَيَتَمَثَّلَانِ فِي : شِعْرِيَّةِ الْحَدَاثَةِ ؛ الَّتِي بَدَأَتْ مِنْذُ الْبَدَايَةِ ؛ مِنْذُ سِتِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى نِهَايَاتِ ثَمَانِينِيَّاتِهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ تَيَّارُ مَا

بَعْدَ الْحَدَاثَةِ مُنْذُ بَدَايَةِ التَّسْعِينِيَّاتِ ، وَمَعَهُ أَصْبَحَتْ شِعْرِيَّةُ قَصِيدَةِ النَّثْرِ هِيَ الشَّعْرِيَّةُ الْمَرْكَزِيَّةُ فِي مَشْهَدِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْجَدِيدِ .

الإحالات والتعليقات

(1) رَاجِعْ : د. عبد الله الغدّامي - الصّوت القديم الجديد - الهيئة المصريّة العامة للكتاب - 1987 - ص ص : 79 - 105 ، الفصل الثّاني ، المُعَنون بـ : تحرُّر الأوزان في الشّعر القديم .

(2) ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِي ، فِي : كِتَابِ الْأَغَانِي ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَالَ : سُئِلَ أَبِي : هَلْ تَعْرِفُ الْعَرُوضَ ؟ ، فَقَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنَ الْعَرُوضِ . رَاجِعْ : كِتَابِ الْأَغَانِي - الْجُزْءُ الرَّابِعُ - مَطْبَعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ - الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ - 1950 - ص : 13 .

(3) سَمِعَهَا وَرَوَاهَا الْجَاحِظُ ، فِي : الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ ، تَحْقِيقُ وَشَرْحُ : عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدَ هَارُونَ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ - لَجْنَةُ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنَّشْرِ - الطَّبْعَةُ الْأُولَى - 1948 - ص : 115 .

(4) رَاجِعْ : الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ ، لِلدُّكْتُور : مُحَمَّدٍ مُصْطَفَى هِدَارَةَ - دَارُ الْمَعَارِفِ - 1978 - ص ص : 350 - 364 .

(5) رَاجِعْ - عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ - : يَتِيمَةُ الدَّهْرِ " فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ " ، لِأَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الشُّعَالِبِيِّ - تَحْقِيقُ وَشَرْحُ : مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ - الْمَكْتَبَةُ التَّجَارِيَّةُ الْكُبْرَى - الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ - 1956 - ص : 173 .

(6) الْإِمَامُ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِي - دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ - صَحَّحَ أَصْلَهُ : الشَّيْخُ : مُحَمَّدُ عَبْدُهُ ، الشَّيْخُ : مُحَمَّدٌ مُحَمَّدُ الْتَرْكَزِيِّ الشَّنْقِيطِيِّ ، عَلَّقَ عَلَيْهِ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا - دَارُ الْمَعْرِفَةِ - الطَّبْعَةُ الْأُولَى - بَيْرُوت - لُبْنَان - 1994 - ص : 302 .

(7) عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خُلْدُونٍ - مُقَدِّمَةُ ابْنِ خُلْدُونٍ - الْجُزْءُ الثَّانِي - دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ - الطَّبْعَةُ الْأُولَى - بَيْرُوت - 1999 - ص : 567 .

(8) مُحَمَّدُ الْخَضِرُ حُسَيْنٌ - الْخِيَالُ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ - مَطْبَعَةُ الرَّحْمَانِيَةِ - الْقَاهِرَةُ - 1922 - ص : 4 .

(9) مصطفى الكيلاني - وجود النص ، نص الوجود - الدار التونسية للنشر - 1992 - ص : 87 .

(10) السابق - ص : 92 .

(11) ابن عربي - التدبيرات الإلهية - طبعة نيرج - د.ت - ص : 84 .

(12) قدامة بن جعفر - نقد الشعر - تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الأولى - 1978 - ص : 64 .

(13) السابق - نفسه .

(14) أول من أشار إلى (القصيد) في إنشاء (القصيد) ، هو الجاحظ (159 - 255 هـ) ، حين قال : " اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم ، لوجدت فيها مثل : مُسْتَفْعِلُن مُسْتَفْعِلُن كَثِيرًا ، أَوْ مُسْتَفْعِلُن مَفَاعِلُن ، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً ، ولو أن رجلاً من الباعة صاح : مَنْ يَشْتَرِي بِأَذْنَانِ ؟ ، لقد كان تكلم بكلام في وزن مُسْتَفْعِلُن مَفْعُولَات ، وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ ، ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام ... وَسَمِعْتُ غُلَامًا لَصْدِيقِي لِي وَكَانَ قَدْ سَقَى بطنه ، وهو يقول لعلمان مَوْلَاهُ : (أَذْهَبُوا بِي إِلَى الطَّيِّبِ وَقُولُوا قَدْ أَكْتَوَى) ، هذا الكلام يخرج وزنه على خروج : فَاعِلَاتِن مَفَاعِلَاتِن مَفَاعِلُن ، مرتين ، وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر على باله قط أن يقول بيت شعراً بدا " : البيان والتبيين - سابق - ص ص : 288 - 289 .

وقد تبني السكاكي (- 626 هـ) الرأي نفسه ، وقدم مثلاً آخر ، من الواقع المعيش ، قائلاً : إذا قيل لجماعة : (مَنْ جَاءَكُمْ يَوْمَ الْأَحَدِ ؟) قالوا : (زيد بن عمرو بن أسد) . ووصل إلى النتيجة نفسها التي انتهى إليها الجاحظ ؛ وهي أن الشعر هو القول الموزون وزناً عن تعمد . راجع كتابه : مفتاح العلوم - مطبعة البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الثانية - 1990 - ص : 282 .

وقد أشار ابن منظور (630 - 711 هـ) إلى القصد بقوله : " وقيل سمي الشعر التام قصيداً ؛ لأن قائله جعله من باله ، فقصد له قصداً ، ولم يحتسبه حسياً ، على ما خطر ببالي وجرى على لسانه ، بل روى فيه خاطره واجتهده في تجويده ، ولم يقتضيه اقتضاباً " : لسان العرب - الجزء الحادي عشر - دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي - الطبعة الثالثة - بيروت - لبنان - 1999 - ص : 18 .

وَهُنَاكَ سَبَبٌ ثَالِثٌ وَمُهُمُّ لِلتَّأَكِيدِ عَلَى دَلَالَةِ " الْقَصْدِيَّةِ " ؛ وَهُوَ تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ أَنْ يَكُونَ شِعْرًا ؛ حَيْثُ جَاءَتْ بَعْضُ آيَاتِهِ مُوَافِقَةً لِبَعْضِ الْأَوْزَانِ الْعَرُوضِيَّةِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : " لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا ، مِمَّا تُحِبُّونَ " ؛ حَيْثُ وَافَقَ وَزْنَ مَجْرُوءِ الرَّمْلِ الْمُسْبَغِ ؛ وَقَوْلِهِ تَعَالَى : " فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ " ؛ حَيْثُ وَافَقَ وَزْنَ الطَّوِيلِ ، وَقَدْ أَحْصَى الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ أَنْيْسُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ آيَةً ، جَاءَتْ مُوَافِقَةً لِلْأَوْزَانِ الْعَرُوضِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ . رَاجِعُ كِتَابَهُ: مُوسِيقَى الشَّعْرِ - الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ - الْقَاهِرَةُ - 1952 - ص ص : 307 - 310 .

(15) أَكَّدَ عَلَى (النِّيَّةِ) ، وَقَدَّمَهَا عَلَى غَيْرِهَا ، ابْنُ رَشِيقٍ الْقَيْرَوَانِيّ (-463 هـ) ، فِي كِتَابِهِ (الْعُمْدَةُ) ؛ حَيْثُ قَالَ : " الشَّعْرُ يَقُومُ بَعْدَ النِّيَّةِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ اللَّفْظُ وَالْوِزْنُ وَالْمَعْنَى وَالْقَافِيَةُ " : الْعُمْدَةُ - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ - مَطْبَعَةُ أَمِينِ هِنْدِيَّةٍ بِمِصْرَ - الطَّبْعَةُ الْأُولَى - 1925 - ص : 77 ، وَمَطْبَعَةُ الْمَكْتَبَةِ التِّجَارِيَّةِ الْكُبْرَى ، مَطْبَعَةُ الْإِسْتِقَامَةِ - الْقَاهِرَةُ - 1955 - ص : 99 .

(16) مِنْ تَعْرِيفِ الْجَا حِظِّ لِلشَّعْرِ ؛ الَّذِي قَالَ فِيهِ : " إِنَّمَا الشَّعْرُ صِنَاعَةٌ ، وَضَرْبٌ مِنَ النَّسْجِ وَجِنْسٌ مِنَ التَّصْوِيرِ " : الْحَيَوَانُ - الْجُزْءُ الثَّالِثُ - تَحْقِيقُ : عَبْدُ السَّلَامِ هَارُونَ - الْقَاهِرَةُ - 1965 - ص : 131 .

(17) مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ - الْبُرْهَانُ فِي وَجْهِ الْبَيَانِ - تَحْقِيقُ : د. حَفْنِي شَرْفٌ - مَكْتَبَةُ الشُّبَابِ - 1969 - ص : 130 .

(18) أَنْسِي الْحَاجُّ - لَنْ - الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ - الْمَوْسَسَةُ الْجَامِعِيَّةُ لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ - 1982 - ص : 18 .

الفصل الأول

إشكاليات النوع الشعري في قصيدة النثر

تُشكّل قصيدة النثر خَرْفًا حَادًّا لِكُلِّ الأَعْرَافِ الشَّعْرِيَّةِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا ، وَبِكُمْ مَوْقِعُهَا الإِشْكَالِي فِي كَوْنِهَا طَرَحَتْ شَتَّى مُكَوِّنَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ ، وَتَشَكَّلَتْ كَنُوعٌ شَعْرِيٌّ مُغَايِرٌ ، اسْتَعَصَى عَلَى قِيَاسِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَرُبَّمَا لِهَذَا رَفَضَ الْبَعْضُ شَعْرِيَّتَهَا ، دُونَ أَنْ يُنْكِرُوا إِبْدَاعِيَّتَهَا ، وَدَعَا إِلَى اعْتِبَارِهَا نَوْعًا أَدَبِيًّا مُسْتَقْلًا ، غَيْرَ أَنَّ " قَصِيدَةَ النَّثْرِ " ظَلَّتْ - فِي نِصَالِ حَادٍّ - تُعَمِّقُ مَجْرَاهَا الْخَاصِ الْمُثِيرَ ، وَبِرْغَمِ اسْتِقْرَارِ " قَصِيدَةِ النَّثْرِ " كَنُوعٍ شَعْرِيٍّ ، إِلَّا أَنَّ إِشْكَالِيَّاتِهَا النَّوْعِيَّةَ لَا تَزَالُ قَادِرَةً عَلَى السَّجَالِ وَالْمُوَاجَهَةِ ، وَقَدْ كَانَتْ مِنْ الْفَاعِلِيَّةِ بَحِثٌ جَعَلَتْ شَتَّى مُحَدَّدَاتِ الْعَمَلِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ مَحَلَّ بَحْثٍ وَخِلَافٍ .

وَتَرَكَّزَتْ الإِشْكَالِيَّاتُ الْأَسَاسِيَّةُ لِقَصِيدَةِ النَّثْرِ فِي قَضَايَا : الْمُصْطَلَحِ - الإِيْقَاعِ - كَيْفِيَّةِ تَحْقِيقِ الشَّعْرِيَّةِ - عِلَاقَتِهَا بِالسَّرْدِ . وَتَبَايَنْتْ هَذِهِ الْقَضَايَا حُضُورًا ؛ فَثَمَّةُ إِلْحَاحٍ شَدِيدٍ عَلَى إِشْكَالِيَّةِ الْجَمْعِ بَيْنَ قَصِيدَةِ النَّثْرِ وَبِرْغَمِ مَا ارْتَبَطَ بِهِ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ دَلَالَاتٍ ، كَذَلِكَ السُّؤَالُ عَنْ بَدِيلِهَا الْعَرُوضِيِّ ، وَعِنْدَ تَنَاوُلِ الْقَضِيَّةِ الثَّالِثَةِ : كَيْفِيَّةِ تَحْقِيقِ الشَّعْرِيَّةِ ، تَبَرُّزُ أَمَامِنَا الْوَسَائِلُ الْأَسَاسِيَّةُ الَّتِي رَكَّزَتْ عَلَيْهَا أَعْمَالُ شُعْرَاءِ الرِّيَادَةِ الْمُتَمَرِّكِينَ فِي تَجْمُوعِ مَجَلَّةٍ : (شِعْر) اللَّبْنَانِيَّةِ ، مِنْذُ أَوَاخِرِ الْخَمْسِينِيَّاتِ ، وَأَبْرَزُهُمْ : تَوْفِيقُ صَايغ ، وَجَبْرُ إِبْرَاهِيمَ جَبْرَا ، وَإِبْرَاهِيمُ شُكْرُ اللَّهِ ، وَأَدُونِيسَ ، وَأَنْسِي الْحَاج ، وَشَوْقِي أَبُو شُقْرَا ، وَمُحَمَّدُ الْمَاغُوطُ ، وَهِيَ أَعْمَالٌ مُتَفَاوِتَةٌ الْقِيَمَةُ . أَمَّا عِنْدَ تَنَاوُلِ عِلَاقَتِهَا بِالسَّرْدِ ، فَإِنَّهُ يَجْدُرُ - فِي الْبَدَايَةِ - تَحْدِيدُ مَفْهُومِ السَّرْدِ ، ثُمَّ الْكَشْفُ عَنْ مُكَوِّنَاتِ الْعَمَلِيَّةِ السَّرْدِيَّةِ ، ثُمَّ اسْتِكْشَافُ تَجْلِيَّاتِ السَّرْدِ فِي الشَّعْرِ ، وَتَحَقُّقَاتِ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ - وَهِيَ الظَّاهِرَةُ الْأَبْرَزُ الَّتِي تَتَجَلَّى هُنَا - ثُمَّ رَصْدُ تَجْلِيَّاتِ الْبَنِيَّةِ السَّرْدِيَّةِ فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ ، ثُمَّ مُتَابَعَةُ ظَاهِرَةِ مُهِمَّةٍ فِي السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ هِيَ : مُرَاوَعَاتُ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ ؛ الَّتِي تَقُودُ إِلَى تَشْكِيلِ بَنِيَّةٍ سَرْدِيَّةٍ خَاصَّةٍ ، تَقُومُ عَلَى الْإِنْزِيَاكِ السَّرْدِيِّ .

هَكَذَا سِيُحَاطُ بِإِشْكَالِيَّاتِ النَّوْعِ الشَّعْرِيِّ فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ ، فِي جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ الْآتِيَةِ :

- 1 الْمُصْطَلَحُ .
- 2 الإِيْقَاعُ .
- 3 قَصِيدَةُ أُخْرَى ، قَصِيدَةُ مِنْ خَارِجِ الرَّجْمِ :
تَجْرِبَةُ مَجَلَّةٍ : " شِعْر " اللَّبْنَانِيَّةِ نَمُودَجًا .
- 4 قَصِيدَةُ النَّثْرِ مِنْ مَنْظُورِ التَّحْلِيلِ السَّرْدِيِّ .

المُصْطَلَحُ

1

لا يزال مُصْطَلَحُ قصيدة النَّثرِ قادراً على الإثارة ، رغم مرورِ نحوِ نصفِ قرنٍ ، على إطلاقه ، في المَشْهَدِ الشَّعْرِيِّ العَرَبِيِّ ؛ فلا يزالُ القومُ مُخْتَصِمِينَ حَوْلَهُ ، ويُجْمَعُ المُعَارِضُونَ على تناقضِ المُصْطَلَحِ⁽¹⁾ ، ويقترحون مُصْطَلَحَاتٍ أُخْرَى ، أغلبُها مُستَقَرٌّ في الدَّلَالَةِ على أشكالٍ أدبيَّةٍ أُخْرَى ، ضَمَّنَ نظريةَ الأنواعِ الأدبيَّةِ ؛ مثل : " النَّثرُ الفنِّي " ، و " النَّثرُ الشَّعْرِي " ، و " الشَّعرُ المَنْشُور " ⁽²⁾ ، وبعضُها جديداً ، يتَّسَمُ بعموميَّةٍ فضفاضةٍ ؛ مثل : " كِتَابَةُ عَبَرِ نوعِيَّة " ⁽³⁾ .

أما المؤيِّدونَ فيتشبَّثونَ – في حماسَةٍ مُقابلَةٍ – بالمُصْطَلَحِ ، ويجعلونه رايَةً لِشُعْرِيَّةٍ بديلةٍ ، تستَقَرُّ في عُمقٍ المَشْهَدِ .

ويفضِّلُ الفريقينِ معاً ، ترسُّخَ المُصْطَلَحِ ، وَرَاجَ ، وَاسْتَقَرَّ ، غُنَواناً على مَنْطِقَةِ شُعْرِيَّةٍ مُحدَّدةٍ ، وقد استدعى الجِدالُ حَوْلَ المُصْطَلَحِ قياسَها على الشَّعْرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ السَّابِقَةِ عليها ، والمُجَاوِرَةِ لها ، التي قَامَتْ قصيدةُ النَّثرِ في مُواجهَتِها ، وَقَادَ هذا إلى نفي صِفَةِ الشَّعْرِيَّةِ عَنْهَا ⁽⁴⁾ .

واللافتُ هنا أنَّ الاحتدامَ في رفضِ المُصْطَلَحِ ، لم يكنْ يعني بالضرورةَ رفضَ النَّوعِ الشَّعْرِيِّ ذاتِهِ ، بلْ رفضَ اعتباره إبداعاً شُعْرِيّاً ؛ حيثُ رأى المُعارضونَ فيه تهديداً للشَّعرِ العَرَبِيِّ وخطورةَ عليه ⁽⁵⁾ .

إذنْ ، فقد انطلقَ المُعارضونَ مِنْ رفضِ المُصْطَلَحِ ، إلى سَحَبِ هذا النَّوعِ الشَّعْرِيِّ مِنْ دائرةِ الشَّعرِ ؛ أي نَسَفِ شِعْرِيَّتِهِ بالكاملٍ ، ومنْ هؤلاءِ : إبراهيمُ حمادة ؛ الذي رأى أنَّ " التَّسْمِيَةَ خاطئةً من الناحيةِ الاصْطِلَاحِيَّةِ والدَّلَالِيَّةِ ؛ إذ افْتَرَضَتْ بَدَاءَةً – أَنَّ القطعةَ مِنْ هذا الشَّكْلِ " قصيدةٌ " بينما اقتصرَ إطلاقُ هذا المُصْطَلَحِ – منذُ رَدَحٍ مجْدَرٍ في الماضي البعيدِ ، على صِيغَةٍ قولِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ ، يُفْتَرَضُ في بنائها الشَّكْلِيّ – قَبْلَ أيِّ شَيْءٍ آخَرَ – أَنْ يكونَ مُوزَوْنًا طَبَقاً لِمَعاييرِ تَفْعِيلِيَّةٍ معلومةٍ سَلَفًا ، أَوْ – على الأقلِ – مُبْتَكِرَةً ، وَمُسْتَخْدَمَةً على نحوٍ تَكَرَّرِيٍّ مُعَيَّنٍ " ، ويرى أنَّ قصيدةَ النَّثرِ يُمكنُ أَنْ تُطلقَ عليه " المَنْشُورَةُ الشَّعْرِيَّةُ " ؛ لِأَنَّها في المَحَلِّ الأوَّلِ نَثْرٌ ، وفي المَحَلِّ الثَّانِي مُرَوَّدَةٌ بِتَرَاقيقِ شُعْرِيَّةٍ ، أَوْ فَلَيْتَسَمَّ هذا النَّثرُ المَشْعُورُ بـ " جَوَاهِرِ الْقَوْلِ " ، أَوْ بِأَيِّ اسْمٍ آخَرَ رَنانٍ فَحْمٍ ، ولكنْ عليه أَلَّا يَتَسَمَّى بِاسْمِ " قصيدةٍ " ؛

حَتَّى وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ ، أَوْ أَنَّ بَعْضَهُ يَتَفَوَّقُ عَلَى بَعْضِ الْقَصَائِدِ الْمَوْزُونَةِ ، فَلَا يُزَالُ النَّثْرُ نَثْرًا ، وَالشَّعْرُ شِعْرًا".⁽⁶⁾

وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا عَبْدُ الْحَمِيدِ إِبْرَاهِيمَ (1935-) ؛ الَّذِي رَأَى أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ شَتَّى الْمُصْطَلَحِ جَعَلَهَا " أَشْبَهَ بِذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي لَا يَنْتَمِي إِلَى جِنْسِ الذَّكَرِ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَا يَنْتَمِي إِلَى جِنْسِ الْأُنْثَى".⁽⁷⁾

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ أَبْرَزِ دَوَاعِي رَفْضِ الْمُصْطَلَحِ - حَتَّى بَعْدَ شِيعَةِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ - هَذَا " التَّنَافُضُ الظَّاهِرُ بَيْنَ الْعُنْصُرَيْنِ اللَّغَوِيَّيْنِ ؛ قَصِيدَةٍ وَنَثْرٍ لِمَا لِكُلِّ مِنْهُمَا فِي تَرَاتُفِ الْأَدَبِيِّ وَالتُّرَاثِ الْعَالَمِيِّ مِنْ مَاهِيَةٍ رَاسِخَةٍ ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَجْعَلُ الْمُصْطَلَحَ يَصْدُقُ عَلَى طَبِيعَةِ مَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ ، فَهُوَ اسْمٌ عَلَى غَيْرِ مُسَمًّى".⁽⁸⁾

وَلِهَذَا الْإِعْتِبَارِ نَفْسِهِ رَفَضَ مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو سَنَةِ (1937-) الْمُصْطَلَحَ ، مُؤَكِّدًا عَلَى " التَّيَاسِ الْمُصْطَلَحِ الَّذِي تَطَرَّحَ " قَصِيدَةُ النَّثْرِ " نَفْسَهَا مِنْ خِلَالِهِ ؛ فَقَدْ دَرَجْنَا فِي أَدَبِنَا الْعَرَبِيِّ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ النَّثْرِ وَالشَّعْرِ".⁽⁹⁾

وآخَرُونَ تَجَاوَزُوا إِشْكَالِيَّةَ الْمُصْطَلَحِ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ خُطُورَةِ الظَّاهِرَةِ ؛ فَأَقَرَّ أَحْمَدُ عَبْدُ الْمَعْطِيِّ حِجَازِي (1935-) بـ " أَنَّهَا أَصْبَحَتْ ظَاهِرَةً طَاطِغِيَّةً ، وَلَكِنَّهَا لَا تَزَالُ مَعَ طُغْيَانِهَا غَيْرَ مُبَرَّرَةٍ"⁽¹⁰⁾ ، أَمَّا نَازِكُ الْمَلَابِكَةِ (1923-2007) فَزَاتُ فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ خَطَرًا عَلَى الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَعَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَعَلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، بَلْ وَخِيَانَةً لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلِلْعَرَبِ "⁽¹¹⁾ ، كَذَلِكَ رَأَى عَبْدُ الْقَادِرِ الْقِطْ (1916-2002) أَنَّ التَّسْمِيَةَ " تَحْمِلُ خَطَرًا كَبِيرًا عَلَى الشَّعْرِ وَصَلَاتِهِ بِمُحِبِّيهِ"⁽¹²⁾ ، كَذَلِكَ اتَّهَمَ أَحْمَدُ سَلِيمَانُ الْأَحْمَدُ شُعْرَاءَهَا " بِالتَّشْوِيهِ وَالتَّأْمُرِ عَلَى التُّرَاثِ".⁽¹³⁾

وَذَرُوءُ الْإِتِّهَامَاتِ بَدَتْ فِي تَأْكِدَاتِ شَوْقِي بَغْدَادِي بِأَنَّ الصُّهْيُونِيَّةَ تَقْفُ وَرَاءَ قَصِيدَةِ النَّثْرِ وَأَنَّ الْبِرْلَمَانَ الصُّهْيُونِيَّ قَدْ اتَّخَذَ قَرَارًا سِرِّيًّا بِتَخْرِيْبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ عَبْرَ " قَصِيدَةِ النَّثْرِ"⁽¹⁴⁾ . وَافْتَرَنْتْ هَذِهِ الْإِتِّهَامَاتُ بِأَقْدَعِ النُّعُوتِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَحْمَدَ عَبْدُ الْمَعْطِيِّ حِجَازِي فِي شَكْلِ تَسَاوُلٍ : "كَيْفَ نَقَبْلُهَا وَقَدْ بَلَغَتْ هَذَا الْحَدَّ مِنَ الصَّفَاقَةِ وَالْعُرُورِ".⁽¹⁵⁾

وأنهم شعراؤها بالجهل بمقومات الشعر؛ بل وبقواعد اللغة؛ فصرح خليل حاوي (1919-1982) بأن شعراء قصيدة النثر عندنا.. طائفة تجهل قيمة الإيقاع المنضبط في الشعر، وصعوبات البناء الداخلي المقيد بذلك الإيقاع الذي لا بُدَّ منه لكل شاعر يأبى أن تنساح قصيدته وتنحل إلى مجموعة من الصور المبعثرة... إنها ظاهرة مرض يسعى إلى إخفاء حقيقته ببهرج الصورة وزخرفها الزائف⁽¹⁶⁾، وقال أحمد عبد المعطي حجازي "نحن نقرأ للذين يكتبون هذا النوع من الكتابة، فنجد أخطاء لا يقع فيها تلاميذ المدارس".⁽¹⁷⁾

والانتهام بالجهل، يقود - بالضرورة - إلى نفي الوعي بفن الشعر وآلياته، ولهذا نفى محمد عفيفي مطر (1935-2010) وجود ما يُسمى بقصيدة النثر؛ لـ "أنها تفتقد الجماليات المتفق عليها للقصيدة، هي اجتناب من الجذور لا تعتمد على أي إطار مرجعي - لغوي أو بلاغي أو تحليلي، هم يريدون هدم أحد ثوابت الكون ألا وهو النظام الموسيقي"⁽¹⁸⁾، وأكد أحمد عبد المعطي حجازي "أن قصيدة النثر لم تستطع بعد مرور أكثر من قرن على ظهورها، أن تُفنعنا بأنها قصيدة، أو بأنها شعر بالمعنى الاصطلاحي للكلام، أو بأنها شعر آخر يكافئ الشعر كما نعرفه أو يُساويه"⁽¹⁹⁾.

وحاول البعض أن يتجاوز إشكالية المصطلح، ويُعلن موقفه من الشعر ذاته، ومن هؤلاء صلاح عبد الصبور (1930-1981)؛ الذي قال: "ليسموها قصيدة نثر، أو ليسموها شعرا منشورا.. أما أنا فلا أحب التسمية الأولى، ولكن كثيرا من أصوات الشعر المنشور تهزني"⁽²⁰⁾.

أما أدونيس - الذي ارتبط اسمه بأول عرض نظري لما يُسمى بقصيدة النثر⁽²¹⁾، والقائل بأنه "أول من كتب قصيدة النثر، وذلك في عام 1958"⁽²²⁾ - فقد أبدى تراجعا واضحا عن موقفه التاريخي؛ حين أعلن - بعد خمس وعشرين سنة كاملة من ممارستها: "إن علينا أن نعيد النظر في ما قلناه، وممارسناه، مما يتصل بما سميناها "قصيدة نثر"⁽²³⁾.

ولابد أن نُشير إلى أن سوزان برنار، نفسها، في دراستها الرائدة عن قصيدة النثر، هي أول من أشار إلى التناقض في تركيبة المصطلح، ورأت فيه جزءا من إشكالية هذا النوع الشعري

حين أوضحت أنه " إذا كان بوسعنا مُشاهدة تطوّر جسم انطلاقاً من خلية أساسية ، فإنّ بوسعنا أن نرى كلّ المجموع المُعقّد للقوانين التي تدخل في تركيب هذا النوع الأصيل ، موجوداً أساساً ، وبصورة افتراضية ، في تسميتها قصيدة النثر، إنّه اتّحاد غريب ، بلا شك ، يتضمّن جمع المتناقضات ؛ (أفليس "المنثور" هو تقيض " الشعريّ " في اللغة الدارجة؟) ، و قصيدة النثر في الواقع مبنية على اتّحاد المتناقضات ، ليس في شكلها فحسب ، وإنّما في جوهرها كذلك : نثر وشعر ، حرّيّة وقيّد ، فوضويّة مدْمرة وفنّ منظم .. ومن هنا يبرز تباينها الداخليّ ، وتنبع تناقضاتها العميقة الخطِرة والغنيّة ، ومن هنا ينجم توترها الدائم وحيويّتها " (24).

إذن فالتناقض الظاهريّ بين قصيدة ونثر يعكس إشكاليّاتها الكبرى ؛ فإشكاليّة المُصطلح جزءٌ من إشكاليّة النصّ الشعريّ كلّهِ ، والذين تصوّروا أنّهم اكتشفوا جرثومة التناقض التي لا بدّ أن تؤدي بها ، مُخطئون ، وكان طه حسين (1889-1973) - قبل هؤلاء - جميعاً - أكثر جرأة وتحرّراً ، حين صرّح - في جريدة " الجمهوريّة " في عام 1957 - أنّه " ليس على شباننا من الشعراءِ بأسّ ، فيما أرى ، من أن يتحرّروا من قيود الوزن والقافية ، إذا تنافرت أُمزجتُهُمْ وطبائعُهُمْ ، ولا يُطلب إليهم في هذه الحرّيّة ، إلّا أن يكونوا صادقين " (25).

وإذا كانت قصيدة النثر في جميع الآداب تُثير أسئلتها النوعيّة الأساسيّة إلّا أنّها في مشهد الأدب العربيّ هي الأكثر حدّة وضراوة ، ولم تعرف الآداب الأخرى الفصل بين ما هو (شعر) وما هو (نثر) بهذا الشكل الحاسم ، كما هو في الأدب العربيّ ، الذي يُحيط به ميراث نظريّ هائل .

إنّ مُصطلح قصيدة النثر إذا ، ليس بعيداً عن هويّة هذا النوع الشعريّ الإشكاليّ ؛ بل إنّهُ مجلّى له ؛ فهي " قصيدة " لأنّها تبنين شعريّ مقصود شعراً في الأساس - حسبما تُشير دالّة " قصيدة " - له إجراءاته الخاصّة في تحقيق شعريّته ، وتأسيس " قصيدته " في فضاءٍ هذه " الشعريّة ، هي " قصيدة " اكتسبت التعريف بإضافتها إلى " النثر " ؛ لأنّه الحقل الذي تتشكّل في تربّته ، وتنبّت في مُكوناته ، في شكل منظم ، وإذا كان " النثر " يُشير مُعجمياً إلى التفرّق والتبعثر ، فإنّ " القصيدة " هنا هي النظام الصاعد في هذا الفضاءِ المُحتشد بالمتناثر في غير نظام ، ومُصطلح " قصيدة النثر " - كما استقرّ في شعريّات اللغات الأخرى

— يُشِيرُ إلى " القصيدة النَّثرية غير المُقطَّعة ، قصيدة الإيقاع المُتدفِّقِ المَوْصُولِ ، في خِطَابٍ يَتَدَفَّقُ ، فَيَحْتَلُّ مَسَاحَاتِ الْبَيَاضِ ، في هَيْئَةٍ كَهَيْئَةِ النَّثْرِ المَوْصُولِ ، على فضاءِ الصَّفْحَةِ كَأَيِّ نَثْرٍ ، مُسْتَثْمِرَةٌ طَاقَاتِ السَّرْدِ في اصْطِيَادِ الشَّعْرِ في خَرِيطَةِ النَّثْرِ؛ لِيُصْبِحَ مِنَ النَّثْرِ العَادِيِّ الْكِيانَ الْفَنِّيَ الْمُحْكَمَ ، الذي هُوَ الْقَصِيدَةُ كَامِلَةٌ ، في هَيْئَةِ النَّثْرِ وَسَيُولِيهِ وَتَدْفُقُهُ ، وَلَكِنَّ الْوَعْيَ بِإِنْشَاءِ قَصِيدَةٍ فِي زُكَامِ النَّثْرِ، هُوَ وَعْيٌ يَنْجَازُ نَوْعَ شِعْرِيٍّ مَقْصُودٍ فِي الْأَسَاسِ مِنْذُ أَوَّلِ مُفْرَدَةٍ فِي إِبْدَاعِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ؛ اسْتِجَابَةً لِإِيقَاعِ التَّجَرِبَةِ الْمُنَظَّمِ لِلتَّرَكِيبِ النَّحْوِيِّ لِلنَّصِّ ، وَلِمَعْمَارِ النَّصِّ كُلِّهِ ، وَهَذَا مَا يُشَكِّلُ مِنْهَا قَصِيدَةً ؛ فَهِيَ قَصِيدَةٌ تَسْتَمِرُّ حِيلَ وَاجِرَاءَاتِ النَّثْرِ الْعَادِيِّ ؛ كَالسَّرْدِ وَالْوَصْفِ وَالْاسْتِرْسَالِ وَالتَّدْفِيقِ الْحُرِّ ، لِأَغْرَاضٍ شِعْرِيَّةٍ أَكْثَرُ تَحَرُّرًا وَبَكَارَةً .. إِنَّ مُصْطَلَحَ قَصِيدَةِ النَّثْرِ يُرَادُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَى تِلْكَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي تُكْتَبُ كَمَا يُكْتَبُ النَّثْرُ الْعَادِيُّ ، الْمَكُونَةُ مِنْ عَنَاصِرِ النَّثْرِ التَّامَةِ ، الْقَصِيدَةِ الصَّاعِدَةِ فِي مَجَالِ النَّثْرِ ، قَصِيدَةُ هُنَا مُضَافَةٌ إِلَى النَّثْرِ؛ لِأَنَّ النَّثْرَ هُوَ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسُ ، وَالْقَصِيدَةُ هِيَ الْخُلَاصَةُ الطَّالِعَةُ فِي فَضَائِهِ ، وَالثَّمَرَةُ النَّاتِجَةُ فِي حَقْلِهِ ، هِيَ (الشَّكْلُ) الطَّالِعُ فِي (الْأَشْكَالِ) ، وَ(النِّظَامُ) الْمُنْبَثِقُ مِنْ (الْإِنْشَاءِ) ، وَ(الصِّيغَةُ) الصَّاعِدَةُ مِنْ (الْإِنْشَاءِ) ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُهَا نَوْعًا (شِعْرِيًّا) ، صَاعِدًا فِي خَرِيطَةِ (النَّثْرِ) ؛ الَّتِي هِيَ تَفَرُّقٌ وَلَا نِظَامٌ وَتَبَعُثٌ وَانْفِرَاطٌ " (26).

غَيْرَ أَنَّ مَا يُعْرَفُ بِقَصِيدَةِ النَّثْرِ لَا يُكْتَبُ كُلُّهُ عَلَى هَيْئَةِ النَّثْرِ الْعَادِيِّ المَوْصُولِ عَلَى فضاءِ الصَّفْحَةِ ؛ فَالْبَعْضُ يُكْتَبُ فِي سُطُورٍ قَصِيرَةٍ مُتَفَاوِتَةِ الطُّولِ ، وَهَذَا يُعْرَفُ ، اصطِلَاحًا ، بِالشَّعْرِ الْحُرِّ ، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ تَمَّ تَدَاوُلُهُ خَطَأً — لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِعْرِ عَرُوضِيٍّ ، فِي مَرَحَلَتَيْنِ شِعْرِيَّتَيْنِ ، وَفِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ اتَّخَذَ دَلَالَةً خَاصَةً ؛ فَفِي الْمَرَحَلَةِ الْأُولَى أَطْلَقَهُ أَحْمَدُ زَكِي أَبُو شَادِي (1892-1955) لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِعْرِ مُوزُونٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَلْتَزِمُ بِإِيقَاعَاتِ بَحْرِ مُحَدَّدٍ ، وَإِنَّمَا يُنَوِّغُ بَيْنَ الْبُحُورِ ، دَاخِلًا أَسْطَرِ النَّصِّ الشَّعْرِيَّةِ ، كَانَ هَذَا فِي عِشْرِينَاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي بِدَايَةِ مِنْ عَامِ 1927 ، وَبَعْدَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَامًا تَمَّ تَدَاوُلُهُ ، عَبْرَ نَازِكِ الْمَلَائِكَةِ ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَا أُجْمِعَ عَلَيْهِ ، فِيمَا بَعْدَ بِشَعْرِ التَّفْعِيلَةِ ؛ وَهُوَ الشَّعْرُ الَّذِي يَعْتَمِدُ التَّفْعِيلَةَ أَسَاسًا ، أَوْ يَعْتَمِدُ تَفْعِيلَاتِ الْبَحْرِ الْوَاحِدِ اعْتِمَادًا حُرًّا ؛ بِحَيْثُ لَا يَرْتَبِطُ بِعَدَدٍ مُحَدَّدٍ مِنَ التَّفْعِيلَاتِ .

وَكَانَ أَمِينُ الرِّيحَانِي (1876-1940) قَدْ سَقَى أَبَا شَادِي (ورفاقه) ، وَنَازِكُ الْمَلَائِكَةِ ، أَيْضًا ، فِي اسْتِعْمَالِ هَذَا الْمُصْطَلَحِ فِي عَامِ 1910 ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الشَّعْرِ الْمُنْثُورِ ، مُعْتَمِدًا عَلَى

مفهوم والت وايمان (1819-1892) ، وهذا المفهوم أقرب إلى الدقة الاصطلاحية ، غير أن هذا المصطلح: الشعر الحر لم يرج مع الرّحاني ؛ لأنه اختار له صيغة الشعر المنشور، وأشار إلى أنه يدعى عند الغربيين بـ " الشعر الحر " ⁽²⁷⁾، وظل المصطلح العربي البديل : " الشعر المنشور "، ينوب عنه ويترسخ .

وقد ميّز يوسف الخال (1917-1987) ، تمييزاً دقيقاً بين قصيدة النثر و الشعر الحر – في ردّه على نازك الملائكة – بقوله : قصيدة النثر " شكلٌ يختلف عن الشعر الحر في آداب العالم ، بأنه يستند إلى النثر ، ويسمو به إلى مصاف الشعر ، فيما يستند الشعر الحر إلى الشعر التقليدي ، ومن هنا التزامه الأشطر شكلاً ، مكتسباً من النثر العادي عفويته وبساطته ، وحرّيته في الأداء والتعبير ، وبُعده عن الخطائية والبهلوانية البلاغية والبيانية . " ⁽²⁸⁾

وهكذا جاءت قصيدة النثر مُحاولَةً لتحريّر الشعر؛ باتّخاذ النثر نقطة انطلاق ، كما جاء الشعر الحر والبيت القصير، تمثيلاً للمُحاولَة نفسها ، بالابتعاد عن البيت الشعري ⁽²⁹⁾، إذْ فليس كلُّ شعرٍ النثر قصيدة النثر؛ غير أن الجميع : مؤيِّداً ومعارضاً ، يُشاركون في هذه الأزمَة ، للدرجة التي لو ذكّر الشعر الحر، لثار التساؤل : أيُّهما.. ؟، فيما تقدّم مصطلح قصيدة النثر، في المشهد الذي يتقاسمه النوعان الشعريّان .

ومن أهمّ النتائج المترتبة على تزويج مصطلح قصيدة النثر: التأكيد على بطلان ادّعاء الفصل بين الأنواع الأدبية ؛ فثمة شعرٌ في النثر ، وثمة نثرٌ في الشعر ، وإبداعٌ " قصيدة " يقتضي الوعي بهذا ، واستثمار طاقات الشعر أنى وجدت .

الإيقاع

لَمَّاذَا يَنْزَعُ الْبَعْضُ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى الْأَوْزَانِ وَتَأْسِيسِ شِعْرِ بِمَعَزِلِ عَنْهَا ، رَغْمَ أَنَّ نِظَامَ الْخَلِيلِ نَفْسُهُ لَمْ يَسْتَوْعِبْ إِيقَاعَاتِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ السَّابِقِ عَلَيْهِ ، وَلَا الْمُجَاوِرِ لَعَمَلِهِ ؟ وَتَذَكَّرُ فِي ذَلِكَ نَمَازُجَ عَدِيدَةٍ لَامَرِي الْقَيْسِ ، وَلَعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ وَالْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ ، وَالْأُمَيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَالْأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ، وَآخَرِينَ ، وَهِيَ نَمَازُجُ مَعْلُومَةٌ ، بَلْ إِنَّ إِحْدَاهَا وَهِيَ لَعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ اعْتَبِرَتْ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ الْعَشْرِ ، وَصُدِّرَ بِهَا كِتَابُ : جَمَهَرَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ لِلْقُرَشِيِّ .

وَلَمْ يَتَوَقَّفْ الشَّعْرُ عَلَى حَالٍ ؛ فَالْثَّرَاثُ الَّذِي فِيهِ الْقَاعِدَةُ فِيهِ الِاسْتِثْنَاءُ أَيْضًا ، فَكَثِيرًا مَا خَرَجَ عَلَى أَطْرِهِ الْمُسْتَقَرَّةُ ، كَمَا أَنَّ حَرَكَةَ شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ قَدْ اقْتَرَبَتْ كَثِيرًا مِنْ مَنَاطِقِ النَّثْرِ ؛ فِي اسْتِخْدَامِ أَسَالِيْبِهِ وَطَرَائِقِهِ التَّعْبِيرِيَّةِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ الْمُفْرَدَاتِ ، وَيَبْدُو هَذَا فِي شِعْرِ صَاحِبِ عَبْدِ الصَّبُورِ وَأَحْمَدِ عَبْدِ الْمَعْطِيِّ حِجَازِيٍّ وَمُجَاهِدِ عَبْدِ الْمَنْعَمِ مُجَاهِدٍ وَكَامِلِ أُيُوبَ وَسَوَاهِمِ ، كَمَا أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلَمِ بِهِ أَنَّ الْوَزْنَ لَمْ يَكُنْ سَابِقًا عَلَى الشَّعْرِ ، وَكَمَا كَانَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ أَيْضًا ، كَمَا أَنَّ الْوَزْنَ فَرَعٌ وَاحِدٌ مِنْ شَجَرَةِ الْإِيْقَاعِ ؛ وَبِالتَّالِي يُمَكِّنُ تَحَقُّقُ الْإِيْقَاعِ بغيرِ الْأَوْزَانِ ؛ وَذَلِكَ بِاعْتِمَادِ أَدَوَاتِ إِيْقَاعِيَّةٍ تُوجَدُ فِي الْمَنْثُورِ كَمَا تُوجَدُ فِي الْمَوْزُونِ أَيْضًا ، غَيْرَ أَنَّهَا فِي شِعْرِ النَّثْرِ تَكُونُ هِيَ كُلُّ الْآلِيَّاتِ الَّتِي يَعْمَلُ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ؛ لِتَشْكِيلِ فَضَائِهِ الْإِيْقَاعِيَّ الْخَاصِّ ، الْمُعَادِلِ لِتَجْرِبَتِهِ بِحَرَكَتِهَا الْمُتَوَالِيَةِ ، هَذِهِ الْحَرَكَةُ الَّتِي لَا تَتَّفِقُ بِالضَّرُورَةِ مَعَ الْوَزْنِ الثَّابِتِ الْمُتَكَرِّرِ ، بَلْ يَقَعُ شَاعِرُ الْوَزْنِ فِي صِرَاعٍ مَعَهَا لِتَطْوِيلِهَا - وَتَطْوِيلِ تَجْرِبَتِهِ أَسَاسًا - لَهَا .

وخطأً بَيِّنٌ أَنَّ نُقْصَرَ الْإِيْقَاعِ عَلَى الْأَوْزَانِ ؛ بَلْ إِنَّ الْإِيْقَاعَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الشَّعْرِ وَحْدَهُ ؛ حَيْثُ تَصُبُّ جَمِيعُ الْفُنُونِ - كَمَا يَرَى شُوبِنَهَوْر (1788-1860) - إِلَى أَنَّ تَكُونَ مُوسِيقًا ؛ بَلْ إِنَّ الْفَلَسَفَةَ وَسَعَوْا مَفْهُومَ الْإِيْقَاعِ لِيَشْمَلَ الْوُجُودَ كُلَّهُ ، وَأَشَارُوا إِلَى وَجُودِ "صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بَيْنَ الْإِيْقَاعِ وَالنِّظَامِ الَّذِي تَسِيرُ عَلَيْهِ حَرَكَةُ الْجِسْمِ وَحَرَكَةُ الطَّبِيعَةِ ؛ فَلِلْجِسْمِ حَرَكَاتٌ إِيْقَاعِيَّةٌ سَرِيعَةٌ ، كَالنَّفْسِ بِمَا فِيهِ مِنْ شَهِيْقٍ وَزَفِيرٍ وَحَرَكَاتٍ بَطِيئَةٍ نَسِيْبًا ، كَتَعَاقِبِ الْجُوعِ وَالشَّبَعِ ، وَالنَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ ، وَفِي الطَّبِيعَةِ إِيْقَاعٌ ثَنَائِيٌّ تَتَعَاقَبُ فِيهِ فُصُولُ السَّنَةِ ، وَمِنْ هُنَا قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ إِنَّ لِلْمُوسِيقَا أَصْلًا عِضْوِيًّا أَوْ طَبِيعِيًّا⁽¹⁾ ، مَا دَامَتْ الْحَرَكَةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِيهَا تَزْدِيدُ لِحَرَكَاتِ مُنَاطِرَةٍ لَهَا دَاخِلَ الْجِسْمِ الْإِنْسَانِيِّ أَوْ فِي الطَّبِيعَةِ الْخَارِجِيَّةِ ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَكْوِينِ مَا يُسَمَّى بِالْحَاسَةِ الْإِيْقَاعِيَّةِ لَدَى الْإِنْسَانِ ."⁽¹⁾

أما الإيقاع ، في الشعر ، تحديدًا ، فهو ، كما يذكر عز الدين إسماعيل (1929-2007) : " حركة الأصوات الداخلية ، التي لا تعتمد على تقطيعات البحر والتفاعيل ، وهو غير الوزن ، وهو التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها ، فهو يصدر عن الموضوع ، في حين يفرض الوزن على الموضوع ، هذا من الداخل وهذا من الخارج " (2)

والإيقاع ، كما يرى نعمان القاضي " عرف شخصي ، أي أنه من قبيل الإبداع ، ويقدر ما يكون للشاعر إيقاعه الخاص ، وصوته الفردي ، يكون إبداعه وابتكاره وأصاليته " (3) وهو ، كما يرى والت وايمان ، يشبه " أمواج البحر في سرعتها وأنسيابها ، وإيقاعها المتراكم ، وحركته أكثر حرية ومرونة من إيقاع الوزن ، وهو أقرب إلى الحركات الحرة في الطبيعة " (4)

هذا هو الإيقاع الذي تتبناه قصيدة النثر ، ودائمًا ما يتساءل المعارضون عن كنه هذا (الإيقاع) وعن قانونه الضابط ، وهم بهذا يريدون " قالبًا جديدًا يحل محل قالب قديم " (5) ، غير أن شعراء قصيدة النثر يردون - على لسان أنسي الحاج (1937-) - قائلين : " لا نهرب من القوالب الجاهزة لنجهز قوالب أخرى ، ولا ننفي التصنيف الجامد لنقع بدورنا فيه .. لا نريد ، ولا يمكن أن نقيّد قصيدة النثر بتحديدات مُحَنطة .. لقد خدّكت [: قصيدة النثر] كل ما لا يعنى الشاعر ، واستغنت عن المظاهر والأنهمكات الثانوية والسطحية والمضّية لقوة القصيدة . رفضت ما يحوّل الشاعر عن شعره ؛ لتضع الشاعر أمام تجربته ، مسئولاً وحده ، كل المسؤولية ، عن عطائه " (6)

إن الإيقاع في قصيدة النثر ، لا يتوقف عند حد ، مادام يتواشج مع حركة التجربة الشعرية الباطنية المتحوّلة ، وتُشبّه سوزان برنار هذا الإيقاع ، بطاقة الكهرباء ، تسري ؛ فنرى أثرها نورًا بازغًا ، حيث : " يسري بها التيار الشعري الخفي ، عبر جمل تخلو - على ما يبدو - من الوزن ، كما يسري تيار كهربائي ، غير مرئي ، عبر سلك غليظ ؛ ليغرقنا بالنور فجأة " (7)

كما تستثمر قصيدة النثر أنواع " التوازي والتكرار والتبني والصوت وحروف المد وتزاوج الحروف وغيرها.. إلخ ، كما أن إيقاع الجملة ، وعلائق الأصوات والمعاني والصور ، وطاقة الكلام الإيحائية ، والذبول التي تجرّها الإيحاءات وراءها ، من الأصداغ المتكوّنة المتعددة

، هذه كلها موسيقا ، وهي موسيقا مُستقلّة عن موسيقا الشّكل المنظوم ، قد تُوجد به ، وقد تُوجد بدونه .⁽⁸⁾

ويرى كمال أبو ديب أنّ قصيدة النّثر لا إيقاع لها سوى الإيقاع النّابع من النّبر والتركيب الصوتي للغه النّصّ والأبعاد الدّلاليّة للنّظم ؛ أي من المكوّنات ذاتها التي تمنح النّثر بكلّ أشكاله وتشكيلاته إيقاعاً ما ، ولا تُؤلّد وحدها إيقاعاً شعريّاً بالتحديد العربيّ للإيقاع ؛ الذي يقوم على التّكرار المنتظم لمكوّنات معيّنة ، وفي تشكيلات وزنيّة محدّدة ، " قصيدة النّثر " بهذا المعنى لا وزن لها ، لكن لكلّ نصّ منها إيقاعاً .⁽⁹⁾

إنّ الوعي بهذا الإيقاع الباطنيّ المّراوغ " يحتاج إلى تدريب ومراس ؛ حتّى تألفه آذاننا ، ونهتدي إلى ما فيه من موسيقيّة خفيفة ، ونظام سمح ، ومُعظم الجهد في هذا المراس والتّدريب ، سيّتكُون من محاولة تحرير آذاننا ، من استبعاد النّظام الكميّ ؛ ذي القوانين الضيّقة .⁽¹⁰⁾

فهو إيقاع شديد المّراوغة ، وليس من السّهل تحديده وتقنيته ، لأنّ لكلّ نصّ حقيقيّ إيقاعه الخاصّ ، كما أنّ الإيقاع لا يقتصر على العناصر الصوتيّة أو التركيبيّة أو الدّلاليّة في النّصّ ، وإنّما يتخطّاها إلى إيقاع الشّكل البصريّ ؛ فالعين تستقبل النّصّ بتجسّداته بإعتباره بناءً متكاملاً خاصّاً ، يقول مالارميّه (1842-1898) : " إنّ عين القارئ ينبغي أن تشمل القصيدة بنظره كلّية ، تتناولها أفقيّاً وعمودياً في آنٍ معاً ، إذ ليست القصيدة حينئذٍ سلسله من الكلمات المتّابعة تتابعاً زمنيّاً ؛ بل هي أشبه باللوحة ، ذات البعد المكانيّ الواحد .⁽¹¹⁾

والإيقاع البصريّ هو أكثر المظاهر الإبداعية أهميّة في النّصّ الشعريّ الكتابيّ ، بالإضافة إلى إمكانيّات غير محدّدة ، يحقّقها التّوازي بأنواعه في بقاع النّصّ المختلفة ؛ كتوازي التّرادف وتوازي التّضاد وتوازي التّركيب وتوازي التّكامل وتوازي الخطوة وتوازي الدّلالة ، بالإضافة ، أيضاً ، إلى النّبر ، وهذه التّقنيات الإيقاعيّة تتمتع بقدر كبير من الحرّيّة والطّواعيّة ؛ فتجعل الشّاعر يختار منها ما يشاء ، كيفما شاء ، في تشكيل البنية الإيقاعيّة للنّصّ الشعريّ .

وَبُنْيَةُ حَازِمِ الْقُرْطَاجِنِيِّ (-664هـ) إِلَى أَنَّ الْإِيقَاعَ لَا يُمَكِّنُ تَحْدِيدَهُ كَالْوِزْنِ حِينَ قَالَ : " الْأَوْزَانُ الْعَرُوضِيَّةُ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ قَوَالِبَ مُفَرَّغَةً ، وَمُنَسَّقَةً تَنْسِيقًا تَجْرِيدِيًّا صَرَفًا . أَمَّا الْإِيقَاعُ الدَّاخِلِيُّ لِلْكَلِمَاتِ . أَيُّ إِيْقَاعِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ ، بِمَا فِيهَا مِنْ قُوَّةٍ أَوْ لِينٍ ، وَمِنْ طُولٍ أَوْ قِصَرٍ ، وَمِنْ هَمْسٍ أَوْ جَهْرِ ، فَشَيْءٌ قَلَمًا يَدْخُلُ فِي التَّقْرِيرِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، لَا ضَابِطَ لَهُ ، وَلَا قَاعِدَةَ تَحْكُمُهُ . " (12)

وَيُقَرَّرُ كَمَالُ أَبُو دَيْبٍ أَنَّ " كُلَّ الْمَحَاوَلَاتِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ لَقَصِيدَةَ النَّثْرِ إِيْقَاعَهَا الْخَاصَّ الْمُكَافِئَ لِلْوِزْنِ تَتَشَبَّثُ بِأَذْيَالِ الشَّعْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، وَتَحَاوُلُ إِكْسَابَ الشَّرْعِيَّةِ لـ " قَصِيدَةِ النَّثْرِ " ؛ بِمَوْضِعَتِهَا دَاخِلَ الثَّرَاثِ الشَّعْرِيِّ ، وَتَأْصِيلِهَا فِيهِ ، لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْبَسِيطَةَ هِيَ أَنَّ قَصِيدَةَ النَّثْرِ لَا أُصُولَ لَهَا فِي الْإِيقَاعِ التَّقْلِيدِيِّ . " (13)

هَذَا الْفَرْقُ الْجَوْهَرِيُّ بَيْنَ طَبِيعَةِ الْإِيقَاعِ ، فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ ، وَطَبِيعَةِ الْإِيقَاعِ الْعَرُوضِيِّ - فِي رَأْيِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ (1937-) - هُوَ فَرْقٌ بَيْنَ بَنِيَّةٍ إِيْقَاعِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ ، وَبَنِيَّةٍ إِيْقَاعِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ ؛ فَقَدْ لَاحَظَ عَلَى قَصِيدَةِ النَّثْرِ إِهْمَالَهَا لِبَنِيَّاتِ الْإِيقَاعِ الْجُزْئِيَّةِ ، وَعِنَايَتَهَا بِالْبَالِغَةِ لِلْبَنِيَّةِ الْكُلِّيَّةِ لِهَذَا الْإِيقَاعِ ، وَهِيَ - فِي ذَلِكَ - تَتَوَافَقُ مَعَ الْإِيقَاعِ الْكُلِّيِّ لِلْعَالَمِ الَّذِي تَغِيبُ إِيْقَاعَاتُهُ إِذَا رَكَّزْنَا الْمُتَابَعَةَ عَلَى مُفْرَدَاتِهِ الْجُزْئِيَّةِ ، فَنَحْنُ عِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ لَوْحَةً طَبِيعِيَّةً أَوْ تَشْكِيلِيَّةً عَلَى نَحْوِ جُزْئِيٍّ ، فَسَوْفَ نَفْتَقِدُ فِيهَا التَّنَاسُقَ ؛ بَلْ رُبَّمَا تَجَلَّتْ أَمَامَنَا نَمُودَجًا لِلتَّنَافُرِ؛ حَيْثُ لَا نَجِدُ تَنَاسُقًا بَيْنَ (مَنْزِلٍ) بِجَوَارِهِ (كَائِنٌ بَشَرِيٌّ أَوْ حَيَوَانِيٌّ) ثُمَّ بَيْنَهُمَا (شَجَرَةٌ) مُتَشَعِّبَةُ الْفُرُوعِ وَالْأَغْصَانِ ، لَكِنَّ تَجْمِيعَ هَذِهِ التَّكْوِينَاتِ عَلَى نَحْوِ مَخْصُوصٍ مِنَ التَّقَارُبِ وَالتَّبَاعُدِ وَالصَّغَرِ وَالضَّخَامَةِ ، هُوَ الَّذِي يُحَقِّقُ لَهَا الْإِتْسَاقَ وَالْإِنْتِظَامَ ، وَأُظُنُّ أَنَّ إِيْقَاعَ " قَصِيدَةِ النَّثْرِ " شَيْءٌ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ التَّكْوِينِيِّ ؛ لِأَنَّهُ يُعْطِي إِيْقَاعِيَّتَهُ الصَّوْتِيَّةَ وَالِدَّلَالِيَّةَ كُلِّيًّا لَا جُزْئِيًّا . " (14)

يَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ الْمَجَازَ الْمُهِيمَنَ عَلَى نَصِّ " قَصِيدَةِ النَّثْرِ " هُوَ - أَيْضًا - مَجَازٌ (كُلِّيٌّ) لَا (جُزْئِيٌّ) ، مَجَازُ (الْمَشْهَدِ) لَا مَجَازُ (الْجُمْلَةِ) .

قَصِيدَةُ النَّثْرِ ، إِذَا ، لَا قَاعِدَةَ لِإِيْقَاعِهَا ، وَهِيَ تُؤَسِّسُ هَذَا الْإِيقَاعَ كُلَّ مَرَّةٍ فِي تَشْكِيلٍ جَدِيدٍ ، يَعْتَمِدُ عَلَى قِيَمٍ إِيْقَاعِيَّةٍ وَعَنَاصِرٍ ، تُشَكِّلُ مِنْهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ شَكْلًا إِيْقَاعِيًّا مُنَاسِبًا لِلتَّجْرِبَةِ ،

ونابعا من إيقاعها ، وإيقاع التجربة (الداخلي) لا يقف عند حد ، فهو مُتدفّق ، ومُتجدّد ، ومُتحوّل ، بيّنما إيقاع (الوزن) ثابت مُتكرّر ، مُنتظم آلي .

وللإيقاع في قصيدة النثر مجالٍ مُتنوّعة ومُتفاوتة الدرجات ؛ فمنها ما يكون خافئاً ، ومنها ما يكون حادّاً ، منها ما يتدفّق رخيّاً ، ومنها ما يكون جهير التبر ، ومنها ما يتدفّق كماءٍ جدول ، ومنها ما يتصاحب كأمواج خضم هادر ، ومنها ما يكون على شكل سُطور مُتراوحة الطول ، منبورة ، تتصاعد درجة الإيقاع – هنا – من توالي إيقاع السُطور وتكاملها لتشكيل حركة الإيقاع الكلي للنص . منها ما يكون هادئاً ، رخيّاً خافئاً ، كما يبدو كثيراً عند عباس بيضون ، وسركون بولص ، وبخاصة حين ينزع النص إلى التحقق المشهديّ ، أو الوصف ، ويتوارى خِطاب الذات ، أي حينما تعتمد الذات الشاعرة إلى رصد حركة الخارج بحياديّة .

نقرأ لسركون بولص (1944-2007) :

لَمْ يَكُنْ يَدْخُنْ لَكِنْ أَنْفَاسُهُ كَانَتْ مِنَ الثَّقَلِ أحياناً بحيثُ
كَانَ يَدُولِي أَنْ نَوْحاً مِنَ الدُّخَانِ يَرْفَعُ بِيْطاً مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ ، كَانَ يَدْخُنْ سِجَارَةً لَا
تَنْتَهِي فِي الدَّاخلِ . لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ أَيَّ شَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَغَاظَنِي ذَلِكَ قَلِيلاً ، وَعَرَفْتُ أَنَّ
الرَّجُلَ مِنَ الْعِنَادِ وَالْجُنُونِ بِحَيْثُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُفْهَمَ أَحَدًا أَوْ يُسْمَعَ أَحَدًا . لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ
يَجْعَلَ شَخْصاً آخَرَ لَا يَهْمُهُ مَنْ كَانَ ، يُصْغِي إِلَيْهِ وَهُوَ يَحْدِثُ عَنِ الطُّوفَانِ ، فِي
غُرْفَتِهِ الضَّيِّقَةِ ؛ الَّتِي تُهْزُهَا أَصْوَاتُ الْمَطَرِ فِي الْخَارِجِ . كُنْتُ أَعْرِفُ هَذَا النَّوعَ مِنَ
الْمُتَعَصِّبِينَ جَيِّدًا ، سِوَى أَنْ الرَّجُلَ الْجَالِسَ أَمَامِي لَمْ يَكُنْ لَهُ أَيُّ طُمُوحٍ حَقِيقِيٍّ ، فِي
تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، سِوَى إِقْنَاعِي بِأَنَّ الطُّوفَانَ حَقِيقَةٌ صَارِمَةٌ وَضَرُورِيَّةٌ ، وَكَأَنِّي
بِصَدِيقِهِ ، سَأُثَبِّتُ ذَلِكَ الْوَهْمَ حَقِيقَةً إِلَى الْأَبَدِ ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ وَحْدَهُ ، وَهَذَا هُوَ
الْفَرْقُ .⁽¹⁵⁾

ونقرأ لعباس بيضون (1947-) :

"المرأة تحمل الحسّون . حين تمرّ قرب الجندي تغطيه . الطفل يلعب بقطعة نقد .
حين يمرّ قرب الجندي يرميها . الجندي لا ينتبه . حين يتبعدها . تنظر المرأة إلى
الحسّون ، ويلتفت الطفل إلى القطعة التي خلفها . شياطين كثيرة تحركت في الهاوية

لَكِنَّ الرُّقْصَةَ لَمْ يَشْعُرْ بِهَا أَحَدٌ . مَعَ ذَلِكَ بَضَعُ دَقَائِقَ مِنَ التَّأْخِيرِ عَنِ الْمَوْعِدِ
الْجَهَنَّمِيِّ . " (16)

ويزدادُ الإيقاعُ وضوحًا ، وثرورًا ، كُلَّمَا اتَّحَدَ بِحَرَكََةِ الذَّاتِ الشَّاعِرَةِ وَتَمَوُّجَاتِهَا ، كَمَا نَجِدُ عِنْدَ
بَسْمِ حَجَّارٍ (1955-2009) ، فِي هَذَا الْمَقْطَعِ :

"يَجْعَلُنِي مُطْمَئِنًّا أَنْ يَدَيْكَ تَقْتَرِبَانِ ، وَأَنْ لَمْسَهُمَا تَسْتَقِظُ الْآنَ فِي جِسْمِي الَّذِي
كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ مَيِّتٌ ، أَوْ أَنَّهُ اسْتَلْقَى لِشُهُورٍ فِي نَوْمٍ مُجَرَّدٍ . يَمُرُّ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ دُونَ
أَنْ يُغَادِرَ حَيَادٍ . جِسْمٌ أَصَمٌ . جِسْمٌ أَبْكَمٌ . ثُمَّ أَتَتْ يَدَاكَ . رَسَمْتَ شَكْلًا مِنْ
طِينَةِ الْفَجْرِ . كُنْتُ بَعْضًا مِنْ رِقَّتِهَا . مِنَ الْحَنَانِ الَّذِي يَضَعُنَا وَيَجْعَلُنَا قَابِلِينَ لِأَنْ
نُكْسِرَ إِذْ فَقَدَهُ . إِذْ نَحْيَا فِي غَيْبِهِ الطَّوِيلَةِ . الْآنَ أَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ، حِينَ
تَضَعُنِي الْحَافِلَةَ عَلَى رَصِيفِ الْأَزْدَحَامِ ، أَوْ حِينَ تَأْخُذُنِي الْغُرْفَةَ إِلَى الْأَفْكَارِ
السَّودَاءِ . أَعْرِفُ مَا الَّذِي أَفْعَلُهُ حِينَ أَحْسَبُ أَنَّ الْوَقْتَ لَا يَنْقُضُنِي ، أَنَامُ وَتَأْتِي
يَدَاكَ فِي الْحُلُمِ أَوْ يَأْتِي الْحُلُمُ فِي يَدَيْكَ . لِأَنِّي أَحْسَبُ فِي نَوْمِي أَنَّ يَدَيْكَ تَحْلُمَانِ
بَارْتَبَاكَ مَنْ يَجْعَلُ الطُّمَأْنِينَةَ لَمَسًا ، مَنْ يَجْعَلُ اللَّمْسَ يَقْطَعُ الْغِيَابَ . " (17)

ويزدادُ الإيقاعُ بُرُورًا ، وَجَهَارَةً كُلَّمَا شَرَعَتِ الذَّاتُ الشَّاعِرَةُ فِي غِنَائِيتِهَا ، وَاسْتَبْطَانِ عَوَالِمِهَا ،
وَالامْتِثَالِ لِفُورَاتِ الدَّمَاءِ الْمُدْمَدِمَةِ ، وَالتَّعْبِيرِ عَنِ الْجَيْشَانِ الْمُتَدَافِعِ فِيهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ نَقْرَأُ
لِمُحَمَّدِ الْمَاغُوطِ (1932-2006) :

سَمْنُكَ أَيُّهَا الشَّعْرُ ، أَيُّهَا الْجَيْفَةُ الْخَالِدَةُ

لِبْنَانٍ يُحْتَرَقُ

يُسَبِّحُ كَهَرَسِ جَرِيحَةٍ ، عِنْدَ مَدْخَلِ الصَّحَرَاءِ

وَأَنَا أَبْحَثُ عَنْ قَتَاةٍ سَمِينَةٍ

أَحْتَكُ بِهَا فِي الْحَافَةِ

عَنْ رَجُلٍ عَرَبِيٍّ الْمَلَامِجِ ، أَصْرَعُهُ فِي مَكَانٍ مَا .

بِلَادِي نَهَارُ

تَرْتَجِفُ عَارِيَةً كَأَنَّ الشَّبْلَ

وَأَنَا أُبَحِّثُ عَنْ رُكْنٍ مُنْعَزِلٍ

وَقَرَوِيَّةٍ يَأْتِسُهُ، أُغَرِّبُهَا . " (18)

إِنَّ حَدَّةَ الْإِيْقَاعِ هُنَا تَعَكِّسُ حَدَّةَ إِيْقَاعِ التَّجَرِبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَإِذَا كَانَ الْإِيْقَاعُ هُنَا لَا يُدَوِّي فِي آذَانِنَا فَإِنَّهُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ يُدَوِّي فِي قُلُوبِنَا⁽¹⁹⁾، وَيَتَّضِحُ هَذَا أَيْضًا فِي الْمُجْتَزِءِ التَّالِيِ ، لِمُحَمَّدِ آدَمِ (1954 -) :

"سَأَنْتَصِبُ مِثْلَ قَارَةٍ فِي وَجْهِ الرِّيحِ

وَأَخْذُ كُلِّ سَفِينَةٍ غَضَبًا ، وَأَكُونُ كَالْقِرَاصِنَةِ ،

فَأَيْنَ مَنَافِذُ الْهَرَبِ ؟

سَأَسْرِقُ زَوَارِقَكَ ،

وَأُحَطِّمُ الْمَجَادِيفَ ،

وَأُلْقِي بِالْحِجَارَةِ وَأَسْمَاكِ الْقِرْشِ وَالْحِثْيَانِ إِلَى الْأَعْمَاقِ ،

وَأَتَصَبُّ - فِي وَجْهِكَ - شَاهِرًا سَيْفِي ، وَهُوَ مُطْرَزٌ بِدِمَكِ

الْأَبْيَضِ الْأَبْيَضِ الْأَحْمَرِ الْأَحْمَرِ الْأَزْرَقِ الْأَزْرَقِ الْأَسْوَدِ الْأَسْوَدِ ،

وَأُلْقِي عَلَيْكَ بِالْفِثْيَانِ وَالْحِجَارَةِ ،

سَأَجْعَلُ عَلَيْكَ اللَّيْلَ سَرْمَدًا ، وَالتَّهَارَ أَبَدًا ،

سَأَتِيكَ بِأَتْبَاعِي مِنَ الْغُرَقَى ،

وَبِأَتْبَاعِكَ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْجَوْعَى إِلَى أَنْ يَحْجِبُوكَ عَنْهُمْ ،

آه ،

سَيَعْتَصِرُونَكَ كَالْحَلِيبِ ،

وَيَسْكُرُونَ بِكَ كَأَجُودِ الْخَمْرِ ، يَا عَصِيرَ الْفَاحِ وَالْأَعْنَابِ ،

وَيَا شَجَرَ الْفَاحِ ،

يَا شَرَابَ الْإِلَهَةِ وَالتَّبِيْنِ ،

أَعْطِنِي أَيُّهَا الْجَسَدُ كَلَامًا آخَرَ ؛ حَتَّى أَقْدِرَ عَلَى الْكَلَامِ ،

وَأَسْتَسْلِمَ لِمَقَاوِدِ الْحُرُوفِ ،

وَمَقَابِضِ الْأَفَاطِ ،
أَعْطِنِي أَيُّهَا الْجَسَدُ لُغَةً أُخْرَى ،
حَتَّى أَرَى اللُّغَةَ جَهْرَةً ، لَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
فَتَفْتَحُ الْمَغَالِيْقُ لِي . " (20)

وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ التَّمَوِذَجِينَ الْأَخِيرِينَ لَا يَعْتَمِدَانِ عَلَى التَّبَرِّ فَقَطْ لِإِنْتِاجِ الْإِقْقَاعِ ؛ وَإِنَّمَا
يَسْتَعْلَانِ طَاقَاتِ التَّوَازِي : التَّرْكِيبِيَّ وَالصَّرْفِيَّ وَالْدَّلَالِيَّ وَالْعِلَاقَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَرْبِطُ السُّطُورَ
بِبَعْضِهَا الْبَعْضَ ، مِمَّا يُسَاعِدُ فِي إِبْرَازِ الْإِقْقَاعِ الْكُلِّيِّ لِلنَّصِّ .

وَجَلِيٌّ أَيْضًا أَنَّ الشَّاعِرَ كُلَّمَا اقْتَرَبَ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ أَعْمَاقِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَاسْتَجَابَ لِعَوَالِمِهَا ،
وَاسْتَبْطَنَهَا ، اقْتَرَبَ أَكْثَرَ مِنْ طَبِيعَةِ التَّجَرِبَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَتَوَحَّدَ مَعَ صَوْتِ الدَّاخِلِ الْخَاصِّ ،
وَأَتَى إِيقَاعُهُ - مِنْ أَغْوَارِ اللَّاَوَعِي - أَكْثَرَ حَمِيمِيَّةً وَدِرَامِيَّةً وَهَارْمُونِي.

قَصِيدَةُ أُخْرَى .. قَصِيدَةُ مَنْ خَارِجِ الرَّحِمِ

... تَجْرِبَةُ مَجَلَّةٍ (شِعْر) اللُّبَنَانِيَّةِ ، نَمُودَجًا ...

كَيْفَ يَخْرُجُ الشَّعْرُ مِنْ فَصَاءِ النَّثْرِ ؟ ، وكيفَ تتشكَّلُ شَعْرِيَّتُهُ فِي حَقْلِ النَّثْرِ ؟ ، وَمَا وَسَائِلُ تحقيقِ الشَّعْرِيَّةِ هنا ؟ . رُبَّمَا كَانَ الْأَنْسَبُ أَنْ نَتَلَمَّسَ الْإِجَابَاتِ بِاسْتِكْشَافِ مَعَالِمِ التَّجَارِبِ الرَّائِدَةِ لِقَصِيدَةِ النَّثْرِ، ضِمْنَ تَجَمُّعِ مَجَلَّةٍ: (شِعْر) اللَّبْنَانِيَّةِ ؛ هَذَا التَّجَمُّعُ الَّذِي تَفَجَّرَتْ فِي فَصَائِهِ قَصِيدَةُ النَّثْرِ؛ فَتَعَهَّدَتْهَا شَكْلًا شَعْرِيًّا بَدِيلًا ، مِنْذُ مَطْلَعِ السَّيْنِيَّاتِ ، وَشَكَلَتْ سَجالاتُهُ الْأَسْئَلَةَ الْأَسَاسِيَّةَ الَّتِي لَا تَزَالُ تُسَيِّطِرُ عَلَى مَلَامِحِ وَإِشْكَالِيَّاتِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ، رَغْمَ أَنَّ قَصِيدَةَ النَّثْرِ لَمْ تَكُنْ الْمَشْرُوعَ الْأَسَاسِيَّ الْأَوْحَدَ لِمَجَلَّةٍ (شِعْر) ، حِينَ صَدَرَ عَدْدُهَا الْأَوَّلُ فِي كَانُونِ ثَانٍ (يَنَايِر) مِنَ الْعَامِ 1957 ، كَمَا أَنَّ تَجْرِبَةَ مَجَلَّةٍ: (شِعْر) ، أَيْضًا ، لَمْ تَكُنْ بِمَعزِلٍ عَنِ الْحَرَكَاتِ الْمُشَابِهَةِ ، السَّابِقَةِ ، وَمَا كَانَ شُعْرَاؤُهَا بِمَعزِلٍ عَنِ تَجَارِبِ الشَّعْرِ الْمُنْثُورِ مِنْذُ بَدَايَاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي ؛ فَتَوْفِيقُ صَايغ (1923 – 1971) الَّذِي بَدَأَ قَبْلَ بَزْوِغِ الْمَجَلَّةِ بِعَشْرِ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ (1947) ، لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا عَمَّا كَانَ يَنْشُرُهُ أَلْبِيرَادِي (1908 – 1985) ، وَالْبِير ، ذَاتُهُ ، - لَهُ قَصِيدَةُ نَثْرِيَّةٍ فِي الْعَدَدِ الْأَوَّلِ مِنْ: (شِعْر) - كَانَ حَلَقَةً فِي سِلْسَلَةِ الشَّعْرِ الْمُنْثُورِ ، وَوُجُودُهُ ضِمْنَ شُعْرَاءِ الْعَدَدِ الْأَوَّلِ مِنْ: (شِعْر) ، يَشِي بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ ، وَمِثْلُهُ إِبْرَاهِيمُ شُكْرَاللَّهِ (1921 – 1995) ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ بِمَنَآئٍ عَنِ تَجَارِبِ شُعْرَاءِ السَّرِّيَالِيَّةِ الْمِصْرِيِّينَ ؛ الَّتِي بَدَأَتْ فِي الظُّهُورِ مَعَ بَزْوِغِ الْأَرْبَعِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، وَتَوَاشَحَتْ مَعَ حَرَكَةِ السَّرِّيَالِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، لِلدَّرَجَةِ الَّتِي كَانَ أَحَدُ أَتَرِزِ شُعْرَائِهَا : جُورْجِ حَنِينَ : (1914 – 1973) يَكْتُبُ بِالْفَرَنْسِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ مَعًا ، غَيْرَ أَنَّ مَجَلَّةً: (شِعْر) جَسَدَتْ الْانْفِجَارَ الْحَدَاثِيَّ الْمُشَكَّلَ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، فِي شَكْلِهَا الْأَخِيرِ ، الْفَاعِلِ حَتَّى اللَّحْظَةِ .

وَهَكَذَا جَاءَتْ مَجَلَّةُ: (شِعْر) لِمِثَالِ الْمَرْحَلَةِ الثَّلَاثَةِ ، عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقِ ، وَفِيهَا انْبَثَقَ الْمُصْطَلَحُ الْجَدِيدُ ، الَّذِي - رَغْمَ الْانْقِسَامِ حَوْلَهُ - أَصْبَحَ يَتِمَتُّعُ بِاسْتِقْرَارٍ وَاضِحٍ ، وَمَعَهُ شَرَعُ الْمَفْهُومِ النَّظَرِيِّ ، لِهَذَا النَّوعِ الشَّعْرِيِّ فِي التَّشَكُّلِ ؛ لِتَحْدِيدِ مَعَالِمِ الْمَشْهَدِ الْجَدِيدِ ، وَقَدْ جَاءَتْ مَرْحَلَةُ التَّسْعِينِيَّاتِ ؛ بِتَحْوُلَاتِهَا الْعَمِيقَةِ ، لِتَدْفَعَ هَذَا الْمَشْهَدَ إِلَى صَدَارَةِ الْأُفُقِ الشَّعْرِيِّ ، بِأَعْدَادٍ كَاسِحَةٍ ، مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَجْيَالِ ، فِي مَسَاحَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْخَرِيطَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ ، وَلَا يَزَالُ لِمَوْقِفِ (شِعْر) حُضُورُهُ - بِرَغْمِ رَحِيلِ الْبَعْضِ ، وَتَحْوُلِ غَيْرِهِمْ ، وَتَوَقُّفِ آخَرِينَ - الْمُتَمَثِّلِ فِي اسْتِمْرَارِ أَحَدِ رُمُوزِهَا الْكِبَارِ : أَدُونِيس (1930 -) فِي السَّجَالِ .

ولا يكاد أحد الدارسين ، الآن ، يتعرّض لقصيدة النثر، دون أن يمرّ بمقالة أدونيس ، الرائدة عنها ، وبيان أنسي الحاج (1937 -) في مقدمة ديوانه الأول : لن ، عنها ، وهو ما يشي بأن هذه المرحلة ، (الثالثة) ، قد استقصت الأسئلة الأساسية المتعلقة بهذا النوع الشعري ، مستلهمه ، في هذا ، التجربة الفرنسية والتجربة الإنجليزية في هذا الشعر ، غير أنه ينبغي " ألا ننظر إلى هذه الجماعة كما لو كانت شديدة الانحياز ، تامة التجانس ؛ فقد توزّع شعراء مجلة شعر - بحكم عوامل تربوية ودراسية ودينية وغيرها - بين الثقافتين : الفرنسية والانجلوسكسونية ؛ فكان من أبرز ممثلي الثقافة الأولى : أدونيس ، أنسي الحاج ، شوقي أبو شقرا ، عصام محفوظ ، خالدة سعيد ، كمال خيربك ، وكان من أبرز ممثلي الثقافة الأخرى : يوسف الخال ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وتوفيق صايغ ، وإبراهيم شكر الله وغيرهم ، وكان أغلب من ساندوا المجلة وساهموا في نشاطها مؤرّعين على هذين الفضاءين الثقافيين ، باستثناء فؤاد رفقه ؛ الذي كان ذا ثقافة ألمانية . وقد نتج عن انتماء أعضاء الحركة إلى هذين الفضاءين الثقافيين ، بعض الصراع حول الشكل الذي يمكن أن تُبنى عليه القصيدة الحديثة : الشكل الإنجليزي المعروف بالشعر الحر Free Verse أم الشكل الفرنسي المعروف بقصيدة النثر Poeme en Prose ، ولا ح في بداية أمر المجلة أن الكفة راجحة لصالح ذوي الثقافة الانجلوسكسونية والشعر الحر ؛ إذ كانت تجربتهم قد بلغت بعض النضج من خلال إبداع شعري امتدّ على مدار عقد من السنين ، أمّا ذوو الثقافة الفرنسية فلم يكن لهم - في بداية أمرهم - موقف واضح مُعلن ، سوى بعض التعليقات العابرة التي تتخلّل نصوصهم النقدية الأولى ؛ نصوص أنسي الحاج أو خالدة سعيد ، حتّى انتبهوا - آخر 1957 - إلى بعض النماذج الشعرية التي كان ينشرها محمد الماغوط .. وهي نماذج .. تؤيد ما كانوا ينادون به ، من وجوب كتابة شعر جديد كلّ الجدة ؛ في مبادئه وفي معانيه ، فصار الترويج لمثل هذا الشعر ديدنهم ، وخاصة أن الماغوط قد وقرّ لهم .. الحجة القاطعة على أن العربية تقبل مثل هذا الشعر ، فازداد نشاط ذوي الثقافة الفرنسية ، وانطلقوا في حركة ترجمة كثيفة للنصوص الفرنسية المعبرة عن أفكارهم ، أو القرية منها ، وراحوا يخصّصون في كلّ عدد من أعداد المجلة - تقريباً - مساحة مهمة نسبياً ، يصنعون لها عنوان : "رسالة من باريس" ، يذيعون فيها أخبار الشعراء الفرنسيين المعاصرين ، ويعرفون بإنتاجهم ومعاركهم ، ويتبعون من خلالها ، ما يطرأ على الحركات الشعرية الفرنسية ."⁽¹⁾

وَهَكَذَا تَصَدَّرَ ذَوُو الثَّقَافَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، مَشْهَدَ " قَصِيدَةِ النَّثْرِ " مُسْتَلْهِمِينَ الْمَفْهُومَ النَّظْرِيَّ الْفَرَنْسِيَّ لِقَصِيدَةِ النَّثْرِ ، مِنْ أُطْرُوحَةِ سوزان برنار عن الشَّعْرِ الْفَرَنْسِيِّ : قَصِيدَةِ النَّثْرِ مِنْ بودلير إِلَى أَيَمِنَا ، وَظَلَّ أَقْرَانُهُمْ ، مِنْ ذَوِي الثَّقَافَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ يَعْمَلُونَ وَفْقَ إِطَارِ الشَّعْرِ الْحُرِّ ؛ بِمَفْهُومِهِ الْأَنْجِلُوسَكْسُونِيِّ ، وَبَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَجْمُوعَتَيْنِ بَرَزَ مُحَمَّدُ الْمَاغُوطُ ؛ الَّذِي كَانَتْ كُلُّ صِلَتِهِ بِمُنْجَزِ شَعْرِ النَّثْرِ الْعَرَبِيِّ لَا تَتَعَدَّى أَطْلَاعَهُ عَلَى بَعْضِ الْمُتَرْجِمَاتِ ، غَيْرَ أَنَّ وَعْيَهُ الشَّعْرِيَّ ، كَانَ أَمِيلًا إِلَى تَيَّارِ الثَّقَافَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَقَدْ حَدَدَتْ كُلُّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَجْمُوعَتَيْنِ الْأَسَاسِيَّتَيْنِ مَعَالِمَ اتِّجَاهِهَا الشَّعْرِيَّ ، بِالْتَّكْزِيرِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْقِيَمِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ الْعَامَةِ ، بَيْنَمَا هَيَمَنَ مُصْطَلَحُ قَصِيدَةِ النَّثْرِ عَلَى الْإِتِّجَاهَيْنِ مَعًا .

وَقَدْ هَيَمَنَتْ عَلَى إِسْهَامَاتِ الْمَجْمُوعَةِ الْأُولَى : تَوْفِيقُ صَايغ ، وَجَبْرُ إِبْرَاهِيمَ جَبْرًا ، وَإِبْرَاهِيمُ شُكْرُ اللَّهِ ، وَيُوسُفُ الْخَالِ : الْغِنَائِيَّةُ وَالسَّرْدُ ، وَالذَّاتُ الْجَمْعِيَّةُ ، وَالرُّؤْيُ الْكُلِّيُّ ، وَالتَّرَايُطُ الْمَنْطِقِيُّ وَالِدَّلَالِيُّ بَيْنَ السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَالتَّشْبُعِ بِالتَّصَوُّفِ الْمَسِيحِيِّ ، وَاسْتِقْصَاءَاتِ مِيثَافِيزِيَّةٍ .

بَيْنَمَا هَيَمَنَ عَلَى إِسْهَامَاتِ الْمَجْمُوعَةِ الْأُخْرَى : أَنْسِي الْحَاج ، وَأَدُونِيس ، وَزُمْلَانُهُمَا : الْمَحَازُ اللَّغَوِيُّ الْمُدْهَشُ ، وَالتَّشْطِي ، وَالتَّنَاضُرُ ، وَتَفْكِكُ الْعِلَاقِ اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ وَالِدَّلَالِيَّةِ ، وَالتَّوَهُجُ اللَّغَوِيُّ ، وَجَهَارَةُ الْإِيْقَاعِ ، وَحِدَّةُ النَّبَرَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَعَدَمُ التَّرَايُطِ الْمَنْطِقِيِّ أَوْ التَّسْلُسِ السَّرْدِيِّ الْقَائِمِ عَلَى الْعِلَاقَةِ السَّبَبِيَّةِ أَوْ عِلَاقَةِ النَّتِيجَةِ .

وَيُعَدُّ مُنْتَجُ الْمَجْمُوعَةِ الثَّانِيَةِ ، بِشَكْلِ عَامٍ ، الْإِنْجَارُ الْحَقِيقِيُّ الْمُؤَسَّسُ لظَاهِرَةٍ مَا عُرِفَ بِقَصِيدَةِ النَّثْرِ ، وَبِرْغَمِ مَا شَهِدَهُ الْمَشْهَدُ الشَّعْرِيُّ مِنْ تَحَوُّلَاتٍ شَعْرِيَّةٍ عَلَى مَدَارِ عَقُودٍ ثَلَاثَةٍ تَالِيَةٍ ، اتَّسَعَتْ فِيهَا فُضَاءَاتُهُ ؛ فَإِنَّ الْمَعَالِمَ الْأَسَاسِيَّةَ الْمُؤَسَّسَةَ لِلنَّوعِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي تَأَسَّسَ ، قَدْ تَمَّ عَلَى أَيْدِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ ، كَشْكُلٍ شَعْرِيٍّ ، وَإِطَارٍ نَظْرِيٍّ .

وَبِنَظَرَةٍ أَكْثَرَ تَفْصِيلًا ، وَإِلْمَامًا ، سَنَجْتَلي مَعَالِمَ هَذَا الْمَشْهَدِ بِالْوَلُوجِ إِلَى عَلَامَاتِهِ الْأَسَاسِيَّةِ ..

توفيق صايغ

يُعَدُّ أَقْدَمُ شُعْرَاءِ مَجَلَّةِ (شعر) النَّثْرَيْنِ ، وَيُمَثِّلُ ، وَحْدَهُ ، نَسِيجًا ، يُجَسِّدُ - كَمَا وَصَّحَ مَارُونُ عُبُود (1886-1962) - " صُوفِيَّةً مُتَمَرِّدَةً غَنِيَّةً " (2)، وَالْفِعْلُ الشَّعْرِيُّ عِنْدَهُ - كَمَا أَشَارَ سَعِيدُ عَقْل (1912-) - يُشْبِهُ الْحُلْمَ ، بَلْ " هُوَ مَخْضُ حُلْمٍ ، لَشِدَّةٍ مَا هُوَ حَيَاةٌ " (3)، وَالذَّاتُ الشَّاعِرَةُ عِنْدَهُ تُمَثِّلُ مَسِيحًا جَدِيدًا - كَمَا رَأَى غَالِي شُكْرِي (1935-1998) -

وَلَكِنَّ هَذَا الْمَسِيحَ " لَا يَرْتَدِي ثِيَابُهُ التَّارِيخِيَّةَ عَلَى خَشَبَةِ الصَّلِيبِ الْقَدِيمَةِ "(4)، وَهُوَ مَسِيحٌ مُتَمَرِّدٌ ، ثَائِرٌ ، يَكَاذُ لَا يَقْوَى عَلَى الْامْتِحَانِ الصَّعْبِ ؛ حَيْثُ كَانَ تَوْفِيقَ صَايغٍ – كَمَا وَضَحَ جَبْرًا إِبْرَاهِيمَ جَبْرًا – " يُعْبَرُ عَنْ حِسِّهِ الْفَاجِعِ ، أَوْ حِسِّهِ بِالْعُقْمِ ، بِشَكْلِ آخَرَ ، لَا عَنْ طَرِيقِ الْغَضَبِ ؛ بَلْ عَنْ طَرِيقِ الْمُحَاجَّةِ الدِّينِيَّةِ.. وَكَانَ دَائِمًا يَخْرُجُ بِنَتِيجَةٍ ، أَنَّ هَذِهِ الْقْوَى كُلَّهَا لَا تُؤْدِي بِهِ ، أَوْ لَا تَسْخَطِي بِهِ ، الْعُقْمَ الَّذِي يَرْفُضُهُ هُوَ "(5) :

أَكَلَمَا مَسَمَرَ الْوَحْلَ قَدَمَيَّ
وَشَلَّنِي الْإَيْدَيْنِ رَفَعُهُمَا إِلَيْكَ
تَسَمَّرْتُ وَشَلَلْتَ يَدَيْكَ
وَطَلَبْتَنِي بِالْإِنْبَاقِ بِالْأَرْتَقَاءِ إِلَيْكَ ؟
أَكَلَمَا صَرَخْتُ وَاسْتَعَثْتُ
وَكَسَبْتُ عَظْفَ مَنْ حَوْلَكَ
عَظَفْتُ لَكِنَّمَا أَكْتَفَيْتُ
(يَدَيْكَ أُرِيدُ يَدَيْكَ)
بِتَدْلِيَةِ حَبْلِ إِلَى ؟
وَمَاذَا إِنْ كُنْتُ فِي حِمَاةٍ
تَشْدُنِي شَبْرَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَشْدُنِي حَبْلُكَ قِرَاطًا ؟
وَمَاذَا إِنْ جَبَلْتَ ذِرَاعِي نَحِيفَيْنِ عَيْنَيْنِ
وَذَلَيْتَ حَبْلَكَ قَصِيرًا مُهْلَهًا
وَعَلَقْتُهُ مُسْتَرْخِيًا بِخَنْصِرِكَ ؟ (6)

الْمَوْقِفُ الشَّعْرِيُّ الْأَثِيرُ عِنْدَ تَوْفِيقِ صَايغٍ ، هُوَ ذَلِكَ الْمَوْقِفُ الدِّرَامِيُّ الْحَادُّ ؛ مَوْقِفُ الذَّاتِ الْفَرْدِيَّةِ الشَّقِيَّةِ ، طَرِيحَةِ الْعَرَاءِ ، فِي مُوَاجَهَةِ الذَّاتِ الْكُلِّيَّةِ الْمُسْتَبَدَّةِ ، الْمَعْشُوقَةِ الطَّاعِيَةِ ، لَا تَسْتَطِيعُ الْفِكَاكُ مِنْهَا ، وَلَا تَقْوَى عَلَى الْفِكَاكِ مِنْهَا ؛ وَلِذَلِكَ هِيَ فِي حَالَةٍ خِطَابٍ دَائِمٍ لَهَا ، خِطَابٍ يَحْتَدُّ أحيانًا لِيَصِلَ إِلَى دَرَجَةِ الْمُحَاجَّةِ ، فَالْعَوَاءِ ، تَتَطَوَّحُ بَيْنَ التَّوَدُّدِ وَالْإِحْتِدَادِ ، وَالْإِنْجَذَابِ وَالْمَحْوِ :

لَا أُرِيدُنِي أَنْ أَفِرَ وَلَا أَنْ أَمْلَسَ
وَأُرِيدُكَ أَنْ تَشُدَّنِي
وَتَرْفَعَنِي مِنْ حَيْثُ أَكُونُ أَوْ لَا أَكُونُ
أُرِيدُنِي أَفْعَوَانًا فِي جَوْفِ سَلَّةٍ
غَافِيًا
عَنْ ذَاتِهِ عَنْ السَّلَّةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
وَأُرِيدُكَ حَاوِيًا تَعَرَّى
إِلَّا مِنْ لَفَةٍ أَوْ لَفَتَيْنِ وَشَعْرَةِ الْقَاسِي
يُوقِظُنِي وَيُكُونُنِي وَيَرْفَعُنِي أَعْلَى
وَيُرْقِصُنِي عَلَى أَنْغَامِ مَرْمَارِهِ .⁽⁷⁾

وَالصُّورَةُ الْكُلِّيَّةُ ، عِنْدَهُ ، هِيَ الْأَسَاسُ ، وَإِنْ أَتَتْ الصُّورُ الْجُزْئِيَّةُ فَلِكِي تَكُونُ أَجْزَاءً مِنْ
مُكَوِّنَاتِ الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ فِي مَشْهَدِهَا الدَّرَامِيِّ ، وَيُلاحِظُ غَالِي شُكْرِي أَنْ صَايَغَ " شَعُوفٌ "
بِصُنْعِ هَارْمُونِي لِلْفِكْرِ .. فَالْهَارْمُونِي الَّذِي يَشْغَفُ بِهِ تَوْفِيقُ صَايَغَ إِلَى دَرَجَةِ الْجُنُونِ ، يَتِمُّ بَيْنَ
الْأَفْكَارِ بِمَعْنَاهَا التَّوْلِيدِيَّ الْمُشْعَّ الْخَالِقِ ، لَا بِمَعْنَى التَّصْمِيمِ وَالْحَذْفِ وَالْمَهَارَةِ فِي تَشْيِيدِ
الْمُعَادَلَاتِ " (8) ، وَهُوَ - مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ - أَكْثَرُ زُمَلَائِهِ تَجَرِبَةً وَتَحَقُّقًا مِنَ الدَّهْنِيَّةِ . وَيَحْتَفِي
تَوْفِيقُ صَايَغَ اخْتِفَاءً كَبِيرًا بِالْجَمَلِ الْاِعْتِرَاضِيَّةِ⁽⁹⁾ ، كَذَلِكَ بِدَمْجِ الْعَامِيَّةِ فِي الْفُصْحَى ، وَإِزَالَةِ
الْفَصْلِ الْكَهْنَوِيِّ بَيْنَهُمَا⁽¹⁰⁾ ؛ أَيَّ أَنْ مَفْهُومَ اللُّغَةِ الشَّعْرِيَّةِ عِنْدَهُ كَانَ رَحِيًّا وَخُرًّا .

جبرا إبراهيم جبرا

لَمْ يَكُنْ مَفْهُومُ جَبْرَا إِبْرَاهِيمَ جَبْرَا (1920 - 1994) لـ " الشَّعْرِ الْحُرِّ " مُنْحَازًا ، مُنْذُ الْبِدَايَةِ
، لِمَشْرُوعِ الشَّعْرِ بِالنَّثَرِ ؛ فَهُوَ يُشِيرُ فِي مُقَدِّمَةِ دِيَوَانِهِ الْأَوَّلِ : تَمُوزُ فِي الْمَدِينَةِ : 1959 ، إِلَى
الْحُرِّيَّةِ (فِي اسْتِخْدَامِ التَّفْعِيلَةِ وَالْقَافِيَةِ) ، فَيَعْتَمِدُ أَوْزَانًا عِدَّةً وَيَمَزُجُ بَيْنَهَا ، أَوْ يَخْرُجُ عَلَيْهَا
جَمِيعًا ؛ لِيَشْكَلَ إِيقَاعَ الْفِكْرَةِ ، وَيَتَعَدَّ عَنْ الرِّتَابَةِ ، وَهَذَا الْمَفْهُومُ يَرُدُّنَا ، سَرِيعًا ، إِلَى مَفْهُومِ
الشَّعْرِ الْحُرِّ ؛ الَّذِي أَطْلَقَهُ أَحْمَدُ زَكِي أَبُو شَادِي ، فِي عَامِ 1927 ، - فِي دِيَوَانِهِ : الشَّقَقْ

البَاقِي - وَأَشَارَ إِلَيْهِ كَثِيرًا فِيمَا بَعْدَ ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا شَادِي حِينَ دَعَا إِلَى مَزْجِ الْأَوْزَانِ لَمْ يَقُلْ بِإِدْخَالِ النَّثْرِ عَلَيْهَا ، فَقَدْ ذَكَرَ أَبُو شَادِي " أَنَّ رُوحَ الشَّعْرِ الْحُرِّ *Free Verse* إِنَّمَا هُوَ التَّعْبِيرُ الطَّلِيقُ الْفَطْرِيُّ ، كَأَنَّمَا النَّظْمُ غَيْرُ نَظْمٍ ، لِأَنَّهُ يُسَاوِقُ الطَّبِيعَةَ الْكَلَامِيَّةَ ، الَّتِي لَا تَدْعُو إِلَى التَّقْيِيدِ بِمَقَايِيسِ مُعَيَّنَةٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَهَكَذَا نَجِدُ أَنَّ الشَّعْرَ الْحُرَّ يَجْمَعُ أَوْزَانًا وَقَوَافِي مُخْتَلِفَةً حَسَبَ الْمَوْقِفِ ، وَمُنَاسَبَاتِهِ ، فَتَجِيءُ طَبِيعِيَّةٌ لَا أَثَرَ لِلتَّكْلِيفِ فِيهَا . " (11)

وَجَبْرًا حِينَ يَعْتَمِدُ هَذَا الْمَفْهُومَ ، يَدُلُّنَا أَنَّهُ لَمْ يَنْحَزْ ، تَمَامًا ، مِنَ الْبِدَايَةِ لِإِيقَاعَاتِ النَّثْرِ الْحُرَّةِ ، حَيْثُ قَالَ : " .. فِي قَصَائِدِي هَذِهِ أُعْنَى بِالتَّفْعِيلَةِ وَلَا أُعْنَى ، بَعْضُ الْأَبْيَاتِ مَوْزُونَةٌ وَبَعْضُهَا غَيْرُ مَوْزُونٍ ، وَقَدْ تَتَلَاخَقُ أَبْيَاتٌ مَوْزُونَةٌ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ مِنْهَا ، فِي الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ وَزْنٌ مُعَايَرٌ لِلْآخَرِ . وَالْقَوَافِي أَسْتَحْدِمُهَا أَوْ أُغْفِلُهَا حَسَبَمَا أُرْتَبِي ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنِّي إِذْ " أُمُوسِقُ " الْفِكْرَةَ أَوْ الصُّورَةَ ، أَرْفُضُ رَفْضًا قَاطِعًا أَيْ لَحْنٍ (أَوْ "بَحْرٍ") رَتِيبٍ ، فَإِذَا قُرِئَتْ كُلُّ مِنْ هَذِهِ الْقَصَائِدِ قِرَاءَةً جُهْرِيَّةً ، مَعَ فَهْمٍ لِنَبَاتِهَا الدَّاخِلِيِّ الصَّاعِدِ الدَّرَوِيِّ ، بَانَتْ مُوسِيقَايِ الْجَدِيدَةُ ، مَعَ بَيَانِ الصُّورَةِ نَفْسَهَا ، وَتَتَضَحُّ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ لِكُلِّ مَنْ يَعْرِفُ الْمُوسِيقَى الْأَوْرَاسْتَرِيَّةَ . " (12) وَمِنْ هَذِهِ الْقَصَائِدِ نَقْرُأُ :

سَمِعْتُ الشَّارِعَ يَبْكِي لِنَيَّامٍ

وَرَأَيْتُ الْبُيُوتَ تَقِيمُ الْعِظَامَ

عَلَى الْعِظَامِ

تُطَارِدُ الْأَخْلَامُ سُكَّانَهَا

فَيَرْفَعُونَ خَاوِيَاتِ الْأَيْدِي صَارِخِينَ :

أَلَا لَيْتَ الْعَوَاصِفَ لَا تَهَبُ . (13)

فَجَبْرًا ، هُنَا ، يَعْمَدُ إِلَى تَتَابُعِ أَوْزَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، تَتَلَاخَقُ فِي سَطَوَرِهِ الشَّعْرِيَّةِ ؛ فَيَبْدَأُ بِإِيقَاعِ الْخَبَبِ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمُتَدَارِكِ ، ثُمَّ إِلَى الرَّجَزِ ، ثُمَّ السَّرِيعِ ، ثُمَّ يَمَزْجُ فِي السَّطْرِ الْآخِرِ الْهَزَجَ وَالْوَافِرَ . وَكُلُّ هَذَا الْخَلِيطِ الْعَرُوضِيِّ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ الصَّغِيرِ ، يَطْمَحُ إِلَى إِيجَادِ إِيقَاعٍ جَدِيدٍ ، لَا يَخْرُجُ عَلَى الْعَرُوضِ ، وَهُوَ مَا سَيَتَخَطَّاهُ جَبْرًا فِيمَا بَعْدَ ، وَحِينَئِذٍ سَيُوضِّحُ أَنَّ " الشَّعْرَ الْحُرَّ " تَرْجُمَةٌ حَرْفِيَّةٌ لِمُصْطَلَحٍ غَرْبِيِّ هُوَ *Free Verse* بِالْإِنْكَلِيزِيَّةِ ، *Vers Libre* بِالْفَرَنْسِيَّةِ ، وَقَدْ أَطْلَقُوهُ عَلَى شِعْرِ خَالٍ مِنَ الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ كِلَيْهِمَا . إِنَّهُ الشَّعْرُ الَّذِي كَتَبَهُ وَالتَّوَمَّنُ ، وَتَلَاَهُ فِيهِ شُعْرَاءُ كَثِيرُونَ فِي آدَابِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَكُتِّبَ الشَّعْرُ الْحُرُّ بَيْنَ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ الْيَوْمَ ، هُمْ أَمْثَالُ مُحَمَّدِ الْمَاغُوطِ وَتَوْفِيقِ صَايغٍ وَكَاتِبِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فِي حِينِ أَنَّ " قَصِيدَةَ

النَّشْرُ" ، هِيَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي يَكُونُ قَوَائِمُهَا نَشْرًا مُتَوَاصِلًا ، فِي فِقَرَاتٍ كَفَقَرَاتِ أَيِّ نَشْرٍ آخَرَ" (14)، وَجَبْرًا هُنَا لَمْ يُحَدِّدْ " الشَّعْرُ الْحُرُّ" بِالْمَفْهُومِ الَّذِي يَعْرِفُهُ شُعْرَاءُ الْأُمَمِ الْأُخْرَى – وَهُوَ مَا كَانَ أَمِينُ الرِّيحَانِي (1876-1940) أَوَّلَ مَنْ عَرَّفَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ (15) – فَحَسَبَ ، وَإِنَّمَا مَيَّزَهُ عَنْ قَصِيدَةِ النَّشْرِ ، وَيَتَسَقُّ هَذَا مَعَ تَمْيِيزِ دُوجَارْدَانِ بَيْنَهُمَا ؛ حِينَ رَأَى أَنَّ قَصِيدَةَ النَّشْرِ كَانَتْ " مُحَاوَلَةً لِتَحْرِيرِ الشَّعْرِ، بِاتِّخَاذِ النَّشْرِ نُقْطَةً انْطِلَاقٍ ، كَمَا كَانَ الشَّعْرُ الْحُرُّ ، وَالْبَيْتُ الْقَصِيرُ، تَمَثِيلًا لِلْمُحَاوَلَةِ نَفْسِهَا ، بِالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ " (16)

غَيْرَ أَنَّ الْمُتَحَقِّقَ الشَّعْرِيَّ ، فِي الْمَرْحَلَةِ التَّالِيَةِ – مَرْحَلَةِ : الْمَدَارِ الْمُغْلَقِ : 1964، وَ: لَوْعَةِ الشَّمْسِ: 1979 – لَمْ يَتَجَاوَزْ ، فِي أَهْمِيَّتِهِ الشَّعْرِيَّةِ مَا بَدَأَ بِهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي نَصِّ : هَلَاوَسَ ، مِنْ دِيَوَانِهِ : الْمَدَارِ الْمُغْلَقِ :

قَاه قَاه قَاه

كَضَحْكَةِ الْخَنْزِيرِ فِي حَمَاةِ الْقَوَادِيرِ
ضَحْكُهُ، ضَحْكُهَا -

الْأَسْوَدُ، السَّوْدَاءُ، الْبَغِي فِي الدَّوَاحِلِ
مِنْ الْأَعْمَاقِ الْمُظْلِمَاتِ وَجْهَهُ كَوَجْهِ حِصَانِ الْمَاءِ
ضَحْكُهُ عَلَى الشَّدَقِينَ قَرْقَرَةُ السَّوَاقِي

تَتَقُّ الضَّفَادِعُ فِيهَا اللَّيْلَ بِطُولِهِ ،
ضَحْكَةُ الظُّلَمَاءِ ، ضَحْكَةُ الْهَزْنِ الَّذِي ،
سِوَى الضَّحْكَةِ السَّوْدَاءِ هَذِهِ ،

لَا يَعْرِفُ صَوْتًا فِي الدَّوَاحِلِ ...
ثُمَّ يَنْحَسِرُ السَّوَادُ ، وَيَطْفُو

شَيْءٌ كَالضَّبَابِ أَوْ النَّعَمِ
وَيُسْفِرُ وَجْهَهُ شَفَاهُ الرِّيَّانَتَانِ هُمَا
دَعْوَةٌ وَغَوَايَةٌ -

وَلَيْمَةٌ تُبْدَأُ وَاتِّصَافُ اللَّيْلِ بِشَفَاهِ
تَمْرُجُ الْخَمَرُ بِالرِّيقِ عَلَى اللِّسَانِ ،

نَقُولُ فِيهَا السَّاحِرَةُ ، لا ، لا ، لا ،
وَسَلِمَ نَدِيْنُ شَقَّتْ عَنْهُمَا قَمِيصًا لِيَدَي .
لا ، لا ، ثُمَّ تَسْكُتُ الشَّفَتَيْنِ عَلَى فَمِي
مُسْقِطَةً بَيْنَ يَدَي فَاكِهَتَيْنِ مِنْ غُصْنِ طَرِي .⁽¹⁷⁾

إبراهيم شكرالله

صَدَّرَ إبراهيم شكرالله ديوانه الوحيد : " مَوَاقِفُ الْعِشْقِ وَالْهَوَانِ وَطُيُورُ الْبَحْرِ " ، بِمُقَدِّمَةٍ وَافِيَةٍ ، وَدَقِيقَةٍ ، يَرْصُدُ فِيهَا تَجْرِبَتَهُ الشَّعْرِيَّةَ ، رَصْدًا رُبَّمَا يعلو فيه الطُّمُوحُ عَلَى الْمُتَحَقِّقِ الشَّعْرِيِّ ، وَفِيهَا يُبَيِّنُ تَوَقُّفَهُ إِلَى الْغُنُورِ عَلَى لُغَةٍ جَدِيدَةٍ ، زَاهِدَةٍ ، وَنَظِيفَةٍ ، وَمُكْتَفَةٍ ، لـ " ابْتِدَاعِ لُغَةٍ جَدِيدَةٍ ، وَشَكْلِ جَدِيدٍ ، يُعَبِّرُ عَنِ التُّزْوَعِ الْحَارِقِ إِلَى الْحُرِّيَّةِ الْكَامِلَةِ " ⁽¹⁸⁾ ، وَيَتَكَشَّفُ فِيهَا انْبِهَارُهُ الْعَمِيقُ بِكثافةِ اللغةِ وَاحْتِدَامِهَا ، فِي كِتَابٍ : الْمَوَاقِفُ وَالْمُخَاطَبَاتُ ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى وَعِيهِ الطَّلِيعِيِّ بِطَبِيعَةِ الْإِبْدَاعِ فِي الشَّعْرِ الْحُرِّ ، كَمَا تُجَسِّدُهُ تَجَارِبُ الشُّعْرَاءِ الْغُرَبِيِّينَ ، وَيُعَبِّرُ عَنْ هَذَا الْوَعْيِ تَعْبِيرًا وَافِيًا بِقَوْلِهِ : " آثَرْتُ نَهْجَ النَّقْرِ ؛ حَيْثُ الْإِيْقَاعُ حَرَكَةٌ تَنَاعُمُ دَاخِلِي ، وَلَيْسَ تَطَائُفًا نَعْمِيًّا ، بَيْنَ أَجْزَاءٍ خَارِجِيَّةٍ شَكْلِيَّةٍ ؛ بَحِثُ يَتَوَحَّدُ الشَّكْلُ وَالْمَضْمُونُ تَوَحُّدًا جَوْهَرِيًّا ؛ فَلَا يَنْفَصِلُ الْمَضْمُونُ عَنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْهُ ، وَالَّتِي تَنْزَحِرُ بِمَعَانٍ لَا تَسْتَطِيعُهَا الْكِتَابَةُ النَّشْرِيَّةُ ، كَلِمَاتٌ تُشِيرُ وَتُؤَمِّئُ وَتُوحِي بِأَكْثَرِ مِمَّا تَقُولُ ، وَرَأَيْتُ - كَمَا رَأَى شُعْرَاءُ الْغُرَبِ الْمُحَدِّثُونَ الَّذِينَ آثَرُوا نَهْجَ الشَّعْرِ الْحُرِّ - أَنَّ التَّعْبِيرَ الدَّافِقَ الْمُنْطَلِقَ ، بِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ بَطَانَاتٍ عَاطِفِيَّةٍ مُكْتَفَةٍ ، يَحْمِلُ كَذَلِكَ مُوسِيقَاهُ الْخَاصَّةَ بِهِ ، وَأَنَّهُ عَلَى نَقِيضِ الْإِيْقَاعِ التَّقْلِيدِيِّ الْمُنْتَظَمِ أَكْثَرُ تَنُوعًا وَتَهْدُّجًا ؛ يَفُورُ وَيَتَدَفَّقُ مَعَ ارْتِفَاعِ الْعَاطِفَةِ ، وَيَهْدَأُ مَعَ انْحِسَارِهَا ، وَيَتَكَسَّرُ مَعَ ازْدَوَاجِيَّةِ الْمَشَاعِرِ وَتَنَاقُضِهَا . وَهَكَذَا اسْتَبَحْتُ فِي بِنَاءِ الْقَصِيدَةِ مَكُونَاتِهَا الْأَصْلِيَّةَ : طَبِيعَةُ الْأَلْفَاظِ ، وَقِيَمَتِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَالْعَرُوضِ وَالْبِنَاءِ وَالنَّعْمِ ، وَسَعِيْتُ ... لِاخْتِطَاطِ مَسَارَاتٍ ، نَحْوِ التَّجْرِيدِ وَالتَّعْبِيرِ وَالْكَثَافَةِ وَالتَّرَاكُمِ الْمَضْغُوطِ ؛ لِإِحْدَاثِ تَحَاوِيرٍ حَافِلَةٍ بِالتَّوَثُّرِ وَظُلَالِ الْمَعَانِي ، كَمَا جَعَلْتُ الْإِيْقَاعَ نَابِعًا مِنْ مَوْضُوعِ الْقَصِيدَةِ ، وَتَعْبِيرًا عَنْهَا . " ⁽¹⁹⁾

أَمَّا مَوْضُوعَاتُهُ الْإِثْرَةُ ، فَهِيَ الَّتِي " تَعَكِّسُ الْوَحْشَةَ ، وَالْقَلَقَ ، وَالْخَوْفَ ، وَالشَّبَقَ إِلَى الْمَجْهُولِ ، وَالتَّشَوُّقَ إِلَى الْمُطْلَقِ ، وَالسَّعْيَ وَرَاءَ الْوُجُودِ الْكَامِلِ . " ⁽²⁰⁾

إِنَّ شُكْرَ اللَّهِ شَاعِرٌ اسْتِطْنَانِي ، ذُو رُؤْيٍ تَجْرِيدِيَّةٍ كَلِّيَّةٍ حَادَّةٍ ، وَنَبْرَةٍ شِعْرِيَّةٍ مَلْحَمِيَّةٍ كَثِيفَةٍ ؛
تَجْمَعُ بَيْنَ الرُّؤْيِ الْكَلِّيَّةِ لِلْوُجُودِ - فِي الْغَالِبِ - وَالْوَعْيِ الْفَرْدِيِّ الْمَعِيشِ الْجَدِيدِ ، وَيَتَوَاشَحُ
الْمَوْقِفُ الْفِكْرِيُّ الصُّوفِيُّ ، فِي خِطَابِهِ ، مَعَ الْمَوْقِفِ الشَّعْرِيِّ ، فِي جَدِيدَةِ شِعْرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، قَدْ
يَعْلُو الْمَوْقِفُ الْأَوَّلُ عَلَى الْأَخِيرِ فِيهَا ، عَبْرَ هَيْمَنَةِ التَّجْرِيدِ ، وَالْجُنُوحِ إِلَى الْمُطْلَقِ ، عَلَى
الْفِعْلِ الشَّعْرِيِّ ، لِلدَّرَجَةِ الَّتِي تَعَكُسُ الْمَوْقِفَ الْفِكْرِيَّ ، رُبَّمَا أَقْوَى مِنَ الْمَوْقِفِ الشَّعْرِيِّ ،
بِحَرَكَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ الْجَيَّاشَةِ ، كَمَا أَنَّ اعْتِمَادَهُ عَلَى الْمُخَاطَبَاتِ بِشَكْلِ طَاغٍ لَا يَجْعَلُ النَّصَّ يَنُمُو
مِنْ دَاخِلِهِ نَمُوًّا حَقِيقِيًّا ؛ فَيَفْقَدُ تَوَثُّرَهُ الدَّاخِلِيَّ ، وَهَذَا الْمَوْقِفُ يُعَزِّزُ قِيَمَ الْإِخْبَارِ عَلَى
الْإِنْشَاءِ ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ تَجَلِّيَاتِ الْفِكْرِ أَكْثَرَ حُضُورًا مِنْ تَجَلِّيَاتِ الشَّعْرِ ، كَمَا يَبْدُو فِي
مَطْلَعِ نَصِّهِ : "مَوْعِظَةُ الْجَبَلِ" ، الَّذِي جَاءَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ :

مَا أَجْهَلُهُ سَأَقُولُهُ

مَا أَعْلَمُهُ سَأُخْفِيهِ

وَحِينَمَا يَنْطَوِي الْغَدُ سَأَظِلُّ أَسْأَلُ وَلَا أُجِيبُ

مَا أَفَكَّرْتُ فِيهِ سَأُذَكِّرُهُ

سَأَتَكَوَّرُ عَلَى الْحَقِيقَةِ

وَأُطْلِقُ بُنَاحَ الْإِفْكِ

وَمَا يَبْقَى

سَأَنْتَرَعُهُ بِالْأَظْفَارِ مِنَ الْعَرِينِ

ثُمَّ يَنْتَقِلُ الشَّاعِرُ ، فِي النَّصِّ نَفْسِهِ ، إِلَى إِعْلَاءِ الْمَوْقِفِ الشَّعْرِيِّ عَلَى الْمَوْقِفِ الْفِكْرِيِّ ؛
لِيُقَدِّمَ شِعْرًا حَقِيقِيًّا ؛ حِينَمَا يَنْسَحِبُ إِلَى دَاخِلِ التَّجْرِبَةِ ؛ لِيُقِيمَ عِلَاقَاتِهِ التَّشْكِيلِيَّةَ وَالْبَنَائِيَّةَ
، مُتَخَفِّفًا مِنْ إِلْحَاحِ الْفِكْرِ :

تَعْلَمِينَ أَنِّي مِتُّ مِنْ قَبْلُ

مِنْ الْأَرْبَعِينَ حَتَّى السِّتِينَ

مُسَجِّي فِي حُفْرَةٍ

فِي مَيْدَانِ التَّحْرِيرِ

عِنْدَ النَّافُورَةِ الَّتِي

جَفَّتْ مِيَاهُهَا

الَّذِينَ شَرَبُوا خَمْرِي

مَزَجُوا مَائِي بِالسُّمِّ

وَهَا عَجَائِزُ الْأَمْرِيكَاتِ

يُهِرَعْنَ إِلَى الْمُتَحَفِّ

وَيُشِحْنَ بِأَنُوفِهِنَّ مِنْ رَائِحَةِ عَفْنِي

وَالَّتِي أَرَادَتْ أَنْ تَنْهَشَ جِسْمِي

أَعْطَيْتُهَا قَلْبِي

فَمَاتَتْ مِنْ مَرَارَتِهِ

هَكَذَا تَكْمُنُ الْمُشْكِلَةُ ، عِنْدَ شُكْرِ اللَّهِ — كَمَا هِيَ عِنْدَ جَبْرَا إِبْرَاهِيمَ جَبْرَا ، وَعِنْدَ يُوسُفَ الْخَالِ
أَيْضًا- فِي دَرَجَةِ الْوَعْيِ وَتَجَاهُلِ الْمُنْطِقَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلشَّعْرِ؛ هَذِهِ الَّتِي تَتَدَاخَلُ فِيهَا حَالَاتُ
الْغِيَابِ وَالْحُضُورِ ، حَالَاتُ اللَّاوعِي وَالْوَعْيِ ، حَالَاتُ الْحُلْمِ وَالْيَقَظَةِ ؛ حَيْثُ تَظَلُّ التَّجْرِبَةُ
تَتَطَوَّحُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ .

أدونيس

انْهَمَكَ أدونيس (1930-) فِي اسْتِحْدَاثِ بِنْيَةِ الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ ؛ بِتَأْسِيسِ لُغَةٍ لَا تَقُولُ
بِقَدْرِ مَا تَتَجَسَّدُ ؛ " بِعَرَضِ اللُّغَةِ فِي مَشْهَدٍ بَدَلٍ أَنْ يَسْتَعْمِلُهَا " (21)، وَهُوَ فِي أَوَّلِ تَجْرِبَةٍ لَهُ
بِالشَّعْرِ نَشْرًا فِي عَامِ 1958، الْمُسَمَّاةِ: أَرْوَادُ يَأْمِيرَةِ الْوَهْمِ ، يَبْدُو مُنْحَازًا لِأَدَائِهِ اللَّغَوِيِّ ،
وَتَصَوُّيرِهِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى تَشْكِيلَاتِ اللُّغَةِ ، وَاحْتِفَائِهِ — تَحْدِيدًا — بِالِاسْتِعَارَةِ ، وَبِالِالْتِفَاتِ ،
وَبِالْمُخَاطَبَاتِ ، وَبِالْتَكْثِيفِ اللَّغَوِيِّ ، وَبِالْتَوَازِيَّاتِ . وَأَدُونِيسُ يَرَى ضَرُورَةً فِي هَذَا التَّشْكِيلِ
الْمَجَازِيِّ ؛ فَبِدُونِهِ سَيَكُونُ النَّصُّ الشَّعْرِيُّ بَلَا " خَصِيصَةٍ يَنْفَرِدُ بِهَا ، فَمَا نَرَاهُ فِيهِ مِنْ
خَصَائِصٍ شِعْرِيَّةٍ، يُمَكِّنُ أَنْ نَرَاهُ فِي رِوَايَةٍ ، أَوْ قِصَّةٍ ، أَوْ كِتَابَةِ نَشْرِيَّةٍ أَدْبِيَّةٍ ، وَهَذَا مِمَّا يَجْعَلُ
هَذَا الْإِنْشَاءَ هَشًّا ، وَيَجْعَلُ مِنْ كِتَابَتِهِ مِسَاحَةً مَشَاعًا : قَدْ تَعَجَّبْتُ فِي هَذِهِ الْمِسَاحَةِ زَهْرَةً هُنَا
، أَوْ نَبْتَةً هُنَاكَ ، لَكِنَّهَا تَبْقَى تَنَاقُزًا ، نَوْعًا مِنَ التَّعْبِيرِ ، وَيَبْقَى هَذَا الْإِنْشَاءُ ، فِي أَحْسَنِ
حَالَاتِهِ ، نَوْعًا مِنَ الْخَوَاطِرِ . " (22):

...وَتَاتَيْنِ يَا طُفُولَةً يَا تَمِيمَةَ الْعُمَرِ ، وَالْمَوْتُ يَرْسُمُ

صُلبَانَنَا ، وَيَقْضِمُ أَطْرَافَنَا الْحَالِمَةَ ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا لَأَرْوَادٍ غَيْرِ الشَّعْرِ وَغَيْرِ أَطْيَافٍ مِنْ
الْبَحْرِ وَالْكَنَاسِ . وَتَرْكِينَا ، يَا حُضُورَنَا ، لِأَيَّامِنَا الْمَيِّتَةِ وَحُفَرِ صَغِيرَةٍ كَأَجْسَامِنَا
مَسْقُوفَةٍ بِالصَّلَاةِ وَالرَّمْلِ . اْمْلَأْنِي ، يَا وَهْمُ الطُّفُولَةِ - حَيْثُ الْعُمَرُ حُرْبَةُ الْمَوْتِ .

أَمَّا مَكَانُ أَحْنِي ، أَصِيرُ فَوْسًا مِنَ الشَّعْرِ ، وَأُسْتَفِدُّ أَحْنَانِي . (23)

يلعبُ التَّدْوِيرُ ، هُنَا ، دَوْرًا فَاعِلًا فِي اتِّصَالِ الْإِيْقَاعِ وَالتَّرْكِيبِ التَّحْوِيِّ ؛ وَمِنْ ثَمَّ الدَّلَالِيِّ ؛
لِيَقْدَمَ دَقْفَةً شِعْرِيَّةً ، يَلْعَبُ الِاتِّفَاتُ ، فِيهَا ، دَوْرًا مُهِمًّا ، لِإِنْعَاشِ الْخِطَابِ ، وَكُسْرِ رَتَابَةِ
السَّرْدِيَّةِ ، كَمَا يُؤَدِّي دَوْرًا فَنِيًّا آخَرُ ؛ هُوَ إِبْرَازُ الْمَفَارِقَةِ ، عَبْرَ إِقَامَةِ عَالَمِ الطُّفُولَةِ الْمُسْتَدْعَى ،
فِي مُقَابِلِ عَالَمِ الْمَوْتِ الْجَائِمِ الطَّاعِي ، وَتَكَرُّارِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْعَالَمَيْنِ يُعَدُّ تَجَلِيًّا لِلتَّوَازِي
الدَّلَالِيِّ ، يَتَآزَرُ مَعَ التَّوَازِي التَّرْكِيبِيِّ فِي النَّصِّ ، وَيُؤَدِّي النَّبْرَ وَظِيفَةَ التَّوَازِي الْإِيْقَاعِيِّ وَهُوَ
يُسَاعِدُ عَلَى تَكْشِيفِ اللُّغَةِ ، وَثَمَّةَ اهْتِمَامٍ وَاضِحٍ بِالتَّصْوِيرِ الْاسْتِعَارِيِّ ، وَبِهَذَا التَّصْوِيرِ كَثِيرًا مَا
يَعْمَدُ أَدُونِيْسُ لِتَجْسِيدِ حَالَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ الْمُتَمَرِّدَةِ :

- 6 -

السَّمَاءُ ، هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، أَمْرَأَةً تَفْتَرِشُ سَرِيرِي

السَّمَاءُ فَرَّاشَةً تُسْكُنُ الْمَكْتَبَةَ ، -

وَأَنَا كَلِمَاتِي بِلاَوْعٍ ، أَتَوَحُّ بِرِيشَةِ قَلْبِي ، وَأَنْزَوْجُ الرِّيحِ ، وَلَيْسَ فِي طَرِيقِي غَيْرُ الْخَرَائِطِ

الْمَمْرُوقَةِ وَغَيْرِ الرَّعْدِ . لَا التَّهَارُ يُعْرِفُنِي وَلَا الْبَيْتُ ، وَفَوْقَ تَرَابٍ بِلَوْنِ النِّسْيَانِ ، أَتْرُكُ

خُطُوتِي تَنْمُو . (24)

ثَمَّةَ شَغَفٍ وَاضِحٍ - لَدَى أَدُونِيْسٍ - بِتَكْشِيفِ الْبُنْيَةِ الْمَجَازِيَّةِ ؛ لِتَجْسِيدِ حَالَةِ التَّلَاشِيِ
الصُّوفِيِّ ، وَالْفَنَاءِ فِي عَالَمِ مُشَوِّهِ ، شَطَايَاهُ لَا تَعْرِفُ الشَّاعِرَ ، وَهُوَ لَا يَرْحَلُ عَنْ هَذَا الْعَدَمِ
لِيَتَبَدَّدَ تَمَامًا ، فَسَتَنْمُو خُطُوتُهُ : آثَارُهُ وَرَاءَهُ ؛ وَبِالتَّلَاشِيِ فَلَنْ يَتَبَدَّدَ فِعْلُهُ الْمُغَايِرُ بِرَحِيلِهِ ، سَيَكُونُ
رَحِيلُهُ ضَرْبًا مِنَ الْإِقَامَةِ .

ولأدونيس نصٌّ آخرٌ بعنوانٍ : مَرثِيَةُ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ ، ينتمي إلى هذه المَرْحَلَةِ وتَارِيخِهَا ؛ للدرْجَةِ التي تَتَكَرَّرُ فِيهَا عِدَّةُ سَطُورٍ شِعْرِيَّةٍ فِي النَّصِّينِ ، وَهَاهُنَا تَمْتَدُّ الرُّؤْيَا ذَاتُهَا وَتَتَوَاصَلُ الطَّرَائِقُ الْجَمَالِيَّةُ ، وَيَتَوَهَّجُ مَوْقِفُ الشَّاعِرِ الثَّوْرِيِّ ؛ حَيْثُ الشَّعْرُ ثَوْرَةٌ فِي اللُّغَةِ بِاللُّغَةِ عَلَى اللُّغَةِ ، وَالشَّاعِرُ الَّذِي يُعِيدُ إِبْدَاعَ الْعَالَمِ ، وَتَشْكِيْلَهُ ، فِي أَدَاءٍ غَنَائِيٍّ ثَوْرِيٍّ ، ذِي صَدَى مَلْحَمِيٍّ ، وَنَكْهَةٍ نَبَوِيَّةٍ ، وَفِيْمَا يُغْرِي الْأَدَاءَ الشَّعْرِيَّ بِالْبَسَاطَةِ تَتَفَاعَلُ الْبَنَى الْمَجَازِيَّةُ وَتَتَنَوَّعُ الْأَسَالِيْبُ :

- 3 -

هُوَذَا شَعْبٌ يُفْرِشُ وَجْهَهُ لِلْسَّنَابِكِ ، هِيَ ذِي بِلَادٍ أُجْبِنُ مِنْ رِيْشَةٍ وَأَذِلُّ مِنْ عَتَبَةٍ .
 مَنْ يُرِينَا عُصْفُورًا مَا ؟ مَنْ يُعَلِّمُنَا أَبْجَدِيَّةَ
 الْهَوَاءِ ؟ وَحَدَّنَا فِي الْمَفَارِقِ نَنْتَظِرُ ، الرَّمْلُ يَمْحُو مَنَارَتَنَا وَالشَّمْسُ تُهْتَرَى فِي تَجَاعِيدِ
 أَيْدِينَا
 آهِيَا بِلَادِي يَا جِلْدَ الْحَرْبَاءِ ، عِطْرُكَ مَطَاطِيحُ حَرْقٍ ،
 فَجْرُكَ وَطَوَاطِيكِي . غَيْرَ الْفَاجِعَةِ لَا تَلْدِينِ ، غَيْرَ الْحَلْزُونِ لَا تُرْضِعِينِ
 هُوَذَا سَيِّدُكَ يَا خَادِمَةً . هَاتِي لِي قَهْوَةَ عَدَنٍ ، هَبِّي سَرِيرَهُ وَأَنَا سَيِّدُ الرَّفْضِ -
 بَعِيدًا عَنِ النَّافِذَةِ أُرْتَجِفُ ، وَبِالْفَتَاتِ أَكُتِبُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ؛
 فِي أَهْدَابِي دَمْعُ الرُّتِيْلَاءِ ، فِي حَنْجَرَتِي مِزْمَارُ الْمَوْتِ ، أَتُوجُّ بِرِيْشَةٍ قَلْبِي وَأَتَزَوَّجُ الرِّيحَ ،
 وَلَيْسَ فِي طَرِيقِي غَيْرُ الْخَرَاطِ الْمَمْرَقَةِ وَغَيْرُ الرَّعْدِ .
 لَا التَّهَارُ يُعْرِفُنِي وَلَا اللَّيْلُ وَفَوْقَ تَرَابٍ بِلَوْنِ النَّسِيَانِ أَتُرْكُ خُطُوتَايَ نَتْمُو
 سَلَامًا أُنْهِيَ الْجَنَّةَ الْعَائِمَةَ يَا حَيَاتِي ، وَاحْتَرَقَ يَا جَسَدِي أَيُّهَا الرُّؤْيَا الْكَثِيبَةُ ، يَا
 حَمَامَةَ الْوَدَاعِ ! . (25)

أُنْسِي الْحَاج

إِذَا كَانَ الشَّعْرُ عِنْدَ أَدُونِسَ يَقُومُ بِإِعَادَةِ تَشْكِيلِ الْعَالَمِ بِاللُّغَةِ ، فَإِنَّ أُنْسِي يَقَعُ عَلَى مَوْقِعٍ وَثِيقٍ الصَّلَةِ بِهَذَا الْمَوْقِعِ ؛ حَيْثُ يَقُومُ الشَّعْرُ عِنْدَهُ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْعَالَمِ بِاللُّغَةِ . وَهَكَذَا مَضَى فِي تَثْوِيرِ بِنْيَةِ الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ ، بِانْتِهَاكِ أَنْظِمَةِ الْجُمْلَةِ ، وَتَفْجِيرِ أَنْسَاقِهَا الْمَعْرُوفَةِ ، وَخَلْخَلَةِ تَرَكَيبِهَا ، وَوَضَلِ نَفَارَاتِهَا وَتَشْطِيطَاتِهَا وَتَشْذِيرِهَا ، وَإِقَامَةِ الْفَجَوَاتِ بَيْنَهَا ، وَالْحَدِّ مِنْ انْتِشَارِ حُرُوفِ الْعَطْفِ ، وَالْانْتِقَالِ الْحَادِّ بَيْنَ الْجَمْلِ وَالْأَسَالِيبِ ، وَقُوَّةِ النَّبْرِ ، وَالْجَمْعِ بَيْنَ " آليَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ : تَنَاعُجٍ وَزْنِيٍّ وَتَعَارُضُ تَرْكِيبِيٍّ " (26) :

إِنَّهُمْ يُحْيُونَنِي وَيَتْرَكُونَنِي تَحْتَ وَطْأَةِ الْغَدْرِ ، لَكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ يَنْسِمُونَ وَيَعْرِفُونَ حَوَاجِبَهُمْ عَلَى نَعَاسَتِي ، وَلَا أَنْتَ يَعْلَمُ . أَنْتَ أَسْطَوَانَةٌ مِنَ الْوَعْظِ الضَّائِعِ . لَا تَنْقُ ، قَدْ أَعْضَكَ (عَفْوُكَ) . عِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ أَنْفَتُ كُلِّدِي نَعْمُ حَزِينٌ مُرَاجِعٌ . إِنَّكَ قَاسٌ ، جَانِبِيٌّ ، وَبَارِدٌ . أَطْلُبُ مِنْكَ الرَّحْمَةَ عَجَلِي ، وَتَمْتَنِعُ عَنِ التَّمَايْلِ كَأَنَّكَ أَنْضَجُ . لَمَّا جَلَسْتُ قُرْبِي كَانَتْ تَظُنُّ أَنَّهَا تَحْضِنُ مَاهُولًا ، وَلَمْ يَأْتِهَا الصُّبْحُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنَّهَا الْكَاهِنُ ! (27)

يَتَّضِحُ هُنَا اعْتِمَادُ الشَّاعِرِ عَلَى " التَّوَازِي ، فِي بِنَاءِ الْجَمْلِ الشَّعْرِيِّ وَزْنِيًّا ، مَعَ التَّغَايُرِ ، غَالِبًا ، فِي بِنْيَتِهَا النَّظْمِيَّةِ التَّرْكِيبِيَّةِ " (28) ، وَيَتَوَلَّدُ التَّوَثُرُ الشَّعْرِيُّ هُنَا مِنْ زَخَمِ الْخِطَابِ ، بِمَا يُمَكِّنُ تَسْمِيئَهُ بِجَمَالِيَّاتِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَيَتَمَتَّعُ السَّرْدُ بِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ التَّكْشِيفِ وَالْإِيقَاعِيَّةِ وَالتَّجْسُدِ اللَّغَوِيِّ الْجَيَّاشِ . وَالنَّصُّ فِي ظَاهِرِهِ سَرْدٌ عَمُودِيٌّ مُتَدَفِّقٌ ، يَتَوَلَّدُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْوُلُوجَ إِلَيْهِ يَكْشِفُ عَنْ فَقْدِ التَّسْلُسِلِ وَالْإِسْطِطْرَادِ وَالتَّرَاوُطِ وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى التَّرْكِيبِ وَالْدَّمَجِ ؛ الَّذِي يَجْعَلُ الدَّفْقَةَ الشَّعْرِيَّةَ أَقْرَبَ إِلَى الْهَدْيَانِ ، وَيَتَوَلَّدُ الْإِيقَاعُ مِنَ التَّحَوُّلَاتِ الْأَسْلُوبِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ ، وَمِنْ الْإِلْتِفَاتِ الْمُتَوَزِّعِ عَلَى مَسَافَاتٍ دَاخِلِ الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ ، وَمِنْ وُضُوحِ النَّبْرِ بِقُوَّةٍ ، وَمِنْ تَقَارُبِ عَدَدِ النَّبَرَاتِ وَالْمَقَاطِعِ فِي الْأُسْطُرِ ، الَّتِي يَتَأَلَّفُ مِنْهَا النَّصُّ " (29) .

السَّاعَةُ هِيَ دَائِمًا مُتَّحِدَةٌ . رُمُثُهَا كَالْكَلْسِ .

هُرَعْتُ وَرَاءَهُ مِمَّحَاةً لَقِيتُ بِحُرْكَ يَغْلُو وَأَغْلُو لَا
يَمْتَصِّنِي . خَلْفَ حَرَكَةٍ خَلْفَ سُورٍ لَكِنْ بِحُرْكَ لَا يَحْرُكُ بَغِيرِكَ . عَدَوْتُ الْقُطُ
ثَارًا سَبَقْتَنِي إِلَى رَجَائِكَ دَقَّةً عَيْنِي الْمَجْبِيَّة . مُقَطَّرٌ وَأَظْلُ فِي صَهْلِكَ الْأَعْمَى

حُلْمُكَ نَاصِعٌ كَالنُّومِ ، مَفْقُودٌ أَنَا مِنْ رَنْدِكَ . وَرَاءَ
هَمْسٍ وَرَاءَ مَا يُجْرِجُرْنِي فَاتِنًا إِلَى قَدَمَيْكَ .

لَوْ بَقِيتَ ! إِنَّكَ الْآنَ أَكْمَلُ وَأَحَدٌ . مَا يَفْتَحُ عَيْنَيْهَا
مَا يَفْتَحُ عَيْنَيْهَا لِلْمُسَافِرَةِ ؟ الْعَبَّ بِهَمَا مُغْمَضَتَيْنِ يَا
وَهَجَ يَا الْفَخَّ . صُنْ يَا شَرَّ الْفَجْرِ لَيْلَ عَيْنَيْهَا لِي . حُلْمُهَا نَاصِعٌ وَوَمَضْكَ جَارِحٌ ،
أَحْبَبُهَا يَا فَجْرٌ وَأَبْقِ جِسْمَهَا لَامِعًا لِأَضْيَاءِ . (30)

إِنَّ أَنْسِي يُمَجِّدُ قِيَمَةَ الْحُرِّيَّةِ ، وَالْأَنْعَتَاقِ الْخَالِصِ مِنْ شَتَّى الْمُحَدِّدَاتِ السَّابِقَةِ عَلَى التَّجَرِبَةِ ،
وَالْخُلُوصِ الْكَامِلِ لِحَرَكَةِ التَّجَرِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَإِبْقَاعِهَا الْمُتَحَوِّلِ ؛ لِيَكُونَ الشَّاعِرُ أَمَامَ تَجَرِبَتِهِ
مَسْنُولًا وَحْدَهُ كُلَّ الْمَسْنُولِيَّةِ عَنْ عَطَائِهِ . (31)

شوقي أبوشقرا

جاءتْ تَجَرِبَةُ شُوقِي أَبُو شُقْرَا (1935-) - فِي دِيَوَانِهِ: مَاءٌ إِلَى حِصَانِ الْعَائِلَةِ (32) - انْشِقَاقًا
عَنِ النُّزُوعِ الْأَسَاسِيِّ ، الَّذِي هَيَمَنَ عَلَى فَضَاءٍ مَجَلَّةٍ: (شِغْرِ)؛ وَهُوَ النُّزُوعُ الْمِيتَافِيزِيْقِيُّ
التَّجْرِيدِيُّ ، الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ أَدُونِيسُ ؛ حِينَمَا دَعَا إِلَى ضَرُورَةِ تَخَلِّي الشَّعْرِ الْحَدِيثِ عَنِ
الْحَادِثَةِ وَالْوَقَائِعِ ؛ اعْتِقَادًا مِنْهُ بِأَنَّ شِعْرَ الْوَقَائِعِ يَزْدَادُ اقْتِرَابًا مِنَ النَّشْرِ ؛ لِأَنَّهُ يُضْطَرُّ - انْسِجَامًا

مَعَ غَايَتِهِ - إِلَى أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْكَلِمَاتِ وَفَقَ دَلَالَتَهَا الْمَأْلُوفَةَ ، بَيْنَمَا يُفَرِّغُ الشَّعْرَ الْحَدِيثَ الْكَلِمَةَ مِنْ مَعْنَاهَا الْمَأْلُوفِ ، وَيَشْحِنُهَا بِدَلَالَةٍ جَدِيدَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ ، فَإِذَا كَانَ الشَّعْرُ الْوَاقِعِيُّ يَعْزُضُ مَا هُوَ عَادِيٌّ مَأْلُوفٌ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْآرَاءِ وَالْمَشَاعِرِ ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْقَصِيدَةِ الْحَدِيثَةِ هِيَ الْقَصِيدَةُ نَفْسُهَا ، لَا فِكْرَةٌ أَوْ قُصِيَّةٌ خَارِجِيَّةٌ ، وَلَا تَرْجِعُ عَظَمَةُ هَذَا الشَّعْرِ الْحَدِيثِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ تَعْبِيرٍ ، أَوْانِعَاسٍ لِلْأَشْيَاءِ ، أَوَالْمَظَاهِرِ الْوَاقِعِيَّةِ؛ بَلْ إِلَى مَدَى مَا يُضِيفُهُ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ ، وَيَتَخَلَّى الشَّعْرُ الْحَدِيثُ أَيْضًا عَنِ الْجُزْئِيَّةِ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ رُؤْيَا .⁽³³⁾ وَعَبَّرَتْ عَنْهُ ، أَيْضًا ، خَالِدَةُ سَعِيدٍ ؛ حِينَ رَأَتْ أَنَّ حَرَكَةَ الشَّعْرِ الْحَدِيثِ " تَخَلَّصَتْ مِنَ الْجُزْئِيَّةِ ؛ فَرَفَضَتْ الْحَادِثَةَ ."⁽³⁴⁾

أَمَّا شوقي أبوشقرا فَقَدْ انْحَازَ إِلَى شَعْرِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ ؛ بِلَقَطَاتِهِ الْحَيَاتِيَّةِ الْمَعِيشَةِ الدَّلَالَةِ ، ضَمْنِ بَنَى سَرْدِيَّةٍ خَاصَةٍ ، يَتِمُّ فِيهَا التَّرَكِيزُ عَلَى الْجُزْئِيَّةِ لَا الْكُلِّيَّةِ ، الْيَوْمِيَّةِ لَا الدَّهْنِيَّةِ ، الْحَيَاتِيَّةِ لَا اللُّغَوِيَّةِ ، وَاحْتَفَى بِشُخُوصٍ حَيَّةٍ حَمِيمَةٍ ، وَبِتَفَاصِيلِ حَيَاتِهَا وَأَشْيَائِهَا الْبَسِيطَةِ ، وَجَاءَتْ " قَصَائِدُهُ قَصِيرَةً كَلَحَظَاتِ هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَلَقَطَاتِهَا ، وَمَوَاقِفِهَا الْمُنْثَوْرَةِ ؛ حَيْثُ يُعْطَى الْجُزْئِيَّاتِ الْمُهِمَّةِ ، الْمُنْثَوْرَةِ فِيهَا ، الْهَامِشِيَّةِ بِالنَّسْبَةِ لِلشَّعْرِ الرُّيُوبِيِّ ، تِلْكَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا إِدْهَاشٌ ، أَفَقًا شِعْرِيًّا ، وَبِالتَّالِي يَسْمَحُ لِأَفْعَالِهَا وَلَحَظَاتِهَا أَنْ تَدْخُلَ فِي النَّسِيجِ اللُّغَوِيِّ - الثَّقَافِيِّ لِلشَّعْرِ . إِنَّهُ يَكْتُبُ عَنْ رَقِيبٍ بِالدَّرَكِ ، وَعَنْ التَّرْمَوَيْ ، وَعَنْ الْكَرْسُونِ وَالشَّمْبَانِيَا وَالْبَيْرَةِ ، وَعَنْ خَوَاجَةٍ يَلْعَبُ بِشَارِبِيهِ ، وَعَنْ تَدَهُّورِ سَيَّارَةِ بَطْرُسَ ، وَعَنْ جَدَّةٍ تَذْرِي الْبُرْغُلَ ، وَعَنْ نَمْرَ الْجُمْرُكِيِّ... وَعَنْ كَاتِيَا الْفَتَاةِ الَّتِي تَلْبَسُ (الْبِيْجَامَا) ، وَخَلِيلِ الَّذِي يُسَافِرُ إِلَى فَنزَوِيَا... وَفُؤَادِ اللَّصِّ الْحَنُونِ ، وَالرَّاعِيَةِ رَفْقَةً ، وَعَنْ قَاسِمٍ بَائِعِ الْكَعْكَ لِلْمَدَارِسِ ، وَعَنْ مُرْقَصٍ بَائِعِ الْمَنَاقِيشِ ، وَعَنْ الْمَاطِظَةِ الْعَانِسِ ."⁽³⁵⁾

إِنَّ مَفْهُومَ اللُّغَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، هُنَا ، يَرْتَبِطُ بِمُفْرَدَاتِ الْوَاقِعِ الْمَعِيشِ ، وَتَفَاصِيلِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ ارْتِبَاطِهِ بِالتَّارِيخِ اللُّغَوِيِّ ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ انْحِيَاظَهُ إِلَى اكْتِشَافِ الشَّعْرِ فِي تَفَاصِيلِ الْحَيَاةِ ، لَا فِي طَرَائِقِ اللُّغَةِ ؛ فَجُزْئِيَّاتُ الْوَاقِعِ الْمَعِيشِ ، وَتَفَاصِيلُ الْحَيَاةِ ، وَالْأَشْيَاءُ تَقِفُ فِي مُقَابِلِ الْمِيتَافِيزِيْقَا وَالبَلَاغِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ ، أَيْضًا تَبْدَى الصُّورَةُ السَّرْدِيَّةُ ، فِي مُقَابِلِ الصُّورَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، وَالدَّائِرَةُ الْبَصَرِيَّةُ فِي مُقَابِلِ الدَّائِرَةِ اللُّغَوِيَّةِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَتَجَلَّى : قَصِيدَةُ الْمَعِيشِ فِي مُوَاجَهَةِ قَصِيدَةِ الْمَعْرِفِيِّ ، وَنَظَرًا لِأَهْمِيَّةِ السَّرْدِ ، هُنَا ، فَإِنَّهُ لَا يُشْكَلُ شِعْرِيَّتُهُ مِنْ اعْتِمَادِهِ عَلَى الْإِبْقَاعِ النَّبْرِيِّ فَقَطْ ، أَوْ مِنْ تَرْكِيزِهِ عَلَى التَّكْثِيفِ ، وَإِنَّمَا يَتَخَطَّى تَرَاتِبَ الزَّمَنِ الْمِيتَافِيزِيْقِيِّ لِشُكْلِ الزَّمَنِ السَّرْدِيِّ لِلنَّصِّ ؛ يَتَخَطَّى التَّرَاتِيبَ وَالتَّدَاعِي وَالتَّسْلُسَ الْمُنْطَقِيَّ وَالْإِفْرَاطَ . التَّفَاصِيلُ الَّتِي تَرُدُّ - فِي النَّصِّ - هِيَ جُزْئِيَّاتٌ مِنَ الْمَشْهَدِ الْعَامِ ، تُوضَعُ فِي مَوَاضِعِهَا فِي دِقَّةٍ

مَقْصُودَةٍ وَبِنَاءٍ مَخْصُوصٍ ، يُجَسِّدُ حَرَكَةَ التَّجَرُّبَةِ الْخَاصَّةِ ، وَإِقَاعِيَّتَهَا وَجَيْشَانَهَا ، وَهُوَ مَا يُحَقِّقُ لِلسَّرْدِ شِعْرِيَّتَهُ . وَهَكَذَا جَاءَتْ تَجَرُّبُهُ شَوْقِي أَبِي شُقْرَا ، الْبِشَارَةَ وَالْوَعْدَ بِمَا سَيَزِدُّهُرُ بَعْدَ عَقْدَيْنِ فِي الْمَشْهَدِ الْخَاشِدِ لِقَصِيدَةِ النَّثْرِ الْعَرَبِيَّةِ :

مَاتَ وَالِدِي مُنْذُ خُمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ . دَفَنَاهُ مَحْمُولًا عَلَى الرَّاحَاتِ . تَبْدُو
مَقْبَرَتُهُ فِي الْقَرْيَةِ . هِيَ صُنْدُوقَةٌ بَرِيدٌ وَهُوَ يَنَامُ . كَانَ رَقِيبًا فِي الدَّرَكِ . يَقْصُ
شَعْرَهُ . يَرْكَبُ الدَّرَاجَةَ النَّارِيَّةَ . تَحْفَظُ أُمِّي عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ حِذَاءَهُ الْأَسْوَدَ
الطَّوِيلَ ، رَقْمَ 44 ، وَبَعْعَهُ وَنَوْبَهُ الْكَأَكِي وَأَزْرَارُهُ الذَّهَبِيَّةَ . تَدْهُورُ .

نَزَلَ إِلَى وَادٍ مُلُونٍ بِالصُّخُورِ . (36)

هَكَذَا - مُتَجَرِّدًا مِنَ الذَّاكِرَةِ الشَّعْرِيَّةِ الرَّنَانَةِ ، وَمُتَخَفِّفًا مِنَ الْبَلَاغِيَّةِ الْآلِيَّةِ - أَثَّرَ شَوْقِي أَبُو شُقْرَا أَنْ يَبْدَأَ مِنَ النَّثْرِ الْخَالِصِ ؛ لِشُكْلٍ مِنْهُ (قَصِيدَةٍ) ؛ الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ تَعْبِيرًا عَنْ الْمَعِيشِ ، بَقَدْرِ مَا هِيَ إِعَادَةٌ بِنَاءٍ لَهُ ، فِي فَضَاءِ النَّصِّ . الْمَعِيشُ ، الْحَيَاتِيُّ يُصْبِحُ مَادَّةً خَامًا لِلْمَعِيشِ النَّصِّيِّ ، وَهَذَا هُوَ جَوْهَرُ إِشْكَالِيَّةِ " قَصِيدَةِ النَّثْرِ " وَتَحْدِيثِهَا ، وَمَنَاطِ شِعْرِيَّتِهَا الْخَاصَّةِ . تَتَقَوَّضُ رَتَابَةُ السَّرْدِ وَنَشْرِيَّتُهُ وَاعْتِيَادِيَّتُهُ ، انْطِلَاقًا مِنْ فَاعِلِيَّةِ الزَّمَنِ السَّرْدِيِّ ، الَّذِي يَبْدَأُ ، هُنَا ، بِالْمَاضِي : (مَاتَ وَالِدِي... دَفَنَاهُ) ثُمَّ يَقْفُزُ إِلَى الْحَاضِرِ : (تَبْدُو مَقْبَرَتُهُ) ، وَيَرْتَدُّ إِلَى الْمَاضِي : (كَانَ رَقِيبًا فِي الدَّرَكِ) ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْحَاضِرِ - الَّذِي هُوَ اسْتِحْضَارٌ لِلْمَاضِي - : (يَقْصُ شَعْرَهُ - يَرْكَبُ الدَّرَاجَةَ . تَحْفَظُ أُمِّي حِذَاءَهُ) ؛ لِيَدُلَّ عَلَى طُغْيَانِ اسْتِحْضَارِ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ عَلَى الْوَاقِعِ الْمُوَحِّشِ ، ثُمَّ يَرْتَدُّ إِلَى الْمَاضِي : (تَدْهُورُ . نَزَلَ) . هَذِهِ الْإِنْتِقَالَاتُ الْمُتَوَالِيَةُ ، فِي حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ ، تُجَسِّدُ تَوَثُّرَ الْحَالَةِ السَّرْدِيَّةِ ، عَبْرَ هَذِهِ الْإِنْتِقَالَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ . إِنَّ شِعْرِيَّةَ السَّرْدِ هُنَا تَرْتَبِطُ بِعَمَلِ الْمُؤَنَّاغِ فِي بِنَاءِ الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ وَتَرْكِيْبِهِ . وَيُمْكِنُنَا اسْتِخْلَاصُ هَذِهِ النَّتِيجَةِ فَوْرَ تَلْقِيِ الْمَحْكِيِّ فِي هَذَا النَّصِّ ؛ حَيْثُ تَتَجَمَّعُ تَفَاصِيلُ الْمَشْهَدِ ؛ فَيَتَبَدَّى لَنَا ، سَرِيعًا ، عَمَلُ الشَّاعِرِ فِي بِنَاءِ الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ السَّرْدِيِّ ؛ إِذْ لَوْ بَدَأْنَا مِنْ مُنْتَصَفِ النَّصِّ ، وَقُلْنَا : (كَانَ [أَبِي] رَقِيبًا فِي الدَّرَكِ) إِلَى نَهَايَةِ النَّصِّ ، ثُمَّ عُودًا إِلَى بَدَايَتِهِ (مَاتَ وَالِدِي) لَفَقَدَ النَّصُّ كَثِيرًا مِنْ تَوَثُّرِهِ الشَّعْرِيِّ - الَّذِي قَامَ عَلَى اسْتِغْلَالِ طَاقَاتِ الزَّمَنِ السَّرْدِيِّ فِي عَمَلِيَّةِ الْبِنَاءِ السَّرْدِيِّ - وَمَعْلُومٌ أَنَّ الزَّمْنَ السَّرْدِيَّ أَحَدُ الْأَسْسِ الْمُهِمَّةِ فِي تَشْكِيلِ شِعْرِيَّةِ السَّرْدِ ، وَهُوَ يَخْتَلِفُ عَنِ الزَّمَنِ الْفِيزِيْقِيِّ ؛ فَالْأَخِيرُ يَسِيرُ هَكَذَا :

كَانَ رَقِيبًا : (أ) تَدْهُورُ : ← (ب) مَاتَ : ← (ج) دَفَنَاهُ : ← (د) تَبْدُو مَقْبَرَتُهُ :

← (هـ)

بَيْنَمَا الزَّمَنُ السَّرْدِيُّ يَمْضِي هَكَذَا :

(ج) ← (د) ← (هـ) (أ) ← (ب) .

أَيَّ أَنَّ الزَّمَنَ السَّرْدِيَّ يَبْدَأُ مِنْ مُنْتَصَفِ الزَّمَنِ الْحِكَايِيِّ ، وَيَقُومُ السَّارْدُ ، هُنَا ، بِإِعَادَةِ تَشْكِيلِ الْحِكَايَةِ ؛ فَيَبْتَدِئُ مِنْ مُنْتَصَفِ زَمَنِ الْحِكَايَةِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْبِدَايَةِ ؛ لِيُحْدِثَ الْمَفَارَقَةَ السَّرْدِيَّةَ ، عَبْرَ الْارْتِدَادَاتِ السَّرْدِيَّةِ الْمُتَوَالِيَةِ ، وَفِي رَصْدِهِ لِهَذِهِ الْحِكَايَةِ يَتَجَنَّبُ حَالَةَ الْهِيَاجِ الْعَاطِفِيِّ ، الْمَأْثُورِ فِي مَوْقِفِ الرِّثَاءِ . وَيُرَكِّزُ الْبِنَاءَ النَّصِّيَّ هُنَا عَلَى تَشْكِيلِ حَالَةٍ مِنَ الشَّجَنِ الْأَلِيمِ ، تَسْعَى الذَّاتُ السَّارِدَةُ إِلَى تَبْيِيرِهَا فِي فُضَاءِ النَّصِّ .

محمّد الماغوط

عِنْدَ مُحَمَّدٍ الْمَاغُوطِ تَلْعَبُ التَّوَاظِيَاتُ دَوْرًا رَئِيسِيًّا فِي تَشْكِيلِ شِعْرِيَّةِ الشَّعْرِ ؛ فَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ شُعْرَاءِ جِيلِهِ اخْتِفَاءً بِالتَّوَاظِي ، وَيَرَى كَثِيرُونَ أَنَّ التَّوَاظِي هُوَ الْمَسْئُولُ الرَّئِيسِيُّ عَنْ تَشْكِيلِ نَسِيجِ الشَّعْرِ ، وَتَخْلِيقِ الْإِيْقَاعِ الشَّامِلِ لِلنَّصِّ ؛ فَيُؤَكِّدُ يَاكُوبُ سُون (1896-1982) أَنَّ " الْمَسْأَلَةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِلشَّعْرِ هِيَ التَّوَاظِي " (37)، وَحَصَرَ هُوبَكْنَز " الصَّنْعَةَ فِي الشَّعْرِ فِي مَبْدَأِ التَّوَاظِي ؛ فَبِنْيَتُهُ تَعْتَمِدُ عَلَى التَّوَاظِي الْمُسْتَمَرِّ " (38)، وَلَا حَظَّ يُورِي لُوتْمَانُ أَنَّ الْبِنْيَةَ الشَّعْرِيَّةَ ذَاتَ طَبِيعَةٍ تَكَرَّرِيَّةٍ حِينَ تَنْتَظِمُ فِي نَسَقٍ لُغَوِيٍّ ، وَمِنْ ثَمَّ تَخْلُقُ وَضْعًا شَدِيدَ التَّعْقِيدِ ؛ فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ أَوْ تِلْكَ تُمَثِّلُ بِذَاتِهَا نَصًّا كَلَامِيًّا ، وَهَذَا النَّصُّ لَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ نِظَامًا كُلِّيًّا ، بَلْ هُوَ إِحْدَاثُ جُزْئِيٍّ Realizatio لِلنِّظَامِ ، وَلَكِنَّهُ - بِاعْتِبَارِهِ لَوْحَةً شِعْرِيَّةً لِلْعَالَمِ - يُقَدِّمُ نِظَامًا كُلِّيًّا تَحَقُّقُ مِنْ خِلَالِهِ الْمَوْقِيعَةُ التَّكَرَّرِيَّةُ بِالْكَامِلِ ؛ وَهِيَ مَوْقِيعَةٌ يَتِمَثَّلُ مَحْوَرُهَا الْأَسَاسِيُّ فِيْمَا يُدْعَى بِـ " التَّوَاظِي " Rorallelism . (39)

وَتَعْمَلُ التَّوَاظِيَّاتُ الْمُتَعَدِّدَةُ الْمُتَدَاخِلَةُ فِي فُضَاءِ النَّصِّ ، جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ ؛ لِتَشْكِيلِ بِنْيَاتٍ مُشَابِهَةٍ وَمُتَكَافِئَةٍ وَمُتَمَاثِلَةٍ صَرَفِيًّا وَتَرْكِيبِيًّا وَدَلَالِيًّا وَإِيقَاعِيًّا ، وَهُوَ مَا يُسَاهِمُ فِي تَشْكِيلِ أَدَاءِ سَرْدِيٍّ ، يُلِحُّ عَلَى تَبْيِيرِ حَالَةٍ مَا ، أَوْ مَوْقِفٍ مَا ؛ دَلَالِيًّا وَجَمَالِيًّا .

وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّوَاظِيَّاتِ ، تَتَجَلَّى عِنْدَ الْمَاغُوطِ قِيَمَةٌ فَنِّيَّةٌ أُخْرَى ، يُشَدِّدُ عَلَيْهَا أَدَاؤُهُ الشَّعْرِيُّ ؛ هِيَ : الْاِخْتِفَاءُ بِالتَّصَوُّورِ اخْتِفَاءً شَدِيدًا ؛ لِتَأْسِيسِ بِنْيَةٍ مَجَازِيَّةٍ ذَالَةٍ ، تَقُومُ عَلَى تَكْنِيفِ الصُّورِ الْجُزْئِيَّةِ : اللُّغَوِيَّةِ أَوْ الْمَشْهَدِيَّةِ ، الَّتِي يَقْتَطِعُهَا مِنْ مُفْرَدَاتِ حَيَاتِهِ الْمَعِيشَةِ ؛ لِيَتَضَافَرَ الْمَجَازِيُّ وَاللَّامَجَازِيُّ ، فِي تَقْدِيمِ رُؤْيَى إِنْسَانِيَّةٍ فَاجِعَةٍ وَصَاحِبَةٍ ، تَتَخَلَّى عَنِ الرُّؤْيَى

الميتافيزيقية ، وتَنَحَرُطُ في عَذَابَاتِ الذَّاتِ الشَّاعِرَةِ ، المُطَارِدَةِ ، المُشَرَّدَةِ ، المُنْعَزَلَةِ ،
المَقْهُورَةِ . وَقَدْ اكْتَسَبَتْ شِعْرِيَّةُ المَاغُوطِ حَرَارَتَهَا ، مِنْ تَوَحُّدِهَا مَعَ حَمِيمِيَّةِ التَّجَرِبَةِ الْمُتَوَهَّجَةِ
الضَّارِيَةِ ؛ الَّتِي عَاشَهَا المَاغُوطُ فِي شَبَابِهِ ؛ تَجَرِبَةِ المُطَارِدَةِ السِّيَاسِيَّةِ ، الَّتِي تَظْهَرُ حِمَمُهَا فِي
شَطَايَا صُورِهِ الحَادَّةِ الْمُتَوَتِّرَةِ الْمُعْتَمَةِ ، وَالْإِيْقَاعِ الهَادِرِ الْمُتَفَجِّعِ ؛ حَيْثُ لَادَتْ الذَّاتُ
الشَّاعِرَةَ ، كَحَشْرَةٍ ، فِي غُرْفَةٍ ضَيِّقَةٍ كَالْقَبْرِ ، وَقَدْ وَصَفَتْهَا زَوْجَتُهُ الشَّاعِرَةُ سَنِيَّةٌ صَالِحٌ بِقَوْلِهَا :
" غُرْفَةٌ صَغِيرَةٌ ذَاتَ سَقْفٍ وَاطِيٍّ ، حُشِرَتْ حَشْرًا فِي خَاصِرَةِ أَحَدِ المَبَانِي ، بِحَيْثُ كَانَ عَلَى
مَنْ يَعْبُرُ عَتَبَتَهَا أَنْ يَنْحَنِي وَكَأَنَّهُ يَعْبُرُ بَوَابَةَ الزَّمَنِ ، سَرِيرٌ قَدِيمٌ ، مَلَأَتْ صَفْرَاءُ ، كَنَبَةٌ زَرْقَاءُ
طَوِيلَةٌ سَرْعَانِ مَا هَبَطَ مَقْعُدُهَا ، سِتَارَةٌ حُمْرَاءُ مِنْ مُخَلَّفَاتِ مَسْرَحٍ قَدِيمٍ ، فِي هَذَا المُنَاحِ
عَاشَ مُحَمَّدُ المَاغُوطُ أَشْهُرًا عَدِيدَةً " (40) . هَذِهِ الغُرْفَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي مَجْمُوعَتِهِ الْأُولَى ، فِي
شَطَايَا مِنْ الصُّورِ الْقَاتِمَةِ المَرِيرَةِ :

بِلا أَمَلٍ ...
وَيَقْلِبِي الَّذِي يَخْفُقُ كَوَرْدَةٍ حُمْرَاءَ صَغِيرَةٍ
سَاوَدُغُ أَشْيَائِي الحَزِينَةِ فِي لَيْلَةٍ مَا
يُبْعَ الحَبِيرِ
وَأَثَارَ الحُمْرَةِ البَارِدَةِ عَلَى المُسْتَمَعِّ اللِّجِ
وَصَمَّتِ الشُّهُورُ الطَوِيلَةَ
وَالنَّامُوسُ الَّذِي يُمْصُ دُمِي . (41)

هَكَذَا تَتَابَعُ الصُّورُ الجُزْئِيَّةُ ؛ لِتُشَكِّلَ صُورَةً كُلِّيَّةً قَاتِمَةً ، تَعَكُّسُ تَارِيخًا رُومَانِسِيًّا ، لَمْ يَنْتَهِ بَعْدُ

وَلَدَى المَاغُوطِ يَتَوَاشَجُ السِّيَاسِيُّ وَالدَّائِي ، فِي خِطَابٍ يَتَبَدَّى فِيهِ الْخَارِجُ بِوَعْيِ الدَّاخِلِ ؛
فَيَتَدَفَّقُ حَارًّا ، وَمُتَوَقِّدًا ، وَيُتِيحُ لَهُ اسْتِدْرَاجُ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ إِلَى دَاخِلِهِ أَنْ يُلْغِي كَافَّةَ النَّسَبِ
الْحَرْفِيَّةِ لِلوَاقِعِ وَيَسْتَعْلِفُ أَقْصَى دَرَجَاتِ الحُرِّيَّةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الحُلُمُ . (42)
تَتَطَايَرُ الصُّورُ الْمُكْتَوِيَّةُ الحَارِقَةُ فِي فَضَاءِ النَّصِّ ، فِي إِيقَاعٍ صَاحِبٍ ، يَتَصَافَرُ فِيهِ النَّبْرُ مَعَ
التَّوَازِيَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، غَيْرَ أَنَّ تَوَازِي الدَّلَالَةِ هُوَ أَكْثَرُ أَنْوَاعِ التَّوَازِيَاتِ حُضُورًا فِي خِطَابِ
مُحَمَّدِ المَاغُوطِ الشَّعْرِيِّ ؛ حَيْثُ تَتَجَمَّعُ دَلَالَاتُ الصُّورِ الْمُتَشَعَّبَةِ ، فِي اتِّجَاهٍ مُحَدَّدٍ ، لِتُمَثِّلَ
وَحْدَةَ التَّأثيرِ وَتُبَيِّرَ الحَالَةَ الشَّعْرِيَّةَ :

وَبَكَيتُ . أَنَا مِرْمَارُ الشِّتَاءِ الْبَارِدِ
وَوَرْدَةُ الْعَارِ الْكَبِيرَةِ
وَتَدَفَّقَ الْحُزْنُ حَوْلَ يَاقَتِي كَالْتَّبِيدِ
وَهَوَيْتُ وَحِيدًا أَمَامَ الْحَوَانِثِ
أَيْهَا الدُّمُوعُ الْأَكْثَرُ نَضَارَةً مِنَ الدَّمِ
أَيْهَا الْأَلَامُ الَّتِي تُضِيءُ قَدَمَيَّ
فِي أَظَافِرِي تُبْكِي نَوَافِيسَ الْغُبَارِ . (43)

قَصِيدَةُ النَّثْرِ مِنْ مَنَظُورِ التَّحْلِيلِ السَّرْدِيِّ

ظَاهِرَةُ السَّرْدِ

ثَمَّةُ اهْتِمَامٍ شَدِيدٍ فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ ، بِالسَّرْدِ ، وَاتِّجَاهَاتِهِ ، وَنَظَرِيَّاتِهِ ، وَبِتَوَاقُفِ هَذَا مَعَ مَا يَشْهَدُهُ الْمَشْهَدُ الرَّوَائِي وَالْقَصَصِيُّ مِنْ تَحَوُّلَاتٍ فَارِقَةٍ فِي آلِيَّاتِ وَطَرَائِقِ السَّرْدِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى زَحْفٍ مَجْرَى السَّرْدِ إِلَى فُضَاءِ الشَّعْرِ ، وَتَجَلِّي الشَّعْرِ ، كَثِيرًا ، فِي السَّرْدِ ، وَتَجَلِّي السَّرْدِ ، بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فِي مَشْهَدِ الْقَصِيدِ النَّثْرِيِّ ، تَحْدِيدًا ، بَلْ لَقَدْ تَخَطَّى السَّرْدُ خَرِيطَةَ الْأَنْوَاعِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَتَجَاوَزَ تَدَفُّقَهُ حُدُودَ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ ؛ فَصِرْنَا نَتَحَدَّثُ عَنِ السَّرْدِ السِّينِمَائِيِّ ، وَعَنْهُ ذَكَرَ يُورِي لُوتَمَانُ ، أَنَّ " الْحِكَايَةَ اللَّفْظِيَّةَ لَيْسَتْ التَّوَعُّ السَّرْدِيُّ الْوَحِيدُ ، وَ[أَنَّ] عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَفِتَ إِلَى الْخِبْرَةِ السَّرْدِيَّةِ السِّينِمَائِيَّةِ " (1) ، وَطُرِحَتْ قَضَايَا مِثْلُ : اللُّغَةُ السِّينِمَائِيَّةُ ، طَبِيعَةُ الْمَجَازِ السِّينِمَائِيِّ (2) ، فَلَمْ يَقْتَصِرِ السَّرْدُ عَلَى الْأَدَاءِ الْلُغَوِيِّ ، وَإِنَّمَا انْفَتَحَ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْوَسَائِلِ السِّينِمَائِيَّةِ ، فِي تَجَسُّدِ حَرَكَةِ السَّرْدِ وَتَنْظِيمِ مَسَارَاتِهَا ، وَيَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهَا : الْمُونْتَاجُ ؛ الَّذِي يَتَوَلَّى عَمَلِيَّةَ إِبْرَازِ " تَدَاخُلِ الْأَفْكَارِ أَوْ تَدَاوُلِهَا .. وَالتَّوَالِي السَّرِيعِ لِلصُّوَرِ ، أَوْ وَضْعِ صُورَةٍ فَوْقَ صُورَةٍ ، أَوْ إِحَاطَةِ صُورَةٍ مَرْكَزِيَّةٍ بِصُورَةٍ أُخْرَى تَنْتَمِي إِلَيْهَا " (3) ، بِجَانِبِ وَسَائِلٍ أُخْرَى ، فَرْعِيَّةٍ ، مِثْلُ الْمَشْهَدِ الْمُضَاعَفِ ، وَاللَّقَطَاتِ الْبَطِيئَةِ وَالاخْتِفَاءِ التَّدْرِيجِيِّ ، وَالْقَطْعِ ، وَالصُّوَرِ عَنْ قُرْبٍ ، وَالْمَنْظَرِ الشَّامِلِ ، وَالْإِتِّدَادِ (4) ، وَهَذِهِ الْوَسَائِلُ الْفَرْعِيَّةُ هِيَ أَدَوَاتٌ لِتَحْقِيقِ تَأْثِيرِ الْمُونْتَاجِ (5) ، وَقَدْ قَسَّمَ رُوبَرْتُ هَمْفَرِي الْمُونْتَاجَ إِلَى قِسْمَيْنِ : مُونْتَاجٍ زَمَنِيٍّ ؛ وَفِيهِ يُثَبَّتُ الْمَكَانُ وَيَتَعَدَّدُ الزَّمَنُ ، أَوْ هُوَ " وَضْعُ صُورٍ أَوْ أَفْكَارٍ مِنْ زَمَنٍ مُعَيَّنٍ عَلَى صُورٍ أَوْ أَفْكَارٍ مِنْ زَمَنٍ آخَرَ . وَمُونْتَاجٍ مَكَانِيٍّ ؛ وَفِيهِ يَبْقَى الزَّمَانُ ثَابِتًا وَيَتَغَيَّرُ الْغُنْصُرُ الْمَكَانِيُّ ، وَيُسَمَّى أَيْضًا بِطَرِيقَةِ : عَيْنِ الْكَامِيرَا أَوْ بِطَرِيقَةِ الْمَشْهَدِ الْمُضَاعَفِ (6) . وَتُعَدُّ اللَّقَطَةُ الْوَحْدَةُ الْأَسَاسِيَّةُ فِي تَشْكِيلِ السَّرْدِ السِّينِمَائِيِّ ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ " وَحْدَةِ الْعَنَاصِرِ دَاخِلِ اللَّقَطَةِ " (7) ، وَهِيَ - كَمَشْهَدٍ ، يَتَكَوَّنُ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْعَنَاصِرِ - " تَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تُصَوِّرُ " (8) .

وَهَكَذَا لَمْ يَعُدْ مَفْهُومُ السَّرْدِ قَاصِرًا عَلَى إِبْرَازِ الْحِكَايَةِ ، كَمَا لَمْ يَعُدْ قَاصِرًا عَلَى النَّثْرِ ، وَهُوَ - فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ - الْمَظْهَرُ الْأَكْثَرُ بُرُورًا ، كَمَا أَنَّهُ - بِنَائِيًا - الْمَسْئُولُ عَنْ تَشْكِيلِ شَرْعِيَّةِ الْخِطَابِ مِنْ تَفَاصِيلِ النَّثْرِ الرَّحْبِيَّةِ ؛ حَيْثُ تَتَضَامُ فِي عِلَاقَاتٍ بِنَائِيَّةٍ دَاخِلِيَّةٍ مُتَشَابِكَةٍ ، تُحَقِّقُ شَرْعِيَّةَ الْخِطَابِ ، وَقَدْ رَأَى مُهَاجِمُوهَا فِي شَكْلِهَا السَّرْدِيِّ الْخَارِجِيِّ مَظْهَرًا لِنَثْرِيَّتِهَا ، وَطَعْنَا فِي شَرْعِيَّتِهَا (9) ، وَيَظَلُّ السَّرْدُ أَحَدَ أَبْرَزِ الظَّوَاهِرِ الْبِنَائِيَّةِ فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ وَمَلْمَحًا بَارِزًا تَتَجَلَّى فِيهِ شَرْعِيَّتُهَا الْخَاصَّةُ .

مَفْهُومُ السَّرْدِ

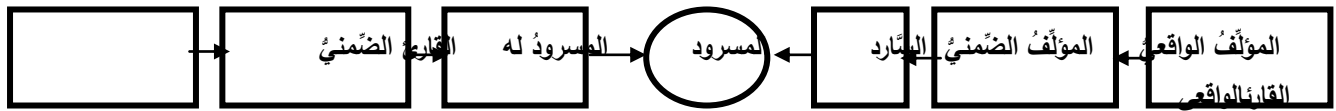
يُشِيرُ مُصْطَلَحُ السَّرْدِ ، تَحْدِيدًا ، إِلَى عَمَلِيَّةِ بِنَاءِ نَصِّي تَتَدَاخَلُ فِيهِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْبِنَائِيَّةِ الْفَاعِلَةِ ؛ كَالسَّارِدِ ، وَالْمَسْرُودِ لَهُ ، وَالْفَضَاءِ السَّرْدِيِّ ، وَالزَّمَنِ السَّرْدِيِّ ، وَالرُّؤْيَةِ السَّرْدِيَّةِ ؛ لِتَشْكِيلِ بَنِيَةِ النَّصِّ السَّرْدِيِّ ، وَالَّذِينَ تَنَاقَلُوا الْمُصْطَلَحَ انْطَلَقُوا مِنْ تَمْيِيزِهِ عَنْ الْحِكْمِيِّ ، وَرَكَّزُوا عَلَى عَمَلِيَّةِ الْبِنَاءِ النَّصِّيِّ ؛ فَرَأَى عَزُّالدِّينِ إِسْمَاعِيلُ أَنَّ عَمَلِيَّةَ تَشْكِيلِ خِطَابٍ حِكْمِيٍّ يَتِمُّ فِيهِ " نَقْلُ الْحَادِثَةِ مِنْ صُورَتِهَا الْوَاقِعِيَّةِ إِلَى صُورَةٍ لُغَوِيَّةٍ " (10) ، أَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ مُرْتَاضُ فَرَأَى أَنَّ " نَسْجَ الْكَلَامِ ، وَلَكِنْ فِي صُورَةٍ حِكْمِيٍّ " (11) ، أَمَّا يُمْنَى الْعِيدُ فَحَدَّدَتْهُ بِأَنَّهُ " الْقَوْلُ Discouts مِنْ حَيْثُ صِيَغَةُ الْحِكْمِيِّ ، أَوْ إِقَامَةُ الْبِنْيَةِ الرَّوَائِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مَجَالُ التَّقْنِيَّةِ وَكَيْفِيَّةِ السَّرْدِ أَوْ شَكْلِهِ ؛ حَيْثُ تُهْمَلُ الْحِكَايَةُ وَيُرَكَّزُ عَلَى نَمَطِ الْقَوْلِ الْمُحَدَّدِ لِنَمَطِ الْبِنْيَةِ " (12) ؛ فَهُوَ عَمَلِيَّةُ بِنَاءِ خِطَابٍ مِنَ الْحِكْمِيِّ ، تَقُومُ عَلَى عِلَاقَاتٍ عَنَاصِرٍ بِنَائِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ ، تُشَكِّلُ مَلَاحِمَهُ الْخَاصَّةَ ، وَهُوَ — كَمَا يَرَى جِيرَارْجِينِت — " صِيغَةٌ يُقْنِنُهَا عَدَدٌ مِنَ الْإِقْصَاعَاتِ وَالصُّوَابِطِ التَّقْيِيدِيَّةِ " (13)

مُكَوِّنَاتُ الْعَمَلِيَّةِ السَّرْدِيَّةِ

تَتَضَامُ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْبِنَائِيَّةِ الْفَاعِلَةِ — الَّتِي تَتَوَاشَجُ مَعَ خَصِيصَتَيْنِ شِعْرِيَّتَيْنِ أَسَاسِيَّتَيْنِ ، فِي قَصِيدَةِ النَّشْرِ ، هُمَا : النَّبْرُ وَالتَّوَازِي — لِتَشْكِيلِ شِعْرِيَّةِ السَّرْدِ ، هَذِهِ الْعَنَاصِرُ الْمُكَوِّنَةُ لِلْبِنْيَةِ السَّرْدِيَّةِ تَتَمَثَّلُ فِيمَا يَلِي : السَّارِدُ Narrateur ، وَالْمَسْرُودُ لَهُ Narrataire ، الرُّؤْيَةُ السَّرْدِيَّةُ Focalization ، الزَّمَنُ السَّرْدِيُّ Tense ، الْفَضَاءُ السَّرْدِيُّ Space ، وَأَبْرَزُ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ حُضُورًا فِي الدَّرْسِ التَّقْدِيمِيِّ اثْنَانِ : الرُّؤْيَةُ السَّرْدِيَّةُ ، وَالزَّمَنُ السَّرْدِيُّ .

أَمَّا الرُّؤْيَةُ السَّرْدِيَّةُ فَقَدْ حَدَّدُوهَا بِمُصْطَلَحَاتٍ أُخْرَى ، لَا تَخْتَلِفُ فِي دَلَالَتِهَا كَثِيرًا ، وَأَبْرَزُهَا : التَّبْيِيرُ ، الْمَنْظُورُ السَّرْدِيُّ ، زَاوِيَةُ الرُّؤْيَةِ ، وَجْهَةُ النَّظَرِ ، وَتَتَشَكَّلُ مِنْ مَنْظُورِ السَّارِدِ ، وَغَالِبًا مَا يَكُونُ السَّارِدُ — فِي الشَّعْرِ — مُشَارِكًا فِي الْأَحْدَاثِ وَرَآوِيًا لَهَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ ، وَهُوَ ، بِهَذَا ، ذَاتَانِ مُدْمَجَتَانِ ؛ ذَاتٌ رَائِيَّةٌ ، وَذَاتٌ مَرْتَبِيَّةٌ ، ذَاتٌ مُبْتَرَّةٌ (سَارِدَةٌ) ، وَذَاتٌ مُبْتَرَّةٌ ، (تُؤَدِّي دَوْرَهَا فِي الْمَشْهَدِ السَّرْدِيِّ) ، الْأُولَى صَاحِبَةُ الرُّؤْيَةِ وَالْمَوْقِفِ وَالصَّوْتِ النَّاعِمِ مِنَ السَّرْدِ ، وَصَاحِبَةُ بِنَاءِ السَّرْدِ وَتَحْدِيدِ زَوَايَاهُ وَتَفَاصِيلِهِ ، وَفَقًا لِمَنْظُورِهَا ؛ فَنَحْنُ نَعْرِفُ عَلَى مَعَالِمِ الْمَشْهَدِ السَّرْدِيِّ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الذَّاتِ الْمُبْتَرَّةِ (الرَّائِيَّةِ) ، وَتَتَشَكَّلُ الرُّؤْيَةُ السَّرْدِيَّةُ مِنْ مَنْظُورِهَا ، وَيَخْتَلِفُ السَّارِدُ عَنِ الْمُؤَلِّفِ الصُّمْنِيِّ وَعَنِ الْمُؤَلِّفِ الْوَاقِعِيِّ ؛ فَإِذَا كَانَ

الأول كائناً من ورق - كما لاحظت بارت - وتقنية سردية تنتمي إلى تقنيات العمل السردية ، فإن الثاني يمثل الذات الإبداعية وأنا العميقة المبدعة المسؤولة عن عملية بناء العمل السردية ، فيما يمثل الأخير شخصاً حقيقياً ينتمي إلى عالم الواقع . ودائماً ما يتوارى المؤلف الضمني وراء السارد ، ولا يبدو صراحةً في حيز النص ، ويتوارى المؤلف الواقعي وراء المؤلف الضمني ، وهكذا يظل السارد هو المسؤول أمامنا عن فعل السرد ونقل المسرود ، في مسار يأخذ الشكل الآتي :



ومهما بدت العملية السردية موضوعية ، وحيدانية ، ومجردة ، فإن عرض المادة السردية وتنظيمها يخضع للرؤية السردية ، ومع اكتمال الرؤية السردية - في نهاية المشهد السردية - تتفتح شعرية النص كاملة .

أما الزمن السردية فيختلف عن زمن الحكاية في أن الأخير يحافظ على خطية الزمن الفيزيقي ؛ فيخضع لمنطق التسلسل ، والتتابع التدريجي ، فيما يتخطى الزمن السردية هذا الأداء إلى العديد من الطرائق السردية التي ترتبط برؤية السارد ؛ كأن يحكي " من البداية للنهاية ، مطابقاً بذلك بين زمن السرد وزمن الحكاية ؛ ليصبحاً معاً زمناً واحداً ، يكرر الأول منهما الثاني ، لدرجة لا نشعر معها بأي مجهود للسارد في إعادة خلق الحكاية ، أو يحكيها معكوسة من النهاية للبداية ؛ في شكل استرجاع تفهيري ينطلق من نهاية زمن الحكاية ، قريباً من حاضر السرد ، ليعود لبداية الحكاية ، بحيث يحول الحكاية كلها لماضي منته ، يجيل نظره فيه ، محترماً نفس نظام وقوعه على مستوى زمن الحكاية ، لكن بشكل معكوس هذه المرة" (14) . وله أيضاً أن يحكيها من وسط زمن الحكاية ، لتكون هذه المنطقة بؤرة التشطبي الزمني ؛ فتدخل الأزمنة ، ويتفرع السرد ، وتتشعب مساراته واتجاهاته الزمنية ، هبوطاً وصعوداً وتوقفاً ، سعياً منه إلى إلقاء أكبر قدر ممكن من الأضواء الكاشفة على اللحظة المتأزمة" (15) ، اعتماداً على المفارقة السردية ؛ بشكليها : الاسترجاعي والاستباقي .

السرد في الشعر، وحدود السرد الشعري

إذا كان السرد يختلف في طبيعته الكيفية في الرواية والنثر الفني عنه في الشعر ؛ فإن مُرتكزات النظرية السردية الأساسية قابلة للتطبيق على مجمل الأنواع الأدبية ، وغيرها من الفنون ؛ كالسينما مثلاً ، كما أشرنا في البداية(16)، وتكمن أهميتها ، في الشعر ، في إبراز خصوصية السرد الشعري وتميزه عما ليس سرداً شعرياً في سرود الشعر .

ويلاحظ أن السرد في العملية الشعرية يتخذ خصوصية تكمن في طبيعة بنائه ؛ حيث تصبح العملية السردية جزءاً في عملية أشمل ؛ يشترك فيها الإيقاع والتوازنات والتخييل ، في نقل التجربة في بناء شعري خاص ؛ يتجلى فيه السرد الشعري . وقولنا بالسرد الشعري فيه تمييز له عما ليس سرداً شعرياً ، وتحديدًا عن السرد النثري ؛ فالأخير صيغة يتجلى فيها الحدث بوضوح ، في تتابع منطقي ، وتراثيب مستمر ، وترابط ، مقدّماته تقود إلى نتائجه ، كما يقول المناطق ، هو سرد منطقي ، سيال ، التراكيب فيه بسيطة ، وغرضه توصيلي ، وطبيعته عقلية ، ولغته دقيقة ومحددة ، ويقوم على النظرة الحيادية ، ويركز على المحكي ، والحكي فيه وسيلة ، والحكاية هي المقصد والغاية ، وأحياناً يتحول السرد النثري إلى سرد شعري ؛ حينما تهيمن على أدائه بعض العناصر الشعرية ، ونجد هذا في مناطق عديدة في رواية: ثرثرة فوق النيل ، لنجيب محفوظ (1911 - 2006) ؛ يتم فيها تداخل الأزمنة في أداء مكثف ، هذه الخاصية المؤكدة لفاعلية الزمن السردية في تحقيق شعرية البنية السردية ، نجدها ، أيضاً ، بوضوح ، في روايات لعبد الرحمن منيف (1933 - 2004) ؛ مثل : التيه ، و: شرق المتوسط - في القسم الأول منها تحديداً - ، ولحيدر حيدر في أعمال عديدة مثل: مزايا النار، و: الزمن الموحش .

أما السرد الشعري ، فهو سرد - مهما بدا متدفقاً وطيعاً - يكشف عن عملية بناء محكمة تتصام فيها عناصر تشكيل الخطاب السردية ، ويتبدى فيه التركيز على فعل السرد ، السرد ذاته فعل مقصود ؛ بحيث يتبدى أنه يعمل شعرياً ، مختلطاً بالإيقاع ، وبتفاعل التوازنات في مجراه ، في أداء مكثف وموح ، السرد هنا صيغة ونسيج لغوي خاص ، وليس مجرد حكي حكاية ؛ فثمة اختلاف جوهري عميق بين السرد والحكاية ، وقد ميز شلوفسكي بين " الخطاب باعتباره بناءً فنياً وجمالياً ، والحكاية باعتبارها مادة أولية / خام " (17) ، وبينما تهيمن في الخطاب عملية بناء منظمّة ، تسود في الحكاية آليات سردية عامّة ، وقد رأى ثودوروف (1930 -) أن " السرد ، باعتباره خطاباً ، يتميز عن الحكاية Histoire على مستوى الزمن . هذا التمييز يقع على مستوى الرؤية السردية ، وأن هذه الأخيرة ترجع إلى

العلاقة بين السارد والمحكي " (18)، والزمن في الحكاية يقوم على التراتبية والتعاقبية والمنطقية، بينما يتخطم هذا الزمن في الخطاب؛ ليتأسس الزمن السردى، العابر لمنطق زمن الحكاية، وكان الشكلائيون الروس يرون في هذا التخطيم "سمة الخطاب الوحيدة المميزة له عن القصيدة". (19)

ولا يتوقف السرد الشعري عند إطار القصيدة، وإنما يتخطاه، في أحيان كثيرة، إلى أشكال شعرية أكثر اتساعاً ورخابة؛ كالنص المفتوح أو النص الجامع (20)، وتتبدى شعرية السرد الشعري في قصيدة النثر، تحديداً، في تحقق شعرية النص ككل؛ نتيجة لعلاقات التوازي والتبر وتحولات إيقاع التجربة الباطني وتفاعل عناصر البنية السردية. ويسبب عدم الوعي بالفارق الجوهرى بين السرد كخطاب، والحكاية كمادة أولية له، لم يتحقق السرد في الشعر كثيراً، كما في هذين النموذجين:

-1-

"منذ أن دلف إلى المقهى وعينه لم تنزل من عليّ

قلت في نفسي: لعلّي أذكره بأحد ما

وانصرفت إلى طرفة أصابعي

كان يتسم لي طوال الوقت، أو هكذا خيل إليّ.

هششت في وجهه فحمل كرسيه وانتقل ليجلس بجواري.

ملت على المنضدة لأقلب كوب الشاي متحاشياً النظر إليه.

مال بدوره كأنما يهمس لي بسرّ وسألني

(إنت جيت إمتى من هناك) ؟

أحسست بخوف غامض وشعور أجوف كئيب.

توقفت يدي عن التقلب فاعتدل في جلسته

وصوب لي نظرة صافية، كأنه لا يراني.

لم أكد أفكر في فحوى سؤاله، حتى كانت يده المطوحة في الهواء ترتطم بوجهي

لتتقق شفتي السفلى". (21)

"مُنْذُ أَنْ مَاتَ... لَمْ أُعِدْ أَحْسَنَ طَعْمًا لِلْحَيَاةِ... صَدِيقُ الصَّبَا هُوَ أَهَمُّ شَخْصٍ فِي
الْحَيَاةِ... بَعْدَ أَنْ مَاتَ... صَارَتِ الْحَيَاةُ مُرَّةً... لَيْسَتْ الْمَرَارَةُ هُنَا مَعْنَى بِلَاغِي...
لَكِنَّمَا مَعْنَى حَيَوِيٍّ. بَعْدَ مَوْتِهِ صِرْتُ حَسَّاسًا... صِرْتُ أَنْظُرُ بَعِينَ أَكْثَرَ رَهَافَةً
لِأَطْفَالِ الشَّوَارِعِ... أَرْقُبُ صَمْتِ الْهَاتِفِ بِقَلْقٍ... كَأَنِّي أَنْتَظِرُهُ... أَظَلُّ أَحَدًا
فِي السَّاعَةِ الْخَاطِئَةِ... وَتَمْلَأُنِي الرَّغْبَةُ فِي السُّخْرِيَةِ... ذِكْرِيَاتُ الصَّبَا وَالشَّبَابِ
تَغْرُونِي... مَجَلَّاتُ الْخَاطِئَةِ الَّتِي كُنَّا تَحْلُقُ حَوْلَهَا فِي الْجَامِعَةِ... الْخُرُوجُ فِي الْأَشْجَارِ
لِلْحَدِيثِ وَالْتَأَمُّلِ... أَتَحَسَّسُ غُلْبَ الْفِيَتَامِينَاتِ فِي جَيْبِي وَأُحْدِثُ نَفْسِي:
الْإِنْسَانُ الْيَوْمَ أَقْرَبُ لِمُهْرَجِ سِيرِكِ بَائِسٍ." (22)

يَطْرَحُ التَّمُودُجُ الْأَوَّلُ حِكَايَةً لَمْ تَتَشَكَّلْ بِنَائِيًا تَشْكِيلًا يَرْقَى بِهَا إِلَى حَيَازِ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ،
الْحِكَايَةُ هِيَ الشَّاعِلُ هُنَا ، لَا سَرْدُ الْحِكَايَةِ ، وَالْحَكْيُ لَيْسَ قَرِينًا لِلْسَرْدِ ، وَارْتِبَاطُهُ بِهِ نَاجِمٌ
مِنْ أَنَّهُ الْمَادَّةُ الْخَامُ لَهُ . نَحْنُ أَمَامَ الْحِكَايَةِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي لَا تَبْدُو إِلَّا فِي عِبَثِيَّةِ الْمَوْقِفِ
وَعَرَائِثِيَّةٍ لَا فِي طَرِيقَةِ عَرْضِهِ: سَرْدِهِ .

ثَمَّةَ مُحَاوَلَةٍ لِصُنْعِ حَالَةٍ شَعْرِيَّةٍ بِالْمَشْهَدِ الْكُلِّيِّ الْغَرَائِبِيِّ ، وَلَكِنْ سَرْدَ هَذَا الْمَشْهَدِ لَمْ يَكُنْ
شَعْرِيًّا ؛ بَلْ جَاءَ نَشْرًا مُحْضًا .
بَيْنَمَا يَكْشِفُ التَّمُودُجُ الثَّانِي أَنَّ الْحِكَايَةَ ، هُنَا ، غَائِبَةٌ ، وَلَكِنْ فِعْلُ الْحَكْيِ ، هُوَ الشَّاعِلُ
الْأَغْلَبُ ، حَكْيٌ مُبَاشَرٌ ، تَقْرِيرِيٌّ ، يَبْدُو ، هُنَا ، كَأَنَّ الشَّاعِرَ يَطْمَحُ إِلَى أَدَاءِ مَا بَعْدَ حَدَاثِي ،
وَلَكِنْ أَدَاءُهُ جَاءَ أَقْرَبَ إِلَى ثَرْتَةِ سَامَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَالَمِ بِاشْمِزَازٍ ، ثَمَّةَ حَكْيٍ ، يُرَكِّزُ عَلَى
حَالَةِ اللَامَعْنَى وَالْمَرَارَةِ وَالْعِبَثِيَّةِ ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ تَشْكِيلٍ بِنَائِيٍّ لَهَا ، الْحَكْيُ - أَيْضًا - لَمْ يَصْنَعْ
السَّرْدَ .

هَذَانِ النَّمُودَجَانِ يُجَسِّدَانِ غِيَابَ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ ، رَغْمَ وُجُودِ الْحِكَايَةِ وَالْحَكِّي ، فِي الْمَقَابِلِ
سُنْطَالُغِ نَمُودَجِينَ آخَرِينَ يُحَقِّقَانِ فِعْلَ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ بِأَدَائِينَ مُخْتَلَفِينَ ، وَبِتَوْظِيفِ لِلْحِكَايَةِ
وَالْحَكِّي :

- 1 -

"رَأَيْتُهُ يُنْزِلُ الدَّرَجَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى غُرْفَةِ "سُعَاد"
الْمَرْضُصَةِ الَّتِي تَعْطِفُ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْمُفْلِسِينَ فِي مَقَاهِمُ الْمُتَوَاضِعِ قَرِيبًا
مِنْ غُرْفَتِهَا ؛ حَيْثُ يُجْلِسُونَ قُبَالَةَ سَاقِيَةٍ مِنَ الْوُحُولِ تَجْرِي وَسَطَ الرُّقَاقِ
الْمَرْضُصَةِ اللَّيْلِيَّةِ ذَاتِ الْحِذَاءِ الْأَبْيَضِ الْحَزِينِ ،
الْبَغْيِ الْمُسَاهِلَةِ فِي النَّهَارِ "سُعَاد"
وَحَيَاتِي شَارِدَ الذَّهْنِ ، مِنْ بَعِيدٍ ، بِإِيْمَاءَةٍ بَاهِتَةٍ
هُوَ الَّذِي قَضَى مُعْظَمَ النَّهَارِ يُحَاصِرُنِي
عَلَى أُرَيْكَةِ الْمَقْهَى لِأَسْلَفَةِ نَصْفِ دِينَارٍ ، مُتَحَسِّسًا بِفُجْةٍ
صَغِيرَةٍ جَاءَ بِهَا قَبْلَ سَاعَاتٍ مِنَ السَّجْنِ . "(23)

- 2 -

"أُبَوِّحُ لَكُمْ كَمْ خَدَعَنِي الْجِيرَانُ لِأَدْخُلَ هَذَا السَّبَاقَ ؟؛
أَوْهَمُونِي أَنْ لِي رَشَاقَةَ السَّلَاحِ ، وَفُجُورَ السِّيَاحِ . وَأَوْهَمُوا حَدِيثِي أَنَّهَا
الطَّيْرَانُ الْبَاحِثُ عَنْ رِيَشٍ ، ثُمَّ اسْتَلْقُوا عَلَيَّ حُصْرَ تَحْتَ النَّدَى الْفَاجِرِ لَصَبَاحِ
مُسْكُوبٍ مِنْ إِبْرِيْقٍ حَجَرِي . وَتَأَمَّلُوا خُرُوجِي مِنَ الْبَابِ بَعْدَ مَا وَضَعُوا أَمَامَ
الْعَبَةِ خُفَيْنِ رِيَاضِيَّيْنِ ، وَقَمِيصًا غَرِيقًا . وَأَنَا اتَّخَذْتُ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَسْتَسْلِمَ
بَقِيْدٍ مِنَ الْأَرْقَامِ إِلَى اتِّصَارِي . لَقَدْ فَتَنْتُهُمْ ؛ فَتَنْتُ الْجِيرَانَ ، وَالْحَكَمَ الذَّائِلَ ،
وَالضُّوْءَ الْمُسْكِبَ بِرَأْتِهِ الطَّوِيلَةِ وَالْحَلَبَةَ ، مَعًا ، رَاكِضًا مِنْ مَشِيئَتِهِ إِلَى مَشِيئَتِي ،

وَمِنْ حَبْرٍ إِلَى حَبْرٍ ، مُلْتَقِطًا خَرَزَةَ الْآدَمِيِّ الْمَكْسُورَةِ تَحْتَ أَقْدَامِ سَبَقْتِي وَلَمْ
تُنْتَصِرْ .⁽²⁴⁾

فِي النَّمُودَجِ الْأَوَّلِ ، تَتَجَلَّى الْحِكَايَةُ ، مُقْتَرَنَةً بِنَظَامٍ بَنَائِيٍّ يَعْتَمِدُ عَلَى تَوَازِي التَّرَادُفِ ؛ بِجَعْلِ
النَّصِّ يَدُورُ دَائِمًا حَوْلَ بُؤْرَتَيْنِ مَرْكَزِيَّتَيْنِ ؛ صَدِيقِهِ الْعَائِدِ مِنَ السَّجَنِ ، وَسُعَادِ الْبَغْيِ ، وَعَبْرَ
فِعْلِ التَّوَازِي نَتَعَرَّفُ ، شَيْئًا فَشَيْئًا ، عَلَى طَرَفٍ مِنْ شَأْنِ سُعَادٍ ، وَآخَرٍ مِنْ شَأْنِ صَدِيقِهِ ،
وَمِنْهُمَا نَسْتَشْعِرُ مَأْسَاوِيَّةَ كُلِّ مِنْهُمَا .

النَّصُّ يَدُورُ فِي عِلَاقَةٍ ، يُؤَدِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فِي حَرَكَةٍ دَائِرِيَّةٍ وَأَدَاءٍ يَنْزَعُ إِلَى جَمَالِيَّاتِ
بَصَرِيَّةٍ ، مُسْتَمَدَّةٍ مِنْ نَشْرِ الْحَيَاةِ الْخَالِصِ . تَتَابَعُ حَرَكَةُ التَّوَازِي ؛ لِتَجْعَلَ الْخِطَابَ سِلْسِلَةً مِنْ
التَّعَاشِقِ ، وَدَائِرَةً تَتَضَامُ جُزْأَيَاتُهَا ، فِي بِنَاءٍ خَاصٍّ ، يُؤَدِّي تَوَازِي التَّرَادُفِ فِيهِ نَبْرًا وَاضِحًا فِي
الْإِيْقَاعِ الْكُلِّيِّ لِلنَّصِّ ، وَتَتَبَدَّى حَرَكَةُ التَّوَازِي هَكَذَا : (سُعَاد) فِي نَهَايَةِ السَّطْرِ الْأَوَّلِ ، هِيَ
(الْمَمْرُضَةُ الَّتِي تَعْطِفُ عَلَى الشُّعْرَاءِ) فِي بَدَايَةِ السَّطْرِ الثَّانِي ، وَهِيَ (الْمَمْرُضَةُ اللَّيْلِيَّةُ ذَاتِ
الْحَدَاءِ الْأَبْيَضِ) فِي السَّطْرِ الْخَامِسِ ، وَهِيَ (الْبَغْيُ الْمَتَسَاهِلَةُ فِي التَّهَارِ) فِي بَدَايَةِ السَّطْرِ
السَّادِسِ ، وَفِي ارْتِدَادٍ أَبْعَدَ ، يَعُودُ ضَمِيرُ الْغَائِبِ فِي السَّطْرِ السَّابِعِ إِلَى عَائِدِهِ فِي السَّطْرِ
الْأَوَّلِ ؛ الَّذِي يَعُودُ - كَمَا يَكْشِفُ عُتْوَانُ النَّصِّ - عَلَى : (صَدِيقِ السَّيْنِيَّاتِ) ، وَفِي السَّطْرِ
الثَّامَنِ يُوَالِي هَذَا الضَّمِيرُ حُضُورَهُ - وَمَعَ كُلِّ حُضُورٍ يَتَزَايِدُ التَّرَاكُمُ الْمَعْرِفِيُّ بِهِ ؛ فَيَنْفَصِلُ
هَذَا الضَّمِيرُ الْبَارِزُ . بِهَذَا الْبِنَاءِ السَّرْدِيُّ الْمَحْسُوبُ ، يُحَقِّقُ النَّصُّ شِعْرِيَّتَهُ ، وَيَتَمَيَّزُ أَدَاؤُهُ
السَّرْدِيُّ عَنْ خَطِيئَةِ الْأَدَاءِ السَّرْدِيِّ النَّثْرِيِّ .

بَيْنَمَا يَكْشِفُ النَّمُودَجُ الثَّانِي ، عَنْ تَوَجُّهِ آخَرَ ، لِتَحْقِيقِ شِعْرِيَّةِ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ ، وَالْفِعْلُ
الشَّعْرِيُّ هُنَا - فِي إِطَارِ مَوْقِفِ الْبُوحِ - يَنْزَعُ إِلَى فِعْلِ الْحَكْمِيِّ مُعْتَمِدًا - أَيْضًا عَلَى
خَصِيصَةِ شِعْرِيَّةٍ خَالِصَةٍ فِي بِنَاءِ خِطَابِهِ هِيَ التَّوَازِي ، التَّوَازِي هُنَا يَقُومُ عَلَى تِكْرَارِ صِيغِ ؛
كَصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي : (أَوْهَمُونِي / أَوْهَمُوا / اسْتَلْقُوا / تَأَمَّلُوا) ، وَصِيغَةِ الْحَالِ : (رَاكِضًا /
مُلْتَقِطًا) ، وَتِكْرَارِ التَّرَاكِبِ ؛ كَقَوْلِهِ : (مِنْ مَشِيئَةٍ إِلَى مَشِيئَةٍ ، وَمِنْ حَبْرٍ إِلَى حَبْرٍ) ، بِالْإِضَافَةِ
إِلَى تِكْرَارِ الْإِيْقَاعِ النَّاتِجِ عَنْ انْتِظَامِ النَّبْرِ ، وَيَنْزَعُ الْأَدَاءُ السَّرْدِيُّ نَزْوَعًا وَاضِحًا إِلَى تَحْقِيقِ
شِعْرِيَّتِهِ عَبْرَ إِمْكَانِيَّاتِ شِعْرِ اللُّغَةِ ؛ فَيَحْتَفِي بِالْمَجَازِ اللَّغَوِيِّ ، الَّذِي يَقُومُ أَغْلَبُهُ ، هُنَا ، عَلَى
عِلَاقَةٍ (جَدِيدَةٍ) لِلنَّعْتِ بِالْمَنْعُوتِ ؛ (الطَّيْرَانُ الْبَاحِثُ عَنْ رِيَشٍ/التَّدَى الْفَاجِرِ/صَبَاحٌ مَسْكُوبٌ
مِنْ إِبْرِيْقٍ/ قَمِيصًا غَرِيقًا/الْحَكْمُ الذَّابِلُ/الضَّوْءُ الْمَمْسِكُ بِزَانَتِهِ) ، كَمَا يَسْتَفِيدُ ، أَيْضًا ، مِنْ

تقنية التفصيل بعد الإجمال في تفتح الحركة السردية . كأن السرد الشعري هنا ، بهذا الأداء يكشف عن جنوح الذات الشاعرة إلى إنجاز قصيدة نثر عربية الأصول ؛ تستمد حداثتها من تعاملها اللغوي .

اقترب النموذجان - في أدائين مختلفين - من حالة الشعر باقترابهما من حالة الغياب ، ومن صوت الباطن ، وهو ما يكشف عن التفاضل إلى أجواء الشعرية ؛ ليصبح الخارج ذاته متحققاً ، وبأدياً ، بوعي الداخل ؛ غير أن النموذجين اختلفا في طرائق الأداء ؛ ففي حين نزع الأول إلى حكاية السرد ووقائعه الحياتية المعيشية ، نزع الثاني - في سرده إلى تشكيلاته اللغوية ، وفي حين نزع الأول إلى مشهد الواقع المعيش ، عمد الثاني إلى عوالم اللغة ومجازاتها ، وفي حين عمد الأول إلى علاقات التوازي في تحقيق شعرية السرد وانتظام خطابه من الداخل ؛ ليحقق صورته السردية البصرية ، جنح الثاني إلى المجاز اللغوي - بالإضافة إلى التوازي - ليجسد ، منه نسيج السرد المدهش ؛ استناداً إلى طاقاته التاريخية .

تجليات البنية السردية في قصيدة النثر

تتجلى البنية السردية عبر أدائين أساسيين ؛ أداء الحكاية وأداء الحكى ؛ إذ لا يكون سرد إلا بأحد الإثنين ، ويشارك في تشكيل البنية السردية مجموعة من العناصر السردية مثل : السارد ، والمسرود له ، والزمن السردى ، والرؤية السردية ، والقضاء السردى ، وإن كان من المتحقق أن أحد العناصر يظل مهيمناً على فعل السرد ، وفي الغالب يكون السارد ، فـ " العملية السردية مؤكولة إلى شخصية السارد ، مما يجعل النص السردى عامة يخضع لسلطة السارد ، سواء كان صريحاً ، أو مضمراً ، أو افتراضياً " (25)، وإذا كان السارد هو الهيئة المسؤولة عن عملية السرد بكاملها ، فإن الزمن السردى من الأهمية بحيث رأى فيه ثودوروف أهم مكون للخطاب . (26)

تجليات البنية السردية في قصيدة النثر تتضح في النموذجين الشعريين الآتين : أولهما لوديع سعادة ، والثاني لمحمد صالح :

-1-

من نص : " لحظات ميته " ، لوديع سعادة (1948 -) :

" اختفى الشعاع فجأة . اعتقد أن غيمة تعبر "

فَوْقَ الْبَيْتِ . أَشْعَةُ الشَّمْسِ تَحْتَفِي فَقَطْ
لِسَبَبَيْنِ : إِمَّا يُحْجِبُهَا الْغَيْمُ أَوْ يَكُونُ الْوَقْتُ لَيْلًا .
وَمَا أَنَّ الْآنَ صَبَاحٌ . الْأَرْجَحُ أَنَّ غَيْمَةً تَعْبُرُ .

رُبَّمَا قَرِيبًا سَتَمَطِرُ . حِينَئِذٍ أَسْتَطِيعُ مِنْ
نَافِذَتِي ، أَنْ أَتَأَمَّلَ الْمَطَرَ . الْحَيَاةُ جَمِيلَةٌ إِلَى دَرَجَةٍ
أَنْ الْوَاحِدَ يَسْتَطِيعُ ، إِذَا سَاعَدَتْهُ الظُّرُوفُ ، أَنْ
يَتَأَمَّلَ الْمَطَرَ . بُرْجِي مَائِي ، وَأُظَنَّ أَنَّ كَوُكْبًا فِي
الْفَضَاءِ يَذُوبُ أَحْيَانًا وَيَسِيلُ هُنَا أَمَامِي . وَهُمْ
لَطِيفٌ أَحْمِلُهُ وَأَتَقَدَّمُ إِلَى النَّافِذَةِ : أَفْتَحُ الزُّجَاجَ
وَأَنْظُرُ إِلَى السَّيَّارَاتِ وَالْأَسْفَلَتِ الْجَافِ وَالْعُمَالِ
الْمُتَعَبِينَ . لِمَاذَا يَتَعَبُ هَؤُلَاءِ الْعُمَالُ ؟ ، أَنَا نَفْسِي
كُنْتُ أَتَعَبُ أَحْيَانًا وَيَنْضَحُ مِنِّي الْعَرَقُ ، لَكِنِّي
كُنْتُ أُنْذِمُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأُسْتَرِيحُ سَنَوَاتٍ . عَرَقُ
الْجِبَاهِ مَقِيتٌ ، لَا بَلْ مُخْجِلٌ . وَشَيْءٌ مُقَرَّرٌ أَنَّ
تَنْهَضَ مِنَ النَّوْمِ لَتَعْرِقَ نَفْسُكَ . تَمُرُّ سَيَّارَةٌ
وَتَتْرَكَ وَرَاءَهَا غُبَارًا خَفِيفًا . هِرَّةٌ نَائِمَةٌ فِي
الزَّائِيَةِ تَفْتَحُ عَيْنَهَا ثُمَّ تَغْمِضُهَا . أَغْلِقُ النَّافِذَةَ
وَأَعُودُ بِبُطْءٍ . " (27)

تَتَجَلَّى الْبَنِيَّةُ السَّرْدِيَّةُ ، هُنَا ، عَبْرَ إِجْرَاءَاتٍ بَنَائِيَّةٍ وَتَطْوِيرِيَّةٍ ، تَقُومُ عَلَى تَكَرُّارِ بَنَى مُحَدَّدَةٍ
عَلَى مَسَافَاتٍ ، مِثْلُ بَنِيَّةِ الْإِحْتِمَالِ : (رُبَّمَا قَرِيبًا) ، (أُظَنَّ أَنَّ كَوُكْبًا) ، ثُمَّ تَوَازِي التَّكْرِيكِ ؛
القَائِمِ عَلَى الْجَمَلِ الْإِسْمِيَّةِ الْمَبْنُوثةِ فِي السِّيَاقِ : (الْحَيَاةُ جَمِيلَةٌ - بُرْجِي مَائِي - وَهُمْ لَطِيفٌ
- عَرَقُ الْجِبَاهِ مَقِيتٌ) ، وَالْإِنْتِقَالَاتِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ؛ فَمِنْ الْإِحْتِمَالِ إِلَى التَّقْرِيرِ ، وَمِنْ

الدَّاخلِ إلى الخارج ، وَهَذَا الِارْتِدَادُ بَيْنَ الْعَالَمَيْنِ يَقُومُ بِمَزْجِ الزَّمَنِينِ : الدَّاخِلِيِّ وَالْخَارِجِيِّ ، وَتَنْدُرُ حُرُوفُ الْعُطْفِ ، وَتَتَحَقَّقُ شِعْرِيَّةُ السَّرْدِ هُنَا اعْتِمَادًا عَلَى الْمَوْتَجِ الْمَكَانِيِّ أَوْ مَا أَسَمَاهُ روبرت همفري بـ (المشهد المضاعف) ؛ حَيْثُ يَبْقَى الزَّمَنُ ثَابِتًا وَيَتَغَيَّرُ الْمَكَانُ ، وَثَمَّةُ مُرَاوَحَةٍ بَيْنَ (الزَّمَنِ النَّفْسِيِّ) وَ(الزَّمَنِ الْخَارِجِيِّ) ؛ الْأَوَّلُ فَنِّي وَالثَّانِي وَاقِعِي ، وَيَنْزَعُ (الزَّمَنُ السَّرْدِيُّ) إِلَى مَزْجِ هَذَيْنِ الزَّمَنِينِ ، وَالتَّنْقِيلِ بَيْنَهُمَا ؛ لِيَجْعَلَ النَّصَّ فِي حَالَةٍ حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ .

وَالسَّارِدُ ، هُنَا ، هُوَ السَّارِدُ الدَّائِي ، الْمَشَارِكُ فِي الْحَدَثِ ، وَهُوَ بِالطَّبَعِ " كَائِنٌ مِنْ وَرَقٍ " ؛ أَيْ تَقْنِيَّةً سَرْدِيَّةً ، يُجَسِّدُ اللَّحْظَةَ الشَّعْرِيَّةَ بِمَا يَخْتَلِجُ فِيهَا ، بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَتَصِلُنَا الرُّؤْيُ الْمَمْتَزِجَةُ عَبْرَ السَّارِدِ نَفْسِهِ ؛ فَهُوَ الْمَسْئُولُ عَنْ حَرَكَةِ السَّرْدِ ، وَإِدَارَةِ الْعَمَلِيَّةِ السَّرْدِيَّةِ كُلِّهَا بِمَا فِيهَا التَّنْظِيمُ الدَّاخِلِيُّ لِلخِطَابِ ، وَيَنْجَحُ هَذَا السَّارِدُ ، بِتَفَاصِيلِهِ الدَّقِيقَةِ الْمُهَنْدَسَةِ ، فِي تَشْكِيلِ حَالَةِ الْعُزْلَةِ ، وَالْوَحْدَةِ ، وَالصَّمْتِ .

وَالْفَضَاءُ السَّرْدِيُّ هُوَ غُرْفَةُ الشَّاعِرِ ، الْمُشْرَعَةُ عَلَى الْعَالَمِ الصَّاحِبِ ، وَالْمَغْلَقَةُ ، أَيْضًا ، دُونَهُ ، هِيَ عَالَمُ الدَّاتِ الشَّاعِرَةِ وَمَنْفَاهَا ، وَتَتَأَرَّجُ هَذِهِ الدَّاتُ بَيْنَ عَالَمِي الْحَجَرَةِ وَالشَّارِعِ ، رَاصِدَةً مَا فِيهِمَا ، رَصْدًا يَعْكُسُ مَا يَغْتَرِبُهَا ، هَكَذَا تَظَلُّ الدَّاتُ الشَّاعِرَةُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ النَّافِذَةِ ؛ الَّتِي تُشَكِّلُ مَنْطِقَةً فَاصِلَةً بَيْنَ الْحَجَرَةِ وَالشَّارِعِ ، وَفِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ تُرْفَرُ الدَّاتُ الشَّاعِرَةُ وَلَا تَكْفُ عَنْ الْقَلْقِ وَالْهَوَاجِسِ .

وَالرُّؤْيُ السَّرْدِيُّ تَرْتَهُنُ بِمَوْقِفِ السَّارِدِ ، وَتَبْدَى مِنْ اخْتِيَارِهِ زَاوِيَةَ السَّرْدِ ، وَعَرْضِهِ ، وَهَنْدَسَتِهِ إِيَّاهُ ؛ حَيْثُ تُهَيِّمُ حَالَةُ الْعُزْلَةِ عَلَى هَذِهِ الدَّاتِ ، فِي حُجْرَتِهَا ، وَتَخْضَعُ لِلْاِحْتِمَالَاتِ ؛ فَهِيَ حَتَّى لَا تُوقِنُ بِسَبَبِ اخْتِفَاءِ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، هِيَ بِمَعزِلٍ ، إِذَا ، عَنْ الْحَيَاةِ ، وَتَقْتَرِبُ مِنَ النَّافِذَةِ لِتَرَى حَرَكَةَ الْحَيَاةِ وَتَرْتَدَّ سَرِيعًا إِلَى سُكُونِهَا وَهَوَاجِسِهَا وَتَدَاعِيَاتِهَا ، هَكَذَا يُرَكِّزُ الْخِطَابُ الشَّعْرِيُّ هُنَا عَلَى تَشْكِيلِ حَالَةِ الْوَحْدَةِ الْمَطْلَقَةِ ؛ فَالتَّعَاوُلُ الْوَحِيدُ لِلدَّاتِ الشَّاعِرَةِ الْوَحِيدَةِ مَعَ الْعَالَمِ يَأْتِي كَفِعْلٍ مُشَاهِدَةٍ ، عَبْرَ النَّافِذَةِ ، تُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي هَوَاجِسِهَا ، وَمِنْ الْجَدَلِ الْحَادِثِ بَيْنَ الْغُرْفَةِ وَالشَّارِعِ وَبَيْنَ الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ وَبَيْنَ الْيَقِينِ وَالْاِحْتِمَالِ ، تَتَزَايِدُ دَرَجَةُ التَّوَثُّرِ الشَّعْرِيِّ ، وَتَتَكَثَّفُ حَالَةُ الْعُزْلَةِ وَتَتَجَمَّعُ خُيُوطُهَا الْمُتَعَدِّدَةُ فِي مَرْكَزِ الدَّائِرَةِ ، وَيَأْتِي خِتَامُ الْمَقْطَعِ كُلِّحْظَةٍ إِسْدَالِ السِّتَارِ عَلَى مَشْهَدٍ يُنْطَفِئُ تَدْرِيجِيًّا .

وَالْمُسْرُودُ لَهُ ؛ بِاعْتِبَارِهِ تَقْنِيَّةً سَرْدِيَّةً ؛ لَا تَتَجَاوَزُ عَالَمَ السَّرْدِ ، وَكَائِنًا مِنْ وَرَقٍ ، وَلَيْسَ قَارِنًا وَاقِعِيًّا ، غَيْرُ وَاضِحٍ ، فِي مَوْقِعِ النَّصِّ السَّرْدِيِّ هُنَا ؛ فَلَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مُعْطِيَاتُ نَصِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ وُجُودَهُ مُتَحَقِّقٌ مِنْ اعْتِبَارِهِ الْمَخْصُوصَ مِنْ عَمَلِيَّةِ السَّرْدِ ، وَهُوَ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ السَّارِدُ ؛

حَيْثُ يَقَعُ الطَّرْفَانِ فِي مُسْتَوًى سَرْدِيٍّ وَاحِدٍ ، وَهَذَا الْمَسْرُودُ لَهُ فِي حَالِهِ اسْتِغْرَاقٌ تَامَّةٌ
وَأَمْتِنَالٍ لَمَا يَنْقُلُهُ السَّارِدُ لَهُ فِي حَمِيمَةٍ وَدِقَّةٍ .

-2-

" شَرَابُ اللُّوز " ، لِمَحَمَّدٍ صَالِحٍ (1942-2009) :

"عِنْدَمَا مَرَضْتُ جَدَّتِي
حَمَلْنَاهَا إِلَى دَارِنَا
كَانَتْ وَحِيدَةً
وَكُنَّا يَتَامَى
مَدَدْنَاهَا فِي قَاعَةِ الْفُرْنِ
أُسْفَلَ خَزَانَةِ الْكُتُبِ فِي الْحَائِطِ
وَوَغَطْنَاهَا بِجِرَامِ أَبِي
ثُمَّ جَاءَ الْكِبَارُ
وَوَصَفُوا لَهَا شَرَابَ اللُّوزِ
قَالُوا إِنَّ جَدَّتِي عَادَتْ طِفْلَةً
وَأَنَّهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى لَبَنِ الْأُمِّ
وَلَشُهْرٍ طَوِيلَةٍ
ظَلَّتْ جَدَّتِي تُحْتَضِرُ
كَانَتْ مَعْدَتُهَا تَطْرُدُ كُلَّ شَيْءٍ
حَتَّى ذَلِكَ الشَّرَابَ الْحَلِيبِيَّ
الَّذِي كُنَّا نَشْمُرُ رَائِحَتَهُ فِي أَنْفَاسِهَا
وَكَانَ وَجْهُهَا الْأَبْيَضُ يُرْدَادُ بَيَاضًا
كَلَّمَا نَصَلَتْ حِنَاءَ شَعْرِهَا
وَكَانَتْ تَخْرُجُ مِنْ غَيْبُوتَةٍ

لتدخُلَ في أُخْرَى
 وكلَّ مَرَّةٍ
 كَانَتْ تُكَلِّمُ آخِرِينَ لَا نَرَاهُمْ
 وَتُنَادِينَا بِغَيْرِ أَسْمَائِنَا
 حَتَّى كَانَ ذَاتَ لَيْلٍ
 كَانَ أَخِي يَدْفِنُ طِفْلَةً فِي الْحَائِطِ
 عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ جَدَّتِي
 وَطَلَبْتُ أَنْ نَفْتَحَ الْمَقْبَرَةَ
 كَانَ الطَّرِيقُ طَوِيلًا
 وَكَانَ هُنَاكَ مَا يَكْفِي كَلْحِدٍ
 لَكُنْهَا انْتَرَعَتْ الطِّفْلَةَ مِنَ الشَّقِّ الضَّيِّقِ
 وَقَالَتْ إِنَّهَا سَتَأْخُذُهَا مَعَهَا
 وَفِي الصَّبَاحِ
 مَاتَتْ جَدَّتِي . " (28)

يَكْشِفُ هَذَا النَّصُّ عَنْ وَلَعٍ شَدِيدٍ بِنَاءِ هَارْمُونِي ، يَسْتَنِدُ إِلَى المِثُولُوجِيَا الرِّفْيَةِ ، بِاعْتِقَادَاتِهَا
 شَدِيدَةِ الْخُصُوصِيَّةِ ، فِي إِطَارِ حِكَايَتِي يَنْزَعُ إِلَى وَقَائِعَةِ السَّرْدِ ، بِتَفَاصِيلِهِ الرِّفْيَةِ الْمَصْرِئَةِ
 الْخَالِصَةِ .

الزَّمَنُ السَّرْدِيُّ ، هُنَا ، يُوَازِي زَمَنَ الْمَثَنِ الْحِكَايِيِّ وَيُؤَاثِمُهُ ؛ فَيَمُضِي بِالتَّسْلُسِلِ الْمُنطَقِيِّ ،
 ذَاتِهِ ؛ " لِیُصْبِحَا مَعًا زَمَنًا وَاحِدًا ، يُكْرِّرُ الْأَوَّلَ مِنْهُمَا الثَّانِي ، لِدَرَجَةٍ لَا نَشْعُرُ مَعَهَا بِأَيِّ
 مَجْهُودٍ لِلسَّارِدِ فِي إِعَادَةِ خَلْقِ الْحِكَايَةِ " (29)؛ فَالسَّارِدُ يَرْعُبُ فِي الْمَحَافِظَةِ عَلَى خَطِيئَةِ
 الْحِكَايَةِ وَتَتَابُعِهَا ، وَاسْتِحْضَارِ مَسَارِهَا الطَّبِيعِيِّ الْمَتَسَلْسِلِ كَمَا حَدَثَ ؛ وَلِهَذَا يُرَكِّزُ السَّارِدُ
 عَلَى صِيغَةِ الْمَاضِي ؛ الَّذِي يَتِمُّ اسْتِرْجَاعُ تَفَاصِيلِهِ ، بِتَتَابُعِهَا السَّرْدِيِّ ، فِي نَبْرَةٍ أَسْيَانَةٍ ، خَافَتِ
 ، وَمِنْ الْبَدَايَةِ يَلِجُ النَّصُّ مِنَ الزَّمَنِ الْحَاضِرِ : زَمَنِ الْكِتَابَةِ ، إِلَى الزَّمَنِ الْمَاضِي : زَمَنِ الْحِكَايَةِ
 ، مُبَاشَرَةً ، بَعْدَ أَوَّلِ مُفْرَدَةٍ : " عِنْدَمَا " ، لِلْمَثُولِ فِي حَضْرَةِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهَا : "
 عِنْدَمَا مَرَضَتْ جَدَّتِي " ، وَتَدْرِيجِيًّا يَتِمُّ اسْتِدْعَاءُ هَذَا الْمَاضِي الْحَمِيمِ الْمَفْقُودِ فِي الْحَاضِرِ .

السردُّ هنا منطقيّ ، عموديّ ، متسلسلٌ ، ومتدرّجٌ في الزمن الماضي " سرّرد استديكاريّ " ، والزمنُ هنا أقربُ إلى الزمن الفيزيقيّ ، في حركته ، وتدقيقه في خطّ مستقيم .

والفضاء السردّيّ ، هنا ، دارٌ ريفيّةٌ ، مشمّولةٌ باعتقاداتٍ شديدةٍ الخصوصيةِ ، تميّزُ الرّيفِ المصريّ ؛ الدّارُ هنا تتّضحُ بملامحها الرّيفيّةِ الخالصةِ : قاعةُ الفُرْنِ — خزّانةُ الكُتُبِ في الحائطِ — الحرامُ — الحنّاءِ ، وتفاصيلُ السردِّ الدّقيقةُ ؛ كدفنِ الوليدِ في حائطِ الدّارِ ، تُرسّخُ لطبيعةَ هذه الدّارِ وطُوقِها الحميمةِ الخاصةِ .

والسّاردُ ، هنا ، هو ساردٌ ذاتيٌّ ، مشاركٌ في الحدثِ ، وراصدٌ له ، ومُحرّكٌ للسردِّ ، وبانٍ له ؛ يستدعي تفاصيلَ مَرَضِ الجدةِ ومَوْتِها ، ويقومُ بإدارةِ فعلِ السردِّ ، موازنًا بينَ زمنِ السردِّ وزمنِ الحكايةِ ، وفي النصِّ ما يدلُّ على أنّه يستدعي ماضيًا بعيدًا ؛ حيثُ يقولُ : (كُنّا يتامى) ، ويقولُ : (جاء الكبارُ) ، هكذا يحاولُ السّاردُ (كتقنيّة) أن يتحدَّ مع السّاردِ (الشّاعر) في رصْدِ (السّاردِ) (المُشخصنِ في الماضي) ؛ ليعطيَ النصَّ مصداقيّته ومُرجعيّته .

والمسرودُ له ، يتبدّى في موقعيّة التلقّي ؛ حيثُ تُقدّمُ إليه هذه التفاصيلُ الكاملةُ ، ومن الواضحِ أنّه لم يكنْ يعلمُ عنها من قبلُ شيئًا ؛ فالسّاردُ لا يحيله لأيّ جزئيّةٍ منها ، إنّهُ يتلقّى الحكايةَ كاملةً ، ولا يُعزّزُ حضوره سوى هذا البوحُ له بكلِّ هذه التفاصيلِ المرويةِ .

والرؤيّة السردّيّةُ ؛ تتكشفُ من ترتيبِ الأحداثِ ، من منظورِ السّاردِ المشاركِ ، ترتيبًا يُحافظُ على خطيّة زمنِ الحكايةِ ؛ فيرصدُ الجدةَ في المشهدِ الأخيرِ ، وهي تذوي شيئًا فشيئًا ، حتّى النهايةِ ، فتكشفُ لوعه الرّحيلِ ؛ التي لا يزالُ السّاردُ يحملُها بتفاصيلِها ، بكلِّ دقّةٍ ، مُحكمًا القَبْضَ عَلَيْهَا .

ثمّةُ الكتابةُ في مُواجهةِ الموتِ .

السردُّ في مُواجهةِ الفناءِ .

مراوغاتُ السردِّ الشعريّ

لكي يُحافظَ السردُّ الشعريّ على خصوصيّته ، ينحو ، في كثيرٍ ، إلى إجراءاتٍ سرديّةٍ ، تخرجُ على نمطيّة الأداءِ السردّيّ الثّريّ ، على المستوى النّظميّ تحديداً ، مُستغلاً في ذلك آليّاتِ الحذفِ ، والفصلِ والوصلِ ، وتقنيّاتٍ أخرى ، سينمائيّةٍ ؛ كالمونتاژ ، وغير ذلك ممّا يُعزّزُ حضورَ الفعلِ السردّيّ أكثرَ من الحدثِ الحكائيّ ، ويظلُّ لكلِّ تجربةٍ نظامُها التركيبيّ الخاصُّ ، وبالتالي خصوصيّتها البنائيّةُ .

وَقَدْ ظَهَرَتْ مُحَاوَلَاتٌ لِتَدْمِيرِ وَقَائِعِ الْحِكْمِيِّ ، فِي السَّرْدِ ، وَإِرْبَاكِ الْحِكَايَةِ ، أَوْ تَشْطِيطِهَا ، وَإِضْمَارِ الْكَثِيرِ مِنْ تَفَاصِيلِهَا ، وَتَشْتِيتِ مَرْكَزِهَا ، وَإِرْبَاكِ التَّابِعِ الزَّمَنِيِّ لِلْأَحْدَاثِ ، وَإِقَامَةِ فَجَوَاتٍ وَانْتِقَالَاتٍ وَانْقِطَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ دَاخِلِ الْخِطَابِ ، بَحِثٌ يُضْمِرُ كَثِيرًا مِنَ الْمَحْكِيِّ عَنْهُ ، كَأَنَّهُ يَفْتَرِضُ أَنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى مَسْرُودٍ لَهُ عَلِيمٌ بِأَطْرَافِ الْحِكَايَةِ ؛ فَيَقْدُمُ لَهُ خِطَابًا عَنْ الْخِطَابِ ، أَوْ يَفْتَرِضُ أَنْ يُشَارِكَ الْمَتَلَقِّي فِي سَدِّ هَذِهِ الْفَجَوَاتِ السَّرْدِيَّةِ ، وَإِتِمَامِ أَجْزَاءِ الْخِطَابِ ، حَتَّى تَكْتَمِلَ حَرَكَتُهُ السَّرْدِيَّةُ ، وَبِالنَّاتِلِ تَتَشَكَّلُ الدَّلَالَاتُ ، وَتَكْمُنُ الصُّعُوبَةُ أحيانًا فِي كَوْنِ السَّارِدِ يُحِيلُ إِلَى تَارِيخِهِ الشَّخْصِيِّ بِإِشَارَاتٍ سَرِيعَةٍ ، وَمِنْ هُنَا يَظَلُّ لِلْخِطَابِ حُضُورُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَوْضُوعِ الْحِكْمِيِّ .

يَتَجَلَّى ذَلِكَ بِشَكْلِ خَاصٍّ فِي عَمَلَيْنِ شَعْرِيَّيْنِ ؛ نَقْدِ الْأَلَمِ ، لِعَبَّاسٍ بِيضُونَ ، وَ: يُوجَدُ هُنَا عَمِيَانُ ، لِحَلَمِيِّ سَالِمٍ .

عِنْدَ عَبَّاسٍ بِيضُونَ (1947-) ، يَبْدُو السَّارِدُ كَأَنَّهُ يَقْدُمُ انْطِبَاعًا عَنِ الْمَحْكِيِّ عَنْهُ ، يُرَكِّزُ فِيهِ عَلَى أَجْزَاءٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الْكَلَامِ ، بِحَرَكَةٍ اسْتِرْجَاعِيَّةٍ ، فِي الْغَالِبِ ، تَتَشَكَّلُ الذِّكْرَى ، فِي عِبَارَاتٍ تَتَدَاخَلُ فِيهَا الْأُزْمَةُ وَالْوَقَائِعُ وَتَتَوَالَى فِيهَا الصَّمَائِرُ الَّتِي لَا تُحِيلُ إِلَى مَعْلُومٍ :

مِنْ جِهَتَيْنِ فِي الظَّلَامِ

"حِينَ قَتَلُوا الصَّدِيقَ اسْتَرَدُّوهُ . كَذَلِكَ سَيُعِيدُونِي إِلَى أَهْلِي . الذِّكْرِيَّاتُ خَالَاتٌ نَشْغَلُنْ بِطَرِيَةِ مَرَايَاهُنْ وَلَا تُشَبِّهَنَّ سِوَاهَا . كُنْتُ أَنْتَظِرُ زِيَارَتَهُ . نَوْرَةٌ أَوْ صَمْنَةٌ أَوْ رَائِحَتُهُ ، كَمَا كَانَتْ نَظَرَتُهُ تُصَادِفُ وَجْهِي مِرَارًا وَنَحْنُ نَحْدَقُ مِنْ جِهَتَيْنِ فِي الظَّلَامِ . حِينَ نَعُودُ لَا نَخْشَى مِنَ اللَّاشَكْلِ . يُمَكِّنُ لَكَثِيرِينَ أَنْ يُفْغِرُوا مِنْ مُحْطَةٍ إِلَى غَيْرِهَا . فِي الْأَرْقِ الْمَوْصُولِ لَا ضَرُورَةَ أَوْ نَهَايَةَ لِلْمَصَابِيحِ . فَقَطْ نُورٌ مُتَسَاوٍ وَاحِدٍ . أحيانًا أَفَكِّرُ أَنَّ الْفَلَاحِينَ نَفَخُوا الْأَرْضَ مِنْ أَمَامِنَا . (30)

هَكَذَا آثَرَ عَبَّاسٍ بِيضُونَ أَنْ يُشَيِّدَ نَصَّهُ السَّرْدِيَّ ، بِقَلِيلٍ مِنَ الْجُمْلِ الْمَتَدَاخِلَةِ ، أَغْلِبُهَا خَبْرِيٌّ ، وَبَعْضُهَا مُضْمَعٌ بِالْمَجَازِ ، فِي نَسِيجِ سَرْدِيٍّ انْطِبَاعِيٍّ . الْحِكَايَةُ ذَاتُهَا غَيْرُ تَامَةٍ فِي النَّصِّ ، وَالصَّمَائِرُ لَا تُحِيلُ إِلَى مَعْلُومٍ ، وَالشَّاعِرُ ، وَخَدَهُ ، صَاحِبُ الْحَقِّ فِي فَكِّ شَفَرَاتِ النَّصِّ ، وَإِتِمَامِ فَجَوَاتِ الْحِكَايَةِ ، تَتَجَاوَرُ شَذَرَاتُ الْجُمْلِ ، وَتَتَوَاصَلُ نَثَارَاتُهَا ، وَتَبْقَى دَائِمًا

تفاصيل سرديّة أخرى مُضمّرة ، وَغَيْرُ مَعْلُومَةٍ سِوَى السَّارِدِ ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ الْحِكَايَةَ ، بَلْ تَأْسِيسَ خِطَابٍ شِعْرِيٍّ سَرْدِيٍّ بِشَطَايَاهَا ، خِطَابٍ يَتَشَكَّلُ مَجَازُهُ مِنْ عِلَاقَةِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ وَالْمُضْمَرِ ، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، وَهُنَا يَعْمَلُ الْمَوْنِتَاجُ وَالْكُولَاجُ عَلَى تَشْكِيلِ هَذَا الْفَضَاءِ الْمَجَازِيِّ الْغَرَائِبِيِّ ، وَيَبْدُو هَذَا فِي التَّصَوُّصِ التَّالِيَةِ ، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ :

النَّدَمُ مِهْنَةُ الْآخِرِينَ

" قَتَلُوا أَبْنَاءَهُمْ بِالْغُلْظَةِ ذَاتَهَا الَّتِي قَاتَلُوا بِهَا أَعْدَاءَهُمْ . مَعَ ذَلِكَ ، الْأُسْرَةُ بِكَامِلِهَا تَتَرَيَنَّ فِي الدَّخْلِ . أَحْيَانًا لَا أَصْدَقُ أَنَّ الْقِطْعَةَ الْأَكْبَرَ تَتْرُصَّحِبًا . كُلُّ هَذَا لَمْ يُخْلَفْ شَبَحًا .
النَّدَمُ بِالْفِعْلِ مِهْنَةُ الْآخِرِينَ . (31)

النَّرْدُ

" الْقَمَمُ مَمْلُوكَةٌ يَا سَيِّدِي . الْحُقُولُ لِلْأَقْرَامِ . أَشْعُرُ أَنِّي أَحْتَاجُ لَعَدْدٍ أَكْبَرَ مِنْهَا كَيْ أُرْتَبَ مَكْتَبَةُ أَبِي . أَفَرِّقُ أَخْطَائِي وَحِينَ أَفْرَغُ مِنْهَا لَا يَعُودُ سِوَى ذَلِكَ النَّرْدُ وَحْدَهُ فِي قَلْبِي .
لَقَدْ صَنَعُوا دُونَ أَنْ أُدْرِيَ الدَّقِيقَةُ الْكَاسِرَةَ . (32)

دَقِيقَةُ الْعُبُورِ

" عَصَا أَبِي تَقُودُنِي إِلَيْهِ : نَلْتَقِي عِنْدَ نِظَارَتِيهِ ، وَمِنْهُمَا نَعْبُرُ إِلَى السَّمَاءِ ، يَدَايِدِ .
الْأَرْضُ وَالْكُتُبُ وَالْأَصْدِقَاءُ دَقَائِقُ مَاضِينَا . دَعِ حَدُوتَكَ فِي قَلْبِي يَا سَيِّدِي .
سَاعِدْنِي عَلَى هَذَا الْحَقْدِ . (33)

أَمَّا عِنْدَ حِلْمِي سَالِمِ (1951-2012) ، فَإِنَّ الْخِطَابَ يُبَالِغُ فِي إِضْمَارَاتِهِ وَفَجَوَاتِهِ وَكُولَاجَاتِهِ ؛ فَتَمَّةُ تَفَاصِيلِ سَرْدِيَّةٍ كَثِيرَةٍ مُسْتَبْعَدَةٌ مِنَ الْخِطَابِ ، وَانْقِطَاعَاتٌ وَاضِحَةٌ ، وَتَدَاخُلَاتٌ جَلِيَّةٌ ، وَبِرْغَمِ حِكَايَةِ السَّرْدِ - فِي : يُوجَدُ هُنَا عَمِيَان - إِلَّا أَنَّهُ لَا يَقْصُ الْقِصَّةَ ، وَإِنَّمَا يَتَمَحَوَّرُ حَوْلَهَا ؛ فَيَكْشِفُ أَشْيَاءَ وَيُضْمِرُ غَيْرَهَا ، وَلَا يَكْفُ عَنْ الْمَرَاوَعَةِ ، وَمِمَّا يُزِيدُ الْمَشْهَدَ السَّرْدِيَّ إِثَارَةً أَنَّ الْوَقَائِعَ الْمُسْرُودَةَ شَدِيدَةُ الدَّائِيَّةِ وَالْخُصُوصِيَّةِ وَالتَّشْطِي . ظَاهِرُ

الأمر أن ثمَّ تدققاً سردياً ، غير أنَّ الؤلُوجَ إليه يكشفُ عن انقطاعه وفجواته رغم السامية واتصالاته :

" لا مانع أن يُصارحاً الطبيبَ بالفقرة المعطوبة العليا في سلسلة الظهر ، بدلاً من أن يُموها عليه بإفهامه أن إطفاء السجائر في اللحم كان تمثيلية تربوية . هي معذورة في الخوف من فقدانها ، نظراً لدورها الجوهرية إذا كان الفستان بسبعة من الخلف . وإن صار لأبد من بُرّها اقتراحاً على الجراح أن يُثبت مكانها كرة بنج بيضاء تقوم بنفس الدور . فلو أنه السرطان لكان أمراً بديعاً . إذ سيمنح الدبلوما سيين تكييفاً للشائعة التي تقول أن عندها جُرثومة تحت شعر السرِّ ، كما أن حديثهما عن الإخفاق سيو يحظى بمصدقية لم تحقّقها حينما أكدت مراراً أنها تكره العيش مع شركاء . " (34)

هكذا يُشدّد النصُّ على انغلاقه على تفاصيل خاصة ، مُقدِّماً ما يُساهم في تشكيل بنيته المحكمة فقط ، وضارباً الصّفح عن تفاصيل أخرى ، تكتمل بها الصورة الكاملة للحدث ، كأنما السارد يعتمد على علم المتلقي بهذه التفاصيل ، تماماً كالسارد .

إنَّ النصَّ يتأبى على البوح إلا بما يعرضه عبر بنية القصّ المحكمة ، بما تحمله من فجوات دلالية في مجرى السرد ، بفعل الحذف ، وتعتيم بعض مَشاهد النصِّ دلاليًا ، وإزالة بعض أطراف الحكاية ، ويُقوم السردُّ هنا باستحضار شطأيا اللحظة المشبوبة ، وتجسدها في أفق سرديّ يقوم على الالتحام التركيبيّ وتَشطّي أبعاد الحدث وتقويض التراتب الوقائي :

" ننهش الحوائط بأظافرنا لأنها لم تستطع تحذيره من عدوان الشوارع . تبادلنا تعارف الأمتاع بالأمعاء ، ثم تركته وحيداً أحشائه التي يهركها الكلاب ، وهي العليمة بالساعة التي يصير فيها الفيروس سيّد المنزل .

ليس من وقت لإثبات أسبقية الروح . وهي تشم عرقه بينما الآخرون ، يمسخونه بفوطه . تضع خافض الحرارة في الشرج ، وتظل واقفة كدبان إلى أن ينتظم الوجيب ويرحل سيّد المنزل ، فتستطيع أن ترى خيوطاً من الدّم في الفتوات التي خلفها الأظافر . " (35)

إنَّ الحدث على مُستوى نصّ كهذا يبدو غير كامل ، ويحتاج المتلقي ، وهو يقرأ ، أن يتناص مع المؤلف فيحاول مُواكبته بإكمال بناء النصّ المقروء (36) ، ذلك أن النصّ يظلُّ

محافظاً على تاريخيته الخاصة المغلقة ؛ التي تكتفي بتقديم إضاءات محدّدة تحت على ضرورة الولج إلى ما وراءها ، أو تصوّر هذه التاريخية المكنونة في بنية مُحكّمة .
إنّ النصّ السردّي ، هنا ، يستمدُّ شعريّته من فجواته السردية واتّصال الجمل المتباعدة ، بما يُشكّل انزياحه السردّي وأفقّه المجازي .

ظواهرُ سرديةٌ جديدةٌ في السردِ الشعريِّ

لم يتوقف السردُ الشعريُّ عند مجرد شكل الدفق الشعريِّ السردّي ؛ حيثُ ظهرت فيه مجموعةٌ من الظواهر السردية الجديدة على الشعرية العربية ، في أعمالٍ شعريةٍ قليلةٍ ولكنها تُشكّل معالمَ مساراتٍ جديدةٍ في السردِ الشعريِّ الرَّاهن ، وتتمثّل في : الصور السردية - السردُ اللا مشرود - السردُ من الخارج - السردُ الموضوعي - السردُ الدائري .
وهي ظواهرُ فتحت آفاقاً جديدةً للشعرية الرَّاهنة ، على النحو الذي يكشفه تأملُ كلِّ ظاهرةٍ من هذه الظواهر .

الصورة السردية

تختلف الصورة السردية عن الصورة المشهدية ، في أنّ الأخيرة تعتمد المجاز البصري ، في شيءٍ من الحياد ، فيما تعتمد الصورة السردية على حكاية السرد وحدثيته ، وتدفق الزمن فيه ، عبر توالي أفعال ، ينتظم الحدث فيها لإنتاج الدلالة الشعرية ، ومن أبرزها ما يأتي فيها السردُ استبطانياً ، مُتحدداً مع الصوت الداخلي للسارد ، وقد ساعدت الصورة السردية على التخفيف من تداعيات الغنائية ، ومن آليات أدبية تفتن بها وتستبيحها .
نقرأ لفريد أبي سعدة (1946) نصّاً بعنوان : " اتّصال " ، جاء على هذا النحو :

" في الليل

أيقظه الرنينُ

وجاء صوتُ أبيه حزينا في التليفون

حكى لأخيه في الصباح ، فربت على ظهره مُندَهشةً

وقالت : إنه يفعل ذلك

منذُ

وفاته. " (37)

إنَّ الصُّورَةَ السَّرْدِيَّةَ ، هُنَا ، تَكْتَمِلُ عَبْرَ سِلْسِلَةِ الْأَفْعَالِ الْمَاضِيَةِ الْمَسْرُودَةِ : " أَيْقَظُهُ الرَّنِينُ ..
جَاءَ صَوْتُ أَبِيهِ .. حَكَى لِأَخْتِهِ .. رَبَّتَتْ عَلَى ظَهْرِهِ .. قَالَتْ .. " ؛ لِيَكْتَمِلَ مَجَازُ الصُّورَةِ السَّرْدِيَّةِ
الْكُلِّيَّةِ ؛ الَّتِي تَكْتَسِبُ بِلاَغَتَهَا وَشَعْرِيَّتَهَا مِنْ طَبِيعَةِ الْمَسْرُودِ الْغَرَائِبِيِّ ؛ اتِّصَالِ أَبِيهِ (الْمَيِّتِ)
بِهِ ، فِي اللَّيْلِ ، بَعْدَ أَنْ يُوقَظَهُ الرَّنِينُ ، وَلَا تَقْتَصِرُ الْغَرَابَةُ عَلَى هَذَا الْحَدَثِ ؛ بَلْ تَتَعَدَّاهُ إِلَى
مَا هُوَ أَبْعَدُ ؛ فَحِينَمَا يُصَارِحُ أَخْتَهُ بِمَا حَدَثَ لَا تَتَعَجَّبُ ، وَإِنَّمَا تُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِهِ ؛ لِتُطْمَئِنُّهُ ،
وَلِتُخْبِرَهُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مَأْلُوفٌ تَمَامًا يَفْعَلُهُ مِنْذُ وَفَاتِهِ .

وَنَقْرَأُ لِمَحَمَّدٍ مَتَوَلِيٍّ ، فِي نَصِّ بَعْنَوَانٍ : الْبَرَابِرَةِ ، هَذَا الْمَقْطَعُ :

"حِينَ هَجَمَ الْبَرَابِرَةُ عَلَى الْمَدِينَةِ

كَانَتْ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا

لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ السَّاقِي فِي الْحَانَةِ

فَشَرَبُوا

وَعِنْدَمَا غَفَا أَحَدُهُمْ

خَطَفَ السَّاقِي سِلَاحَهُ

وَأَرَادَهُمْ قَتْلَى

عَلَّقَ رُؤُوسَهُمْ عَلَى الْحَائِطِ

بِجَوَارِ الدُّبِّ وَالْغَزَالِ

حَرَقَ ثِيَابَهُمُ الْمَسْكُونَةَ بِالْقَمَلِ فِي مَقْلَبٍ لِلْقِمَامَةِ بِالْخَارِجِ

ثُمَّ اسْتَأْنَسَ بِالنَّارِ

رَاشَقًا مِنْ كَأْسِ نَبِيذٍ ضَخْمٍ

وَهُوَ يُحْصِي قِطْعَ السِّلَاحِ . " (38)

إنَّ عُنَاوِينَ الصُّورَةِ السَّرْدِيَّةِ ، هُنَا ، تَتَنَامَى وَتَتَكَامَلُ عَبْرَ تَوَالِي الْأَفْعَالِ السَّرْدِيَّةِ ؛ الَّتِي تُشَكِّلُ
الْمَوْقِفَ السَّرْدِيَّ ، فِي جُنُوحٍ وَاضِحٍ لِسَرْدِ الْحِكَايَةِ ، بِمُخَيَّلَةٍ سِينِمَائِيَّةٍ الْأَدَاءِ ، تَسْتَدْعِي
نَمَطَ أَفْلَامِ رُعَاةِ الْبَقَرِ الْأَمْرِيكِيِّينَ .

السردُ اللامسرودُ

وهو نوعٌ من السرد ، حدّده جيرالد برنس بأنّه *no marrrted narrative* ، سردٌ يكون فيه الساردُ غائباً ، سردٌ يعرضُ الوقائعَ والمواقفَ بأقلِّ درجةٍ من التوسُّطِ السردِيّ (39). إنّه سردٌ تتشكّل فيه الشعريّةُ ، من علاقةِ الأشياءِ المتجاوزةِ في الفضاءِ الشعريّ ، سردٌ يتخفّف من التّدويتِ ، وتعلو فيه درجّاتُ الموضوعيّةِ والحياديّةِ ، ومنه نصٌّ لبسام حجار بعنوانٍ : بضعةُ أشياءٍ فقط ، يُشبهُ سردهُ الشعريُّ فيه ما يُعرفُ ، في الفنِّ التشكيليِّ بفنِّ الطّبيعةِ الصّامتةِ ؛ حيثُ تتولّد الدّلالاتُ الجماليّةُ من علاقاتِ الأشياءِ ، في المشهدِ ، على هذا النحو :

"منديلٌ ناصعٌ

وحرّقانِ مطرزانِ

بالأزرقِ أو

الزّهريّ .

كرسيُّ الخيزرانِ

مُسْتَقِيمُ الظّهرِ

قربَ الياسمينَةِ على الشّرفةِ

أوبجوارِ البابِ في الصّالةِ

على مَبْعَدَةٍ

منُ الجالسينِ كثيرًا وغيّبا

نَعشٌ وحيدٌ

زنابقٌ كثيرةٌ . " (40)

ولنلاحظْ ، هنا ، غلبةَ العناصرِ المكانيّةِ . في النصِّ . على العنصرِ الزّمانيّةِ ، وهو ما يُبرزُ الامتدادَ الأفقيّ للنصِّ على الامتدادِ الرّأسيّ ، فثمّةُ تركيزُ أساسيٍّ على الأشياءِ والعناصرِ ووضْعها في أبنيةٍ ، تتفجّرُ فيها الشعريّةُ من علاقةِ الأشياءِ بعضها ببعضٍ . ونقرأ لمحمّد متولي :

"الكرسيُّ الهزازُ يتحركُ جوارَ النافذةِ

وعليه ملابسُ الطفلِ وتبعُ الرجلِ

في مواجهةِ السريرِ الخالي

ذي الملاءةِ الصفراءِ والوسائدِ الورديّةِ

وكانَ المطرُ غزيراً بالخارجِ . (41)

السردُ مِنَ الخارجِ

هُوَ سَرْدٌ بَصَرِيٌّ ، خَارِجِيٌّ ، لا يبدو الدّاخلُ ، فِيهِ إِلا بِإِشَارَاتٍ مِنْ حَرَكَةِ المَشْهَدِ الخَارِجِيِّ ،
بتفاصيلِهِ السَّرْدِيَّةِ الدَّالَّةِ ، وَلِهَذَا السَّرْدُ أَوَّاصِرٌ عَمِيقَةٌ بِأَلْيَاتِ السَّرْدِ السَّيْنِمَائِيِّ ، وَمِنْهُ قَوْلُ

كريم عبد السلام :

"المرأةُ التي تبيعُ السَّجَّاتِ والحُلُوى أَشْعَلَتْ مِصْبَاحَ الكيُوسينِ ثُمَّ حَدَقَتْ جِدًّا إِلَى

القُرُوشِ ، حَتَّى لَا يَخْدَعُهَا أَوْلَادُ الشَّيَاطِينِ ، الَّذِينَ يَنْجَحُونَ فِي تَوْجِيهِ زَفَرَاتٍ قَوِيَّةٍ

لشُعْلَةِ المِصْبَاحِ ثُمَّ يَجْرُونَ

حِينَ تَخْرُجُ مِنَ الكُشْكِ لِإِخَافَتِهِمْ

يَلْمَحُونَ ظِلَّهَا طَوِيلًا مَا تَلَا فِي ضَوْءِ القَمَرِ

تُشْعِلُ ثَانِيَةً ، وَيَسْلُلُ الأَوْلَادُ بِاتِّجَاهِ الكُشْكِ

وَتَخْرُجُ المَرْأَةُ فِي ضَوْءِ القَمَرِ

مَرَّاتٍ يَشْتَدُّ أَهْوَاءُ حَوْلِ الكُشْكِ ، مُحَرِّكًا دَوَامَاتِ

مِنَ التَّرَابِ وَيَنْطَفِئُ المِصْبَاحُ ، فَيُظْهِرُ ظِلَّ المَرْأَةِ ،

وَهِيَ تَبْحَثُ عَنْ أَوْلَادِ الشَّيَاطِينِ

طَوِيلًا مَا تَلَا فِي ضَوْءِ القَمَرِ

حِينَ لَا تَجِدُ أَحَدًا تُغْلِقُ نَافِذَةَ الكُشْكِ وَتَذْهَبُ

إِلَى وَكْرِهَا بِطِئْنَةٍ فِي خُطَوَاتٍ مُهْتَزَّةٍ . " (42)

إنَّ الفعلَ السَّرْدِيَّ ، هُنا ، يرصُدُ الحركةَ الخارجِيَّةَ ، الدَّالَّةَ ، لهذهِ السَّيِّدَةِ ، في وُقُوفِهَا لِبَيْعِ السَّجَائِرِ وَالْحُلُوى ، وإشغالِهَا مِصْبَاحَ الكَيروسِينِ ، ومُطَارَدَتِهَا لِلأَطْفَالِ العَابِثِينَ ، الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَيْهَا ؛ لِإطفاءِ المِصْبَاحِ ، بِزَفَرَاتٍ قَوِيَّةٍ ، ثُمَّ يَهْرَبُونَ مِنْهَا ، وخُرُوجِهَا لِإِخْفَاتِهِمْ ، ثُمَّ إطفاءِ الرِّيحِ المِصْبَاحِ ، وخُرُوجِهَا ، مِنْ جَدِيدٍ ، وَيَرصُدُ السَّارِدُ حَرَكَتَهَا (الخارجِيَّةَ) وظِلَالَهَا المِهْنَزَةَ فِي عَوْدَتِهَا ، مِنْ الكُشْكِ ، إِلَى وَكْرِهَا ، فِي ضَوْءِ القَمَرِ .

السَّرْدُ المَوْضُوعِيُّ

وهو نوعٌ مِنَ السَّرْدِ ، عَرَفَهُ جيرالد برنس بأنَّه **objective narrative** ، سَرْدٌ يَتَمَيَّزُ بِموقفِ السَّارِدِ المِسْتَقِلِّ عَنِ المَوَاقِفِ وَالوَقَائِعِ المَرْوِيَّةِ (43) ؛ فَهُوَ سَرْدٌ تَتَقَدَّمُ فِيهِ الأَحْدَاثُ وَالْأَشْيَاءُ وَالْعَنَاصِرُ ، عَلَى أَدْوَارِ السَّارِدِ ، وَيَتَبَدَّى هَذَا التَّنَوُّعُ السَّرْدِيُّ فِي نَصِّ : العَرَبَةِ ، لِمُحَمَّدٍ صَالِحٍ ؛ الَّذِي جَاءَ عَلَى هَذَا النِّحْوِ :

"لَمْ يَكُنْ الحُوذِيُّ وَحْدَهُ

فَحَتَّى المَرَأَةُ كَانَتْ تَتَطَوَّحُ

وَالنِّسْوَةُ خَلِيطٌ مُرَجْرَجٌ

مِنْ الثِّيَابِ وَالْأَثْدَاءِ وَالْعَصَائِبِ

وَعُغْنُخٌ فَاتِحٌ . " (44)

فَفِي هَذَا النِّصِّ تَتَبَدَّى عَنَاصِرُ المَشْهَدِ الشَّعْرِيِّ فِي أَداءِ بَصْرِيٍّ ، مَوْضُوعِيٍّ ؛ لَا يَتَبَدَّى فِيهِ مَوْقِفُ السَّارِدِ ، أَوْ تَعْلِيلَاتُهُ ، أَوْ ذَاتُهُ ، وَتَمَّ يَتَقَدَّمُ المَسْرُودُ عَلَى السَّارِدِ ؛ لِتَجْسِيدِ حَالَةٍ عَامَةٍ مِنَ الشَّبَقِ ، وَطَقْسًا رَغْبَوِيًّا مُتَقَدِّمًا وَنَابِضًا .

السَّرْدُ الدَّائِرِيُّ

هُوَ سَرْدٌ يَدُورُ فِيهِ السَّرْدُ حَوْلَ ذَاتِهِ ، فِي تَدْفُقِ سَرْدِيٍّ ، عَبْرَ سِلْسِلَةٍ مِنَ التَّكَرَّارَاتِ وَالتَّوَازِيَاتِ ؛ لِتَبْيِيزِ حَالَةٍ شِعْرِيَّةٍ مَا ، أَوْ مَوْقِفِ شِعْرِيٍّ مُحَدَّدٍ بِالدَّوَرَانِ حَوْلَهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ نَقَرُ لِبَسَامِ حَجَّارٍ :

"جَالِسٌ فِي الجَانِبِ الْآخِرِ ، يَرْتَدِي مِعْطَفًا وَقُبْعَةً وَيَحْمِلُ حَقِيْبَةً صَغِيرَةً .

كَأَن يُحَدِّقُ سَاهِمًا فِي نُقْطَةٍ مَا فِي فَضَاءِ الرُّدْهَةِ الشَّاحِبِ ، فَأَذْرَكَ أَنَّهُ نَائِمٌ ، يُحَدِّقُ وَلَا يُبْصِرُ ، يُحَدِّقُ وَلَا يَرَى .

لَمْ أَنْظُرْ إِلَيْهِ طَوِيلًا ، أَحْسَسْتُ بِالْحَرَجِ كَأَن عَشْرَاتِ الْعِیُونِ رَمَقْتَنِي فَجَاءَتْ بِنَظَرَاتٍ أَرْدَرَاءَ ، وَأَذْرَكَ أَنَّ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ نَائِمٍ عَمَلٌ فَاضِحٌ وَإِبَاحِيٌّ ، كَأَنَّكَ تَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ سِتَارٍ ، أَوْ مِنْ خِلَالِ ثِقْبِ الْبَابِ ، إِلَى جَسَدٍ عَارٍ لَمْ يَتَعَرَّ لِأَجْلِكَ ، تَنْظُرُ إِلَى الْوَجْهِ ، أَيْ وَجْهِ ، وَتَرَى قِنَاعًا ، الْوَجْهُ إِيَّاهُ هُوَ الْقِنَاعُ الَّذِي يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِنَظَارِكَ لِتَرَاهُ كَمَا يُرِيدُ أَنْ تَرَاهُ ، فَرِحًا ، لَا مُبَالِيًا مِنْهُمْ كَمَا ، فَاتِنًا ، أَوْ مُجَرَّدَ وَجْهِ ، هُوَ قِنَاعٌ لِمُجَرَّدِ وَجْهِ ، لَكِنْ وَجْهُ النَّائِمِ بِلَا قِنَاعٍ ، رُبَّمَا ارْتَسَمَتْ عَلَيْهِ سِيمَاءُ دَعَةٍ ، أَوْ تَغَضُّنَتْ مَوَاضِعُ مِنْهُ عِنْدَ الْجَبِينِ أَوْ بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ ، أَوْ رُبَّمَا انْفَرَجَتْ الشَّقَّتَانِ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا ، لَكِنْ الْمُؤَكَّدُ أَنَّهَا لَيْسَتْ ابْتِسَامَةً . لَيْسَتْ ضِحْكَةً . وَجْهُ النَّائِمِ بِلَا قِنَاعٍ ، وَجْهُ النَّائِمِ بِلَا وَجْهِ ، إِذْ كَيْفَ يَكُونُ وَجْهُهُ إِذَا كَانَتْ الْعَيْنَانِ مُطْبَقَتَيْنِ ، إِذَا كَانَ الْجَبِينُ مُحَايِدًا ، وَالْأَنْفُ سَاكِنًا ، وَإِقْنَاعُ النَّفْسِ عَلَى وَتَأَثَّرَ مِنَ الْإِنْتِظَامِ الْمَلِّ ، وَتَحَسَّبُ أَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ مُجَرَّدُ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، عَمَلٌ فَاضِحٌ ، لَنْ تَغْفِرَهُ لِنَفْسِكَ ، كَأَن تَدْخُلُ فَجَاءَةً عَلَى جَمْهَرَةٍ دُونَ اسْتِئْذَانٍ ، كَأَن يُعْهِدَ إِلَيْكَ بِرِسَالَةٍ لِصَدِيقٍ فَتَقْرَأُهَا ، كَأَن تَضْحَكُ فِي مَائِمٍ ، كَأَن تُحَدِّقَ فِي وَجْهِ النَّائِمِ .

رَأَيْتُهُ جَالِسًا فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ .

وَكُنْتُ أُحَدِّقُ سَاهِمًا فِي نُقْطَةٍ مَا فِي فَضَاءِ الرُّدْهَةِ الْمَاصِلِ فَأَذْرَكَ أَنِّي نَائِمٌ .

أُحَدِّقُ وَلَا أَبْصِرُ ، أُحَدِّقُ وَلَا أَرَى .

وَكُنْتُ أُرْتَدِي مُعْطَفًا وَقُبْعَةً وَأَحْمِلُ حَقِيْبَةً صَغِيرَةً .⁽⁴⁵⁾

يَتَمَحَوِّرُ فِعْلُ السَّرْدِ ، هُنَا ، حَوْلَ الْوَجْهِ السَّاهِمِ الَّذِي يُطَالَعُهُ السَّارِدُ ، وَيَتَخَلَّلُ السَّرْدُ بَعْضُ التَّدَاعِيَّاتِ السَّرْدِيَّةِ الْمَعِيشَةِ ، وَفِي النِّهَايَةِ يَتَّحِدُ السَّارِدُ بِالْآخِرِ الَّذِي يُطَالَعُهُ ، وَأَثْنَاءَ حَرَكَةِ الْفِعْلِ السَّرْدِيِّ تَوَالَتْ مَجْمُوعَةُ التَّكَرَّارَاتِ وَالتَّوَازِيَّاتِ التَّرَاكُيبِيَّةِ وَالِدَّلَالِيَّةِ فِي سَرْدِ اسْتِطْطَانِيٍّ عَمِيقِ النَّبَرَةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا ، قَوْلُ عَبْدِ وَازِنِ (1956 -) :

"أَعْرِفْ أَنِّي وَحْدِي الْآنَ لَا الْمَحْ إِلَّا وَجُوهًا غَامِضَةً، تَلْتَمِعُ وَتَخْبُوسُ سَرِيعًا فِي رَمَادِ
الْعَيْنِ، لَا أَذْكَرُ إِلَّا أَصْوَاتًا تَرْتَجِفُ فِي صَمْتٍ كُلِّيٍّ، غَائِبٌ فِي زَمَنِ غَائِبٍ، ذِكْرِيَّاتٌ
قَلِيلَةٌ تَنْبِقُ فِي عَمَمَةِ الذَّاكِرَةِ، وَأَحَاسِيسُ غَرِيبَةٌ تَخْطِفُنِي، غَائِبٌ فِي زَمَنِ رَيْثِيبٍ
وَحَاوٍ، حُطَامُ جَسَدِي وَرُوحِي مَهِيضَةٌ، رُبَّمَا فَقَدْتُ حَوَاسِي، رُبَّمَا مَاتَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ، أَجْلِسُ إِلَى أَوْرَاقِي وَلَا أَرْغَبُ فِي رَفْعِ نَظَرِي، يُخَالِجُنِي الْبَيَاضُ كَالْمَوْتِ،
فَاتَذَكَّرُ دُفْعَةً وَاحِدَةً مَا لَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَذْكَارِهِ، وَجُوهٌ تَتَنَازَرُ، ظِلَالٌ وَأَصْوَاتٌ وَوُجُوهٌ،
وَوُجُوهٌ وَأَطْيَافٌ تَخْلُطُ عَلَيَّ وَتَتَبَعُرُ، غَابَ جَسَدِي عَنِّي وَعَدَوْتُ بِلَا جَسَدٍ،
أَجْلِسُ كَالظِّلِّ، أَرْقُدُ كَالطَّيْفِ، لَا أَتَخَيَّلُ وَهْدَةً أَنْزَلُ فِيهَا وَلَا هَاوِيَةً أَسْقُطُ فِي عَمَمِهَا
، الْبَيَاضُ أَمَامِي، الْبَيَاضُ يُغْزِوُ الْجِهَاتِ كُلَّهَا، يَرِفُ جَسَدِي عَلَى مَسَاحِيهِ، يَتَوَارَى
فِي ثَنَائِيهِ الْخَبِيئَةِ، وَلَمْ أَكُنْ قَادِرًا عَلَى تَحْرِيكِ يَدَيَّ، ضَوْءُ الصَّفَحَاتِ يَجْعَلُ يَدَيَّ
عَاجِزَتَيْنِ، وَرُبَّمَا هُوَ الْخَوْفُ، رُبَّمَا الرُّهْبَةُ الَّتِي تُغَرِّبُنِي، لَمْ أَبْقَ قَادِرًا عَلَى تَحْرِيكِ
يَدَيَّ كَأَنِّي فَقَدْتُهُمَا فِي فَقْدَانِ هَاوِيَّتِي، فِي فَقْدَانِ الرَّغْبَةِ الَّتِي تَدْفَعُنِي إِلَى الْهََاوِيَةِ شَدِيدِ
الْغِبْطَةِ مَلِيًّا وَخَاوِيًا كَالْقَمَرِ، كَانَ الْوَقْتُ يَمْضِي بَطِيئًا وَغَامِضًا، وَلَمْ أَكُنْ أَعِي مُضِيَّهِ
، لَيْلٌ فَلَيْلٌ وَصَبَاحٌ وَلَيْلٌ وَلَمْ أَكُنْ أَسْمَعُ وَلَا أَبْصُرُ إِلَّا لِمَاحًا، رَعَبَاتٌ عَمِيقَةٌ تُسْعِرُنِي
أَعْمَاقِ رُوحِي كَالْأَوَارِ، يَمْتَلِكُنِي جَفَافٌ كَجَفَافِ الصَّحَرَاءِ، الْوَرَقَةُ الْبَيْضَاءُ أَمَامِي
، أَمَحِي بِهَدْوٍ عَلَى صَفْحَتِهَا الْمَلْسَاءِ الْبَارِدَةِ، أَحْمِلُ الْبَيَاضَ فِي كَمَا لَوْ أَنَّهُ بَيَاضٌ،
كَمَا لَوْ أَنِّي بَيَاضُ الْأَوْرَاقِ نَفْسَهَا". (46)

يَتَدَفَّقُ الْفِعْلُ السَّرْدِيُّ، هُنَا؛ لِيُجَسِّدَ حَالَةَ الْوَحْدَةِ الْمَطْبَقَةَ عَلَى السَّارِدِ، وَانْسِحَابِهِ
التَّدرِيجِيَّ مِنَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ الْمَحِيطِ بِهِ، وَمِنْ الْوَعْيِ بِهِ، وَالرُّكُونِ إِلَى أَصْدَاءِ الْوَحْشَةِ
الْمُبْهَمَةِ؛ لِيُنْحَلَ. فِي النِّهَايَةِ. فِي عَالَمِ الْفَنَاءِ، فِي أَدَاءِ سَرْدِيٍّ تَتَوَالَى حَرَكَتُهُ الدَّائِرِيَّةُ
الاسْتِبْطَائِيَّةُ، مُحَمَّلَةٌ بِتَوَازِيَّاتٍ وَتَكَرَّرَاتٍ تُشَدِّدُ عَلَى تَبْيِيرِ هَذِهِ الْحَالَةِ.

وَتَجْدُرُ الْإِشَارَةُ. فِي النِّهَايَةِ. إِلَى أَنَّ هَذِهِ الظَّوَاهِرَ السَّرْدِيَّةَ يُمَكِّنُ تَلْمُسُهَا فِي نَمَاذِجَ مِنَ
السَّرْدِ الْقَصَصِيِّ الْجَدِيدِ، كَمَا اسْتَجْلَيْنَاهَا فِي السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ، وَالْفَرْقُ الْجَوْهَرِيُّ بَيْنَ
السَّرْدَيْنِ يَرْجِعُ إِلَى هَيْمَنَةِ الْخَاصِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ، أَوْ الْخَاصِيَّةِ الْقَصَصِيَّةِ فِي
السَّرْدِ الْقَصَصِيِّ، عَلَى آيَاتِ الْخِطَابِ؛ إِذْ أَنَّ الْخَاصِيَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ الْقَارَةَ لِلْسَّرْدِ الشَّعْرِيِّ،

تَمَثَّلُ في أَنَّ الفاعليَّة السَّرديَّة فيه تَظَلُّ مُوظَّفَةً لصالِح الوظيفة السَّعريَّة ؛ التي تُهَيِّمُ على
بنياتِ الخطابِ وإنتاجِ جماليَّاته ، الشأن الذي يغدو معه السَّردُ عَجَلَةً تدوِّرُ عَلَيَّهْضا الفاعليَّةُ
السَّعريَّة . (47)

الإحالات والتعليقات

المُصْطَلَحُ :

- (1) راجع - على سبيل المثال - مُناقشتنا لمواقف الشعراء والنقاد من هذا المصطلح ، في مجلة : (نزوى) - العدد 15 - يوليو 1998 - ص ص : 107 - 108 ، وراجع أيضاً: محمد إبراهيم أبو سنة : قصيدة النثر تنتشر بالرهاب - جريدة: (القاهرة) - العدد 166 - الثلاثاء 17 من يونيه 2003 - ص : 17 .
- (2) راجع - على سبيل المثال - خالدة سعيد - البحث عن الجذور - دار مجلة شعر - بيروت، أول نيسان 1960 - ص: 71 ، ود. محمد العبد : اللغة والإبداع الأدبي - دار الفكر - القاهرة / باريس 1989 - ص 177 ، د. إبراهيم حمادة : قصيدة النثر - مجلة: (القاهرة) - العدد 73 - 15 يوليو 1987 - افتتاحية العدد .
- (3) إدوار الخراط - الكتابة عبر النوعية - دار شرقيات - القاهرة - 1994 - ص : 18 .
- (4) راجع - على سبيل المثال - د. علي عشري زايد - إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل - مجلة : (إبداع) - العدد الثالث - مارس 1996 - ص: 25 .
- (5) راجع - على سبيل المثال - عبد القادر القط - رؤيته الشعر العربي المعاصر في مصر - مجلة: (إبداع) - سابق - ص : 17 .
- (6) راجع مجلة: (القاهرة) - العدد 73 - 15 يوليو 1987 - افتتاحية العدد .
- (7) د. عبد الحميد إبراهيم - قصيدة النثر - مجلة: (الوسطية) - العدد الرابع - نوفمبر 1999 - ص : 5 .
- (8) د. محمد العبد - اللغة والإبداع الأدبي - سابق - ص: 177 .
- (9) راجع رأيه في جريدة: (القاهرة) - العدد 166 - الثلاثاء 17 يونيه 2003 - ص : 17 .
- (10) أحمد عبد المعطي حجازي - قد أفسد القول حتى أحمد الصمم - جريدة: (الأهرام) - الأربعاء 2 مايو 2001 - السنة 125 - العدد 41785 - صفحة : الكتاب .
- (11) نُشِرَتْ دِرَاسَةٌ نازك الملائكة عن قصيدة النثر ، في مجلة: (الآداب)، البيروتية ، العدد الرابع - 1962 ، وأيضاً في كتابها : فضايا الشعر المعاصر - دار الآداب - بيروت -

الطبعة الأولى - 1962 ، وتُراجَعُ الطَّبعةُ الثَّامِنَةُ - دارُ العِلْمِ للملايين - بيروت - أكتوبر 1992- ص ص : 213 : 227.

(12) عبد القادر القِطّ - رُؤْيَةُ الشَّعْرِ العربيِّ المعاصِرِ في مِصرَ - مجلّة: (إبداع) - سابق - ص : 17 .

(13) د. أحمد سليمان الأحمد - الشَّعْرُ الحديثُ بَيْنَ التَّقْلِيدِ والتَّجْدِيدِ - الدَّارُ العربيَّةُ لِلكِتَاب - طرابلس - ليبيا - ص : 161 .

(14) رَاجِعُ مجلّة: (نِزْوَى) - العدد 12 - أكتوبر 1997 - ص : 32 .

(15) أحمد عبد المعطي حجازي - سابق .

(16) في حِوَارِهِ مَعَ جِهَادِ فاضل . رَاجِعُ : قِصَايا الشَّعْرِ الحديثِ ، لجِهَادِ فاضل ، دارُ الشُّرُوق - الطَّبعةُ الأولى - 1984 - ص : 281 .

(17) أحمد عبد المعطي حجازي - سابق .

(18) محمّد عفيفي مطر - لا يُوجَدُ مَا يُسمَّى بقصيدةِ النَّثرِ - في حِوَارِهِ مَعَ أشرف عبد القادر - جريدة : الأهرام المسائي ، الصّادرة بتاريخ : 1999/2/7 .

(19) أحمد عبد المعطي حجازي - قَدْ أَفسِدَ القولُ حَتَّى أَحْمَدَ الصَّمَمُ - سابق .

(20) في حِوَارِهِ مَعَ جِهَادِ فاضل ، في كِتَابِهِ : قِصَايا الشَّعْرِ الحديث - سابق - ص : 268 .

(21) أدونيس - في قصيدةِ النَّثر - مجلّة (شعر) - المجلّد الرَّابِع - العدد 14 - 1960 - ص ص : 75 : 80 .

(22) نَقَلَ هذا - عن كلامٍ لَهُ ، نُشِرَ سَنَةَ 1960 - س. موريه (رَاجِعُ لموريه : الشَّعْرُ العربي

الحديث : 1800 - 1970 - ترجمة وتعليق: د. شفيع السّيد ، وسعد مصلوح - دار

الفكر العربي - 1986 - ص 446) ، غَيَّرَ أَنَّ أدونيس ، فيما بعد ، ذَكَرَ التَّارِيخَ نَفْسَهُ :

1958 وَلَكِنْ مَعَ قصيدةٍ أُخْرَى ؛ فَمَا نَقَلَهُ موريه يُشِيرُ إِلَى قصيدةٍ : وَحْدَهُ اليأسُ ، وَلَكِنْ

أدونيس في مُقَدِّمة الطَّبعةِ الخامسةِ مِنَ الأعمالِ الشَّعْرِيَّةِ الكاملةِ يَذْكُرُ أَنَّ قصيدةً : "أرؤادُ يا

أميرة الوهم ، بدايةً تجربتي الكتابيّةِ شعراً ، بالنَّثرِ ، بدأْتُهَا سَنَةَ 1958 ، وَنَشَرْتُ جُزْءَهَا

الأوَّلَ في مجلّة "شعر". (عدد 10 ، السَّنةُ الثَّالِثَةُ 1959) ، كَتَبْتُ هذه القصيدةَ في مناخِ

الجدَلِ الَّذِي أثْرَنَاهُ في مجلّة "شعر" حَوْلَ أَشْكَالِ التَّعْبِيرِ الشَّعْرِيِّ ، وَمَشْرُوعِيَّةِ البَحْثِ عَنْ

أَشْكَالٍ جَدِيدَةٍ ، وَكَتَبْتُهَا تَجْرِيًّا " : أدونيس - الأعمالِ الشَّعْرِيَّةِ الكاملةِ - المجلّد الأوَّل -

دار العودة - بيروت - الطَّبعةُ الخامسة 1988/1/1 - ص ص : 5-6 .

(23) السَّابِق - ص : 6 .

- (24) سوزان برنار - قصيدة النثر من بودلير إلى أيّامنا - ترجمة : زهير مجيد مغماس - مراجعة : د. علي جواد الطاهر - الهيئة العامة لقصور الثقافة - 1997 - ص: 129 .
- (25) عن : د. غالي شكري - شعرنا الحديث إلى أين - الطبعة الثالثة - دار الشروق - 1991 - ص: 50 .
- (26) شريف رزق - المفاهيم النظرية للأنواع الشعرية في شعر ما خارج الوزن - مجلة : (نزوى) - العدد: 15 - يوليو 1998 - ص: 106 .
- (27) راجع : أمين الريحاني - الريحانيات - الجزء الثاني - المطبعة العلمية ، ليوسف صادر - بيروت - 1923 - ص: 182 .
- (28) يوسف الخال - قضايا الشعر المعاصر ، لنازك الملائكة - مجلة: (شعر) - العدد: 24 - خريف 1962 - ص: 147 .
- (29) المقولة لدوجاردان ، عن : د. سلمى الخضراء الجيوسي - الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث - ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة - مركز دراسات الوحدة العربية - الطبعة الأولى - مايو 2001 - ص: 692 .

الإيقاع :

- (1) سعيد توفيق - جماليات الصوت والتعبير الموسيقي - مجلة: (نزوى) - العدد: 15 - يوليو 1998 - ص: 127 .
- (2) د. عز الدين إسماعيل - الأسس الجمالية في النقد العربي - القاهرة - 1955 - ص: 384 .
- (3) د. نعيمان القاضي - شعر التفعيلة والتراث - القاهرة - 1977 - ص: 35 .
- (4) عن : س . موريه - (الشعر العربي الحديث 1800 - 1970 ، تطوّر أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي) - ترجمة : د. شفيع السيد ، د. سعد مصلوح - دار الفكر العربي - القاهرة - 1986 - ص: 430 .
- (5) خالدة سعيد - البحث عن الجذور - سابق - ص: 10 .

- (6) أنسي الحاج - لن - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الثانية - 1982 - ص : 18 .
- (7) سوزان برنار - قصيدة النثر ، من بؤليلر إلى أيامنا - سابق - ص : 10 .
- (8) أدونيس - في قصيدة النثر - مجلة: (شعر) - العدد: 14 - ربيع 1960 - ص : 77 .
- (9) كمال أبو ديب - قصيدة النثر وجماليات الخروج والانقطاع - مجلة: (نزوى) - العدد: 17 - يناير 1999 - ص : 20 .
- (10) د. محمد النويهي - قضية الشعر الجديد - طبعة معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية - 1964 - ص : 244 .
- (11) عن : يوري لوتمان - تحليل النص الشعري - ترجمة د. محمد فتوح أحمد - دار المعارف - 1995 - ص : 11 .
- (12) عن : د. عاطف جودة نصر - الخيال : مفهوماته ووظائفه - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1984 - ص : 191 .
- (13) د. كمال أبو ديب - قصيدة النثر وجماليات الخروج والانقطاع - سابق - ص : 22 .
- (14) د. محمد عبد المطلب - قصيدة النثر بين القبول والرفض - مجلة: (فؤس فزح) - القاهرة - العدد الأول - مايو 2003 - ص : 76 .
- (15) سركون بولص - إذا كنت نائماً في مركب نوح - منشورات الجمل - كولونيا - 1998 - ص : 81 .
- (16) عباس بيضون - نقد الألم - دار المطبوعات الشرقية - بيروت - 1987 - ص : 19 .
- (17) بسام حجار - فقط لو يدك - دار الفارابي - بيروت 1990 - ص : 25 .
- (18) محمد الماغوط - حزن في ضوء القمر - الهيئة العامة لقصور الثقافة - الطبعة الثانية - 1998 - ص : 115 .
- (19) محمد إبراهيم أبو سنّة - الشعر والحكمة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2000 - ص : 74 .
- (20) محمد آدم - الأعمال الشعرية : أناشيد الإثم والبراءة - دار الحكمة - 2002 / 2003 - ص : 128 - 129 .

قصيدة أخرى .. قصيدة من خارج الرحم :

- (1) محمد قوبعة - جماعة مجلة شعر وقصيدة النشر الفرنسية - مجلة: (علامات) - ج 12 - م 3 - محرّم 1415 هـ يونيو 1994 م - ص ص: 88-89 .
- (2) في تعليقه على مجموعة توفيق صايغ : (ثلاثون قصيدة) : 1954 ، راجع الأعمال الكاملة ، المجموعات الشعرية لتوفيق صايغ - رياض الرئيس للكتب والنشر - نيسان (أبريل) 1990 - ص: 11 .
- (3) في تقديمه للمجموعة الأولى : (ثلاثون قصيدة) - السابق - ص: 15 .
- (4) د. غالي شكري - شعرنا الحديث إلى أين ؟ - طبعة دار الشروق الأولى - 1991 - ص: 86 .
- (5) جهاد فاضل - قضايا الشعر الحديث - سابق - ص: 202 .
- (6) توفيق صايغ - الأعمال الكاملة : المجموعات الشعرية - ص ص: 113-114 .
- (7) السابق - ص ص: 115-116 .
- (8) شعرنا الحديث إلى أين ؟ - ص: 84 .
- (9) راجع - على سبيل المثال - صفحات : 125 ، 128 ، 129 ، 131 ، 155 ، 197 .
- (10) راجع - على سبيل المثال - صفحات : 31 ، 33 ، 117 ، 118 ، 155 .
- (11) مجلة: (أدبي) - الإسكندرية - مج 1 - ع 7 / 9 - 1936 - ص: 366 .
- (12) جبرا إبراهيم جبرا - المجموعات الشعرية الكاملة - رياض الرئيس للكتب والنشر - 1990 - ص: 15 ، وقد صدر ديوان : (تموز في المدينة) ، في بغداد ، آزار 1959 .
- (13) السابق - ص: 25 .
- (14) عن : محمد جمال باروت - الحداثة الأولى - اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات - الطبعة الأولى - 1991 - ص: 208 .
- (15) راجع : أمين الريحاني - الريحانيات - الجزء الثاني - المطبعة العلمية ليوسف صادر - بيروت - 1923 - ص: 182 .

- (16) عن : د. سَلَمَى الخَضْرَاءَ الجِيوسِي - الاتِّجَاهَاتُ والحَرَكَاتُ فِي الشَّعْرِ العَرَبِيِّ الحديث - ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة - مركز دراسات الوحدة العربيّة - الطَّبعة الأولى - مايو 2001 - ص : 692 .
- (17) جبرا إبراهيم جبرا - المجموعاتُ الشَّعْرِيَّةُ الكاملة - ص : 127 .
- (18) إبراهيم شُكْرُ الله - مَوَاقِفُ العِشْقِ وَالْهَوَانِ وَطَيُورُ الْبَحْرِ - دار العالم العربي للطباعة - 1982 - مُقَدِّمَةُ الدِّيوان - ص : 8 .
- (19) السَّابِق - ص : 9 .
- (20) السَّابِق - ص : 10 .
- (21) فانسان جوف - رولان بارت والأدب - ترجمة : محمد سويرتي - إفريقيا الشرق - المغرب - الطَّبعة الأولى - 1994 - ص : 103 .
- (22) أدونيس - الأعمال الشَّعْرِيَّةُ الكاملة - المجلد الأوّل - الطَّبعة الخامسة - 1988/1/1 - دار العودة - بيروت - المقدمة - ص : 6 .
- (23) السَّابِق - ص : 238 .
- (24) السَّابِق - ص : 240 .
- (25) السَّابِق - ص : 230 - 231 .
- (26) كمال أبو ديب - قصيدة النثر وجماليّات الخروج والانقطاع - سابق - ص : 25 .
- (27) أنسي الحاج - لن - الطَّبعة الثَّانية - المؤسَّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع - 1982 - ص : 72 .
- (28) كمال أبو ديب - سابق - ص : 25 .
- (29) نَفْسُهُ .
- (30) لن - ص : 68 - 69 .
- (31) السَّابِق - المقدمة - ص : 18 .
- (32) صَدَرَ عَنْ دَارِ مَجَلَّةِ شِعْرِ - 1962 - وَفَازَ بجائزتها في العامِ نَفْسِهِ .
- (33) رَاجِعْ - مَجَلَّةُ شِعْرِ - مج 3 - العدد : 11 - 1959 - ص : 79 - 82 .
- (34) خَالِدَةُ سعيد - البحثُ عن الجذور - سابق - ص : 12 .
- (35) محمَّد جمال باروت - الحداثَةُ الأولى - سابق - ص : 226 .
- (36) شوقي أبو شقرا - ماءٌ إلى حصانِ العائلة - دار مجلَّة شِعْرِ - بيروت - 1962 - ص : 29 .

(37) رومان ياكوبسون - قضايا الشعرية - ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون - دار توبقال للنشر - الطبعة الأولى - 1988 - ص : 47 .

(38) د. صلاح فضل - نظرية البنائية في النقد الأدبي - دار الشروق - الطبعة الأولى - 1998 - ص : 262 ، و: قضايا الشعرية - سابق - ص : 48 .

(39) يوري لوتمان - تحليل النص الشعري : بنية القصيدة - سابق - ص : 63 .

(40) محمد الماغوط - حزن في ضوء القمر - سابق - ص : 29 - 30 .

(41) السابق - ص : 59 .

(42) راجع : د. غالي شكري - شعرنا الحديث إلى أين ؟ - سابق - ص : 94 .

(43) محمد الماغوط - حزن في ضوء القمر - دار مجلة شعر - بيروت - 1959 -

ص : 53 ، وفي الطبقات التالية ، أجرى الماغوط بعض التغييرات على هذا المقطع ، وهو ما أدى إلى تغيير بناء المشهد ؛ حيث أصبح هكذا :

يا قلبي الجريح الخائف

أنا مرّما الشّاء البارد

ووردة العار الكبيرة

تحت ورق السّديان الحزين

وقفت أذخني في الظلام

وفي أظفري تبكي نواقيس الغبار

(طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة - ص ص : 106 - 107)

ويشّي هذا التعديل في الصور ، وحذف بعضها ، باستشعاره أهمية التّكثيف ، في بناء النصّ - وهذه ظاهرة تتكرّر كثيراً عند أدونيس أيضاً - وقد لاحظت خالدة سعيد ، على شعر الماغوط في هذه المجموعة : (حزن في ضوء القمر) ، أن " الصورة قوام التعبير الشعري عند الماغوط .. وقصيدته عقد من الصور ، ولو أنّها غير مرتّبة وفق اتجاه أو تسلسل معيّن .. وهي لا تعتمد الخطّ المستقيم أو أسلوب السرد المرتّب القديم .. ولا هي تعتمد الأسلوب الدائري الحديث ؛ فهي مبغثرة . " : البحث عن الجذور - ص ص : 74 - 78 .

قصيدة النثر من منظور التّحليل السّرديّ :

- (1) فاضل الأسود - السرد السينمائي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الأولى - 1996 - ص : 140 .
- (2) السابق - ص : 151 .
- (3)، (4)، (5) روبرت همفري - تيار الوعي في الرواية الحديثة - ترجمة د. محمود الربيعي دار الهاني للطباعة - 1973 - ص : 74 .
- (6) السابق - ص : 74 - 75 .
- (7) يوري لوتمان - سيموطيقا السينما - ترجمة : نصر أبو زيد - ضمن : مدخل السيموطيقا - إشراف : سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد - دار إلياس العصرية - 1986 - ص : 277 .
- (8) السابق - ص : 280 .
- (9) راجع - على سبيل المثال - د. عبد القادر القبط - رؤية الشعر العربي المعاصر في مصر - مجلّة: (إبداع) - العدد الثالث - مارس 1996 - ص : 17 ، د. محمد عبد المطلب - النصّ المشكل - الهيئة العامة لقصور الثقافة - 1999 - ص : 190 .
- (10) عز الدين إسماعيل - الأدب وفنونه - دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة السادسة - 1976 - ص : 187 .
- (11) عبد الملك مرتاض - ألف ليلة وليلة ، تحليل سيميائي ، تفكيكي لحكاية حمال بغداد - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1993 - ص : 84 .
- (12) عن : فاضل الأسود - السرد السينمائي - سابق - ص : 82 .
- (13) عن : أيمن بكر - السرد في مقامات بدیع الزمان الهمداني - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1998 - ص : 40 .
- (14) عبد العالي بوطيّب - قراءة في البنية الزمنية لرواية عام الفيل - مجلّة: (البيان) - العدد 316 - نوفمبر 1996 - ص : 25 .
- (15) عبد العالي بوطيّب - إشكالية الزمن في النصّ السردّي - مجلّة: (فصول) - المجلد 12 - العدد الثاني - صيف 1993 - ص : 133 .
- (16) يُراجع في هذا البحث المتميز لفاضل الأسود - السرد السينمائي - سابق .

(17) عن : د. سعيد بو عطية - بنية الخطاب في رواية التيه - مجلة: (البيان) - سابق - ص : 7 .

(18) السابق - ص : 14 .

(19) تزيطان تودوروف - مقولات السرد الأدبي - ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا - ضمن كتاب : طرائق تحليل السرد الأدبي ، لمجموعة من المؤلفين الغربيين ، و ترجمة مجموعة من الباحثين العرب - منشورات اتحاد كتاب المغرب - الطبعة الأولى - 1992 - ص : 55. (20) جنوح كبير لـ (السرد) في (الشعر) الراهن ، يتخطى حدود (القصيدة) ، ويوضح أن (السرد) حرر (الشعر) في أعمال عديدة منها : " حكاية الرجل الذي أحب الكناري " (1996) لبسام حجار ، و " لحظات ميثية " في كتاب " بسبب غيمة على الأرجح " (1992) لوديع سعادة ، وله أيضا : " محاولة وصل صفتين بصوت " (1997) ، وفي : " خلأ هذا القدر " (1989) لعباس بوضون ، وفي : " إذا كنت نائما في مركب نوح " (1998) لسركون بولص . و قليلة - لم تزل - هي الأعمال التي حاولت الاستفادة من أشكال مختلفة للسرد في بناء نص جامع مركب ، ومنها : " النشيدة " (2003) لعلاء عبد الهادي .

(21) أسامة الديناصري - عين سارحة ، وعين مندهشة - ميريت للنشر والمعلومات - القاهرة - الطبعة الأولى - 2003 - ص ص : 65-66 .

(22) أمجد ريان - نستولوجيا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2002 - ص : 87 .

(23) سركون بولص - الحياة قرب الأكربول - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - الطبعة الأولى - 1988 - ص : 29 .

(24) سليم بركات - الديوان - دار التنوير - بيروت - الطبعة الأولى - 1992 - ص : 299 .

(25) د. سعيد بو عطية - بنية الخطاب في رواية التيه - سابق ص : 14 .

(26) السابق - ص : 7 .

(27) وديع سعادة - بسبب غيمة على الأرجح - دار الجديد - بيروت - الطبعة الأولى - 1992 - ص ص : 51-52 .

(28) محمد صالح - حياة عادية - أصوات أدبية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - أكتوبر 2000 - ص ص : 13-15 .

(29) عبد العالي بو طيب - قراءة في البنية الزمنية لرواية عام الفيل - سابق - ص : 40 .

- (30) عباس بيضون - نقد الألم - دار المطبوعات الشرقية - بيروت - الطبعة الأولى - 1987 - ص : 9 .
- (31) السابق - ص : 10 .
- (32) السابق - ص : 18 .
- (33) السابق - ص : 23 .
- (34) حلمي سالم - يوجد هنا عَمِيَان - دار كاف نون - 2001 - ص : 67 .
- (35) السابق - ص : 69 .
- (36) د. عبد الملك مُرتاض - في نظرية الرواية : بحث في تقنيات السرد - عالم المعرفة - الكويت - ديسمبر 1998 - ص : 244 .
- (37) فريد أبو سعدة . مُعلّقة بِشِص . أصوات أدبية ، العدد : 236 . الهيئة العامة لقصور الثقافة . أول مايو 1998 . ص : 79 .
- (38) محمّد متولي . البرابرة . مجلّة : (الهلال) . مارس 2009 . ص : 201 .
- (39) جيرالد برنس . المصطلح السردى . ترجمة : عابد خزندار . مُراجعة وتقديم : محمّد بربري . المجلس الأعلى للثقافة . 2003 . ص : 161 .
- (40) بِسَام حَجَّار . بضعة أشياء . منشورات الجمل . الطبعة الأولى . كولونيا ، ألمانيا . 1997 . ص : 59 ، 62 ، 60 .
- (41) من قصيدة : فصلٌ لونيّ ، في كتاب : (ديوان الشعر) : الملتقى الأول لقصيدة النشر . القاهرة : 15 . 17 مارس 2009 . ص : 131 .
- (42) كريم عبد السلام . فتاةٌ وصبيٌّ في المدافن . دار الجديد . بيروت . الطبعة الأولى . 1999 . ص : 29 .
- (43) المصطلح السردى . سابق . ص : 163 .
- (44) محمّد صالح . صيدُ الفَرَاشات . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1996 . ص : 2 .
- (45) بِسَام حَجَّار . حكاية الرجل الذي أحبّ الكناري . دار الجديد . بيروت . الطبعة الأولى . 1996 . ص : 13 ، 14 .
- (46) عبده وازن . حديقة الحواس . دار الجديد . بيروت . الطبعة الأولى . 1993 . ص : 25 ، 26 .
- (47) د. عبد الرحمن عبد السلام محمود . السرد الشعريّ وشعرية ما بعد الحداثة : دراسة في "مُهمَل" علاء عبد الهادي . مركز الحضارة العربية . الطبعة الأولى - 2009 - ص : 55 ،

محمود أحمد العشيري : البناء السردى في القصيدة الجاهلية . رسالة دكتوراه ، كلية دار
العلوم ، جامعة الفيوم ، عام 2004 . ص : 16.

الفصلُ الثاني

شِعْرِيَّةُ قَصِيدَةِ النَّثْرِ

تَجَلِّيَاتُ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ فِي فِضَاءِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ

لقد استطاعت قصيدة النثر أن تؤسس منطقها الجمالي على مستويات مختلفة، أبرزها : الإيقاع ، بلاغتها الخاصة ، الرؤيا ، التركيز على الواقع المعيش والأنا الفردية ، في أشواقها الحقيقية الخاصة ، وأثبتت أن كل شيء في الحياة صالح أن يكون مادة شعرية حيّة وخصبة ، وبهذا تمكنت أن تشق طريقها الخاصة ، وأن تشكل فضاءً جديداً ؛ تتبدى فيه خصوصيتها الفارقة عبر خصوصية أبعادها الشعرية المختلفة ، فباغتمادها على إيقاع التجربة ، بتحوّلها الجياشة الحرة ، قامت بفصل الشعر عن النظم وحررته ، وألغت تبعية إيقاع التجربة لإيقاع العروض ، كما تخلّصت من الرؤى القائمة العامة ، ومن النبرة الخارجية الجهرية ، وركزت على خصوصية التجربة ، وخصوصية النبرة الشعرية وخصوصية الأداء ، وتجاوزت مفهوم الصورة البلاغي إلى المفهوم البصري ، وأطلقت الصوت الداخلي العميق ؛ ليرتفع بحرّية مُطلقاً ، وتحققت من حالة العاطفية الصاخبة التي طالما ارتبطت بدرجة الإيقاع العروضي ، وعكفت على تفاصيل الواقع ؛ فاستبدلت بالذاكرة المعرفية الذاكرة البصرية ، وركزت على ما نعيشه ، على الأشياء ذاتها في حضورها الفيزيقي الحي ، واستثمرت السرد الشعري ، بطاقاته غير المحدودة ، وتشبّث بالإنساني الحميم ، وبالحيثي ، وبالذات الإنسانية ، حتى في أقصى حالاتها هشاشة ، في نبرة شعرية ، أكثر ذاتية وإنسانية ، وبهذا استطاعت أن تُشكل معالمَ مشهدها الخاص وشكلها الجديد وملامحها الجمالية ؛ التي يمكن أن نرصدّها على المحورين الأساسيين ، الآتين :

* الشكل

- البناء المشهدي .
- الشفاهية وتداولية الخطاب .
- خمود العاطفية وحيادية الأداء .
- التفصيلية .
- التشدير .
- تصدّع الحدود الموضوعية بين الأجناس الأدبية .
- تشطّي الحكاية ولا معقولية السرد .

* الموضوع

- جسدانية الذات الفردية .
- جماليات القبح .

وبهذه الملامح مُجْتَمِعَةٌ تَشَكَّلَتْ مَعَالِمُ شِعْرِيَّتِهَا المِغَايِرَةِ ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ المِغَايِرَ هِيَ الْمَسْئُولَةُ عَنْ إِنْتَاجِ شِعْرِيَّتِهَا ؛ فَمِنْهَا مَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الشَّعْرِ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا عَلَى أَدَبٍ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ عَامَّةً ، كَمَا لَا يُمْكِنُ إغْفَالُ الْجَوْهَرِ الشَّعْرِيِّ .

وَيُلاحَظُ أَنَّ انْتِشَارَ هَذِهِ الشَّعْرِيَّةِ لَمْ يَأْتِ تَالِيًا لِمُحَدَّدَاتِ نَظَرِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ ، وَإِنَّمَا أَتَى اسْتِجَابَةً لِانْجَازَاتِ جَمَاعِيَّةٍ ، شَرَعَتْ آليَّاتُهَا تَتَرَسَّخُ مِنْ تَدَاوُلِهَا فِي نَمَازِجِ شِعْرِيَّةٍ مُتَوَالِيَةٍ وَمُتَبَايِنَةٍ ، احْتِشَدَ بِهَا الْمَشْهُدُ الشَّعْرِيُّ ، دُونَ مَنْهَجٍ وَاضِحٍ ، فِيمَا يَبْدُو ، فِي الْبِدَايَةِ ، غَيْرَ أَنَّ الْمَشْهُدَ تَكْشَفَ عَنْ تَحْدِيدِ الْمَعَالِمِ ، وَاتَّضَحَ أَفَقٌ جَدِيدٌ ، وَهُوَ مَا جَعَلَ قَصِيدَةَ النَّثْرِ مَشْرُوعًا مُتَكَامِلًا يَنْخَطِي اعْتِبَارَهَا مَجْرَدَ قَصِيدَةٍ نَثْرٍ .

إِنَّ مَرَحَلَةَ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ فِي تَارِيخِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ الْعَرَبِيَّةِ ، تُشَكِّلُ عَلَامَةً فَارِقَةً ، بَعْدَ مَرَحَلَةِ شِعْرِيَّةِ جَمَاعَةِ مَجَلَّةٍ: (شِعْر) اللَّبْنَانِيَّةِ ، فِي سِتِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، وَقَدْ سَاهَمَ فِي تَشْكِيلِ مَعَالِمِ شِعْرِيَّةِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ فِي مَشْهُدِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ الْعَرَبِيَّةِ ، مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَجْيَالٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَمِنْ شُعْرَاءِ السِّتِينِيَّاتِ تَبَرُّزُ تَجْرِبُهُ سَعْدِي يُوسُفَ ، وَمِنْ شُعْرَاءِ السَّبْعِينِيَّاتِ تَبَرُّزُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ التَّجَارِبِ ؛ مِنْهَا تَجْرِبُهُ وَدِيعِ سَعَادَةِ وَبَسَّامِ حَجَّارٍ وَمُحَمَّدِ صَالِحٍ وَآخَرِينَ ، وَمِنْ شُعْرَاءِ الثَّانِيَّاتِ مَاجَانِيْنِيَّاتِ مَجْمُوعَةٌ أَكْبَرُ ، يُمَثِّلُونَ أَهَمَّ شُعْرَاءِ هَذَا الْجِيلِ ، كَذَلِكَ شُعْرَاءُ التَّسْعِينِيَّاتِ ، فِي مُعْظَمِ الْأَقْطَارِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَهَذَا التَّحَوُّلُ لَمْ يَكُنْ وَلِيدَ جِيلٍ ، مُحَدَّدٍ ؛ بَلْ نِتَاجُ مَرَحَلَةٍ حَضَارِيَّةٍ كَامِلَةٍ ، شَارَكَ فِيهَا الطَّلِيعَةُ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَجْيَالِ الشَّعْرِيَّةِ الْفَاعِلَةِ فِي الْمَشْهُدِ الشَّعْرِيِّ ؛ الَّذِينَ لَمْ يَتَبَنَوْا شَكْلَ قَصِيدَةِ النَّثْرِ فَقَطْ ؛ بَلْ جَمَالِيَّاتِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ فِي مَشْهُدِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ ؛ الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي الْأَشْكَالِ الْآتِيَةِ :-

الْبِنَاءُ الْمَشْهُدِيُّ

المَشْهُدُ Scene ، اصطلاحًا ، هُوَ الْفَضَاءُ: الْحَيِّزُ ؛ الَّذِي يَضُمُّ بَيْنَ جَنْبَاتِهِ مَفْرَدَاتِ الْمَوْقِفِ الشَّعْرِيِّ ، الَّتِي يَضَعُهَا السَّارِدُ وَضْعًا دَالًّا ، وَتَعْمَلُ عَيْنَا السَّارِدِ ، هُنَا ، عَمَلُ كَامِيرَا السِّيْنِمَا ؛ الَّتِي تَسْتَقْصِي أَبْعَادَ وَتَفَاصِيلَ هَذَا الْمَشْهُدِ ، فِي حِيَادٍ ، وَفِي الْبِنَاءِ الْمَشْهُدِيِّ يَكُونُ التَّرْكِيزُ عَلَى الْأَبْعَادِ الْمَكَانِيَّةِ فِيمَا تَتَبَاطَأُ حَرَكَةُ الزَّمَنِ . وَالْمَشْهُدِيُّ هِيَ اعْتِمَادُ آليَّاتِ صِنَاعَةِ الْمَشْهُدِ بِأَبْعَادِهِ الْبَصَرِيَّةِ ؛ لِتَحْقِيقِ الْمَجَازِ الْبَصَرِيِّ ، وَتَرْكُ بِلَاغَةِ الصُّورَةِ الْجَزْئِيَّةِ اللَّغَوِيَّةِ إِلَى بِلَاغَةِ الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ الْبَصَرِيَّةِ ؛ الَّتِي يَبْدُو فِيهَا أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ الْمَشْهُدُ خَالِيًا مِنَ التَّعْلِيقِ الْمُبَاشِرِ وَالثَّرَثَةِ الْفَضْفَاضَةِ كَانَ أَبْلَغَ " (1) ، غَيْرَ أَنَّهُ لَدَى الْبَعْضِ ، كَانَ الْمَعْرِفِيُّ يُغَالِبُ الْبَصَرِيَّ مِمَّا يُشَوِّشُ عَلَى جَمَالِيَّاتِ الْمَشْهُدِ ، كَمَا كَانَ لَدَى غَيْرِهِمْ وَلَعَّ بِإِقَامَةِ نَهَايَاتِ مَجَازِيَّةٍ لِلْمَشْهُدِ ،

وأحياناً إسقاط تعليقاتٍ ذهنيّةٍ عليه ، وهؤلاء الآخرون هم أسوأ مُنتجّي تيّارِ يانيس ريتسوس (1909-1990) في الشعرِ العربيّ ؛ لقد كان ريتسوس يعمدُ إلى التّركيزِ على التّفصيلِ الصّغيرةِ لصناعةِ قصيدةٍ عاريةٍ من الضّجيجِ ، مُكتفيةً بأقلِّ القليلِ من العناصرِ المبتدلةِ البسيطةِ ؛ التي تصنعُ الحياةَ اليوميّةَ ، وأحياناً التّركيزِ في نهاياتِ القصائدِ على تحوّلِ الأشياءِ غيرِ المتوقّعِ ، على الفانتازيا والتّحوّلاتِ السّحريةِ للأشياء⁽²⁾ ؛ بحيثُ تتعلّقُ شعريّةُ النّصِّ بخاتمتهِ بدرجةٍ كبيرةٍ ، وهي نهاياتٌ كثيراً ما تكونُ مُباغتةً ، يمتزجُ فيها ، الكلّيُّ بالنّسبيِّ ، أوالوقائعيُّ بالرّؤيويِّ ، ومن ذلكَ هذا النّصُّ لسعدي يوسف (1934 -) بعنوانِ : "عصافير".

"هذا الصّباحُ أبصرتُ للمرّةِ الأولى عُصفوراً

كانَ على ساقٍ دقيقةٍ لنبتةٍ ذرّةٍ صفراءَ .

نبتةٌ يترنّ بها الفندقُ البحريُّ

العُصفورُ ينظفُ نفسهُ

السّاقُ تهتزُّ

عُصفورٌ ثانٍ يأتي

السّاقُ تميلُ :

عُصفورٌ ثالثٌ

السّاقُ تسجدُ خاطفةً

فجأةً ، ومُخطفةٍ واحدةٍ ، تطيرُ العَصافيرُ الثلاثةُ

مبتعدةً عنُ الفندقِ البحريِّ

وتحتَ قميصي ترتعشُ آلافُ العَصافيرِ ."⁽³⁾

من العَصافيرِ التي غادرتْ مشهدَ الشّاعرِ ، والعَصافيرِ التي ارتعشتْ داخلَ الشّاعرِ ، على إثرها ، تحدثُ الارتجافُ الشعريُّ ، في خاتمةِ المشهدِ ، ولم يكتفِ الشّاعرُ هنا ، بسينمائيّةِ المشهدِ ، وشعريّةِ المشهدِ البصريِّ ؛ الذي تغيبُ فيه السّاردُ ، إلّا من ضميرِ المتكلّمِ في السّطرِ الأوّلِ مرّةً ، وفي السّطرِ الأخيرِ مرّةً أخرى ، وتُهيمنُ حرّكَةُ المشهدِ البصريِّ ، وهي

تنقلُ بحيادٍ ، في أداءٍ سينمائيٍّ ، تفاصيلَ المشهدِ الكُلِّيِّ بجزئياته المتكاملة المتصائمة ؛ وإنما ركّزَ على خاتمة المشهد ؛ ليكتملَ به البناءُ المشهدِيّ .

وعلى هذا النحو يبدو العملُ الشعريُّ ، هنا ، أكثرَ اقتراباً من طبيعة العملِ السينمائيِّ ؛ حيثُ يُركّزُ الشاعرُ على مُفرداتِ المشهدِ البصريِّ ، ويُقومُ بتبطينِ حركةِ الزمنِ ؛ ليحدثَ ما أسماه روبرت همفري بالمونتاجِ الزمَنيِّ ، ويُتابعُ المتلقّي الحداثَ " مُعاصراً وقُوعه كما يقعُ بالضبطِ وفي نفسِ لحظةِ وقُوعه ، لا يفصلُ بينَ الفعلِ وسَماعِهِ ، سوى البرهة التي يستغرقُها صوتُ [السارد] في قوله ؛ ولذلك يُستخدَمُ المشهدُ للحظاتِ المشحونة " (4) ، ويُتيحُ هذا المنهجُ للشاعرِ أداءَ أقربَ إلى الموضوعيّةِ ، والحياديّةِ ، ولا يبدو معه النصُّ حالةً شعريّةً ؛ بل مشهداً شعريّاً وثائقيّاً .

ويُتَبَنَّى السردُ الشعريُّ أحياناً ، آلياتِ السردِ السينمائيِّ ؛ فيرصدُ عناصرَ المشهدِ ومُفرداته ، بطريقةِ المونتاجِ ؛ "عبرَ توالي سِلْسِلَةٍ مِنْ الكادراتِ أو المشاهدِ السينمائيّةِ التي يأتي أحدها في أعقابِ الآخرِ" (5) ، كما نرى في هذا المجتزأ ليحي جابر (1961 -):

"الخطأ طُنْهمكُ على لافتةٍ لصَرَافٍ

تَحْتَ قَدَمَيْهِ يافطةٌ لتَظَاهِرَ .

رَغْوَةُ صَابُونٍ تَرَسَّخُ عَلَى زُجَاجٍ مَهْمَى .

طاوِلَةٌ مُرَبَّعَةٌ لِمُجْتَمِعِينَ تَحْتَ قَبَعَاتٍ .

رَجُلٌ يَحْمِلُ دُجَاجَةً تَقْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

يَتَنَاقَشُ مَجْدَةً مَعَ آخَرٍ يَحْمِلُ بَيْضَةً .

رَجُلٌ يَمِزُّ أَوْرَاقَ رُوزَنَامَةٍ

وَيَرْمِيهَا فِي صَحْنٍ مُسَوَّلَةٍ .

نَادِلٌ يَكْنَسُ حُرُوفاً وَأَوْرَاقاً .

صَيْصَانٌ بَيْنَ الطَاوِلَاتِ .

على طاوِلَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ

حَقِيبَةٌ سَمْسُونَايتٍ .

نَظَارَةٌ سَوْدَاءُ . قَفَازَاتُ بَيْضٍ .

دُمِيَّةٌ مَا نِيكَانَ . عُكَازَاتُ .

ضِمَادَاتُ مُلْفُوفَةٌ حَوْلَ الْكَرَاسِي .

فِي الْخَارِجِ .

تُزَلَقُ عَرَبَةٌ مُقَعَدٌ بَيْنَ السَّيَّارَاتِ . " (6)

وَحَيْثُ يَرُصُّدُ الشَّاعِرُ مُفْرَدَاتُ الْمَشْهَدِ الشَّعْرِيِّ ؛ مُتَّحِدًا بِعَيْنِ الْكَامِيرَا ، تَتَشَكَّلُ سِينِمَائِيَّةُ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ ؛ عَبْرَ جَمَالِيَّاتِ الْمَشْهَدِ ، كَمَا فِي قَوْلِ كَرِيمِ عَبْدِ السَّلَامِ (1976 -) :

"فِي حَرِّ الظَّهْرِ الصَّبِيِّ وَقَفُ أَمَامَ الْبَيْتِ .

وَالْفَتَاةُ بِالْدَاخِلِ تَرْقُبُ حَرَكَتَهُ .

ثُمَّ تَخْرُجُ الْفَتَاةُ مُبْسِمَةً وَتَسِيرُ عَلَى جَانِبِ الشَّارِعِ

وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ سِيرُ الصَّبِيِّ ، فَيَمَّا يَتَبَادَلَانِ النَّظَرَاتِ .

الْفَتَاةُ تَعْبُرُ خُطُوبَاتَهَا وَالصَّبِيُّ يُعْبِرُ إِلَيْهَا .

بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ خُطْوَةً تَشْتَبِكُ أَصَابِعُهُمَا . " (7)

وَيَتَبَدَّى الْوَعْيُ بِسِينِمَائِيَّةِ الْحَدَثِ الْيَوْمِيِّ ، وَإِدْرَاكِ الْوَاقِعِ كَنَصِّ سِينِمَائِيٍّ ؛ بِمُمَثِّلِينَ يَمْلِئُونَ

الْمَشْهَدَ ، وَمُتَّفَرِّجِينَ خَارِجَ الْمَشْهَدِ ، لَدَى كَرِيمِ عَبْدِ السَّلَامِ ، فِي تَعْبِيرِهِ عَنِ دَمَوِيَّةِ الْوَاقِعِ

عَبْرَ مَنْظُورِ سِينِمَائِيٍّ فِتْنَايَ ؛ تَرُصُّدُ فِيهِ الذَّاتُ الشَّاعِرَةُ ، مِنْ غُرْفَتِهَا الْمَظْلَمَةِ ، الْمَشْهَدَ

الْخَارِجِيَّ ؛ بِاعْتِبَارِهِ مَشْهَدًا تَمَثِيلِيًّا خَالِصًا ، عَلَى هَذَا النِّحْوِ :

"الْمُمَثِّلُونَ وَالْعُمَالُ فِي الْخَارِجِ يَسْتَعِدُّونَ ،

الْمَشَاهِدَ لَا تَتَوَقَّعُ مِنْذُ أَنْ بَدَأُوا يُصَوِّرُونَ فِيلْمَهُمْ .

سَيَّارَةٌ مُسْرَعَةٌ تُعْبِرُ وَتَسْحَقُ فِتَاةً عَابِرَةً

وَالْمُتَّفَرِّجُونَ فِي شُرُفَاتِ الْمَنَازِلِ

يُرَاقِبُونَ الْبُقْعَ الْحُمْرَاءَ وَالتَّشْنُجَاتِ

وَالْفَتَاةُ الْعَابِرَةُ لِلشَّارِعِ تَمُوتُ

وَالْمُخْرِجُ لَا تُعْجِبُهُ مِيتَةُ الْفَتَاةِ الْعَابِرَةِ

فَيُكْرِّرُ تَصْوِيرَ الْمَشْهَدِ عَشْرَ مَرَّاتٍ

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ
تَمُوتُ قَتَاةٌ جَدِيدَةٌ
وَيَهْرَبُ سَيَّارَةٌ بِسُرْعَتِهَا مِنَ الْمَشْهَدِ
وَيَتَفَرَّجُ الْمُتَفَرِّجُونَ
دُونَ أَنْ يَنْبُتُوا إِلَى أَنَّ الْعُمَالَ فِي الْخَلْفِيَّةِ
يَنْقُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ عُرْضِ الشَّارِعِ ، ثُمَّ يَضَعُونَهَا
فِي كَيْسٍ بِلَاسْتِيكِيٍّ ، وَيُنْظِفُونَ الْمَكَانَ ، تَمْهيدًا
لِإِعَادَةِ الْمَشْهَدِ . " (8)

إِنَّ اقْتِرَابَ الشَّعْرِ مِنْ عَالَمِ السَّيْنِمَا ، كَثِيرًا ، جَعَلَهُ يَتَخَفَّفُ مِنْ مجازِ الْجُمْلَةِ ، وَمِنْ النِّهَايَاتِ
المَجَازِيَّةِ ، المَصْنُوعَةِ ، فِي الْخَوَاتِيمِ ، بُغْيَةً إِحْدَاثِ لَفْتَةٍ عَاجِلَةٍ إِلَى الْمَشْهَدِ كَكُلِّ ؛ لِمَتَابَعَةٍ
تَفْجِيرِهِ الدَّلَالِيَّ .

الشَّفَاهِيَّةُ وَتَدَاوُلِيَّةُ الْخِطَابِ

جَاءَ التُّزُوعُ إِلَى الشَّفَاهِيَّةِ انْقِلَابًا عَلَى اسْتِحْكَامِ الْخِطَابِ الشَّعْرِيِّ ، الَّذِي وَصَلَ إِلَى ذُرَاهُ عَلَى
أَيْدِي شُعَرَاءِ السَّبْعِينِيَّاتِ الْمَصْرِيِّينَ ، وَهُوَ مَا تَمَثَّلَ فِي تَكْثِيفِ الْمَجَازِ اللَّغَوِيِّ ، وَالْإِزَاحَةِ
اللَّغَوِيَّةِ ، وَالصُّورِ الْمُعَقَّدَةِ ، سَعْيًا إِلَى جَعْلِ النَّصِّ فَضَاءً لِلتَّأْوِيلِ الْمُفْتَوَحَةِ ، جَاءَ التُّزُوعُ إِلَى
الشَّفَاهِيَّةِ مُعَزِّزًا قِيَمَةَ التَّدَاوُلِيَّةِ ، وَتَخْلِيصَ اللَّغَةِ مِنْ كَهْنُوتِهَا التَّارِيخِيِّ ، وَمِنْ اسْتِرَاتِيجِيَّاتِ
الْبَلَاغَةِ ، وَمُؤَكَّدًا عَلَى التَّمَسُّكِ بِلُغَةِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ ، وَتَرَكَيبِهَا ، وَمَنْطِقِهَا الْجَمَالِيِّ الْخَاصِّ ،
سَعْيًا إِلَى " تَحْقِيقِ الْإِلْتِحَامِ الْحَمِيمِ بِالْوَاقِعِ ، وَلَيْسَ مَجْرَدَ مُعَايَشَتِهِ عَلَى الْبُعْدِ " (9) ، وَسَعْيًا إِلَى
الْإِخْلَاصِ لَوُظَيفَتِهَا التَّوَصِيلِيَّةِ ، وَهُوَ مَا يَقُودُ - أحيانًا - إِلَى تَقَشُّفٍ لُغَوِيٍّ ، وَاعْتِمَادِ مُفْرَدَاتٍ
دَارِجَةٍ ، وَتَكَرُّرِ أُنْبِيَةٍ عَامِيَّةٍ ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَى الْمَنْطِقِ الْجَمَالِيِّ الشَّفَاهِيِّ الْحَيِّ ، وَهَذَا الْإِنْهَمَامُ
بِالْوَعْيِ الشَّفَاهِيِّ يَصُبُّ فِي اِهْتِمَامٍ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ، ضَمْنِ إِعْطَائِهَا الصَّدَارَةَ " لِلثَّقَافَةِ الشَّعْبِيَّةِ
؛ كَتَحَدٍّ لِمَعْيَارِ الْفَنِّ الرَّفِيعِ ، حَدَاثِيًّا كَانَ أَمْ تَقْلِيدِيًّا " (10)

وَهَكَذَا عَمَدَتِ الْقَصِيدَةُ الْجَدِيدَةُ إِلَى بِلَاغِيَّاتِ الصُّورِ الْمَعِيشَةِ الْمُتَنَامِيَةِ ؛ الَّتِي تَبْدُو
كَأَحْدَاثٍ مُفْرَطَةٍ فِي وَاقِعِيَّتِهَا ، لَمْ تُعَدْ لَهَا أَيَّةُ مَضَامِينٍ أَوْ أَهْدَافٍ خَاصَّةٍ " (11) ، سِوَى

التَّحَقُّقِ الحَيَاتِيَّ الحَيِّ ، وَتَسْعَى الذَّاتُ المتكَلِّمَةُ ، في النَّصِّ ، إلى الالتحام بهذا المعيشِ ،
وَمِنْ ذَلِكَ هَذَا النَّصُّ ، لعلِّي منصور (1956 -) بعنوان : " عِنْدَ الفُنْدُقِ العَائِمِ " .

"أُمُّكَ ، وَاللَّهِ ، ظَفَرُهَا بَعَشْرٌ

مِنْ هَؤُلَاءِ النَّسْوَةِ .

اللواتي . . .

لَمْ يَجْلِسْنَ سَاعَةً وَاحِدَةً

أَمَامَ الْفُرْنِ

هَلْ تَرَمَلْتُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ ، مَثَلًا ، فِي الثَّلَاثِينَ

وَعُلِقَ فِي رَقَبَتِهَا ثَلَاثَةُ أَطْفَالٍ

وَأَخْتُهُمْ فِي الرَّحِمِ .

أُرَاهُنَّ :

وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُنَّ تَعْرِفُ كَيْفَ تَسْلُخُ أُرْبَةَ بَعْدَ ذَبْحِهَا

وَشَكَلَهُنَّ ضَاجِعِينَ رِجَالًا كَثِيرِينَ

غَيْرَ أَرْوَاجِهِنَّ

وَلَيْسَ بَعِيدًا

أَنَّهُنَّ يَعْمَلْنَ جَوَاسِيسُ ! ! . " (12)

وَمِنْ ذَلِكَ ، أَيْضًا ، هَذَا الْمُجْتَرُّ ، لِمُؤْمِنِ سَمِير (1975 -) :

" هَادِنًا تَمَامًا

كُنْتُ أُمْشِي وَنَفْسِي

عِنْدَمَا نَادَتْنِي الدَّمُوعُ

الَّتِي فِي عَيُونِ الْحَبْلِ

لِعَلِّمَكُمُ

لَيْسَتْ قَسْوَةً صَاحِبِ " الْحَنْطُورِ "

هِيَ السَّبَبُ

وَلَيْسَتْ رَدَاءَةُ الطَّعَامِ
وَلَا فِكْرَةُ الْعِبَادَةِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا

وَلَكِنْ

اجْلِسُوا

اجْلِسُوا لأَقْصَ عَلَيْكُمْ . " (13)

هَكَذَا يَتَحَكَّمُ مَنْطِقُ الْكَلَامِ ، فِي طَرِيقَةِ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ ؛ فَيَبْدُو الْحَسُّ الشَّفَاهِي مُهِمًّا عَلَى الصِّيَاغَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَأحيانًا يَنْزَعُ النَّصُّ إِلَى الشَّفَاهِيَّةِ ، دُونَ أَنْ يَعْتَمِدَ الْمَنْطِقُ الْجَمَالِي لِلُّغَةِ الْحَدِيثِ ، فَيَعْلُو مَنْطِقُ الْمَجَازِ اللَّغَوِيِّ عَلَى الْبُوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَتَبْدُو الْخَلْفِيَّةُ الْمَعْرِفِيَّةُ أَكْثَرَ مِنْ فِعْلِ الْقَوْلِ ، كَمَا نَجَدُ فِي هَذَا الْمَجْتَرَأِ ، لِعَزْمِي عَبْدِ الْوَهَّابِ (1964 -) :

"أَمْلِكُ حِذَاءً وَاحِدًا

وَتِسْعَةً وَعِشْرِينَ شَاءً

وَصُورَةً لِمَا جَدَّ الرَّؤْمِي

سَرَقَتْهَا مِنْ صَدِيقٍ لَا يُحِبُّ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ

وَعَلَّقَهَا عَلَى حَائِطٍ

فِي غُرْفَةِ نَوْمِي

ثُمَّ تَابَعْتُ مِنْ مَقْعَدِي

حَرْبَ "الشَّبَحِ" وَ"الْبَاتِرُوتِ"

لِذَلِكَ . . . أَرْجُوكُمْ لَا تُصَدِّقُونِي

حِينَ أَرْفَعُ إِيهَامِي

تَأْيِيدًا لِكَلَامِ

لَمْ أَسْمَعْهُ . . . ،

فَالْعَالَمُ أَضْيَقُ مِنْ حِذَاءٍ

وَأَكْثَرُ بِرُودَةٍ مِنْ

عَيْنِ دِيكَاتُورِ زُجَاجِيَّةٍ

وَكَلْنَا نَكْذِبُ
مَنْذُ أَنْ دَحْرَجْنَا طُفُولَنَا

مِنْ عَصَا الْأَبِ
إِلَى شَارِعِ جَانِبِي. (14)

لا يكتفي الشاعر بالمعيش الحياتي ، وإنما يُسلطُ عليه الحسيّ المعرفي ، ذا الموقف السياسيّ الواضح ؛ لتتولدُ الإيماءاتُ الشعريّةُ المعرفيّةُ ؛ التي تُشكّلُ كسرًا مُتواليًا للإيهام بمعايشة الحكي ، وبينما مثلُ السردِ الشعريّ الإنسانيّ الحميمُ المتشكّلُ من المعيش التداوليّ - كما تبدّى عند علي منصور ، على سبيل المثال - انحيازًا لوغيّ ما بعدَ الحداثة لم يتخلّص السردُ الشعريّ الحياتيُّ المموّهُ بالمعرفيّ - في النموذج الذي مثّله عزمي عبد الوهاب - من الحداثيّة ، فبينما انشغل الأولُ ببلاغةِ القريب ، نزَعَ الأخيرُ إلى البحثِ عمّا وراءَهُ ، وعندَ الأولِ لا شيءٌ تحت التجربة إلاّ التجربة ، ولأوراء السطحِ سوى السطح ؛ المعيش والبسيط واليوميّ ، فيما لا يزالُ الأخيرُ جانحًا إلى ثقافة النخبة والنخبويّة . (15)

خمودُ العاطفيّة وحَياديّة الأداء

تؤثر اللغة الشعريّة ، هنا ، انطلاقًا من الحرصِ على موضوعيّة السردِ الشعريّ أن تتخفّف من العاطفيّة ، ومن تداعياتِ الشعورِ الهادرِ ؛ فتعملُ في حيادٍ واضح ، ونبرة خافتة ، وأداء موضوعيّ تسجيليّ ، وتتفجّرُ الشعريّة ، هنا ، في المشهد ، كاملاً ، بتفاصيله المتراصّة المتكاملّة ، وقد أشارَ فريدريك جيمسون إلى خمودِ العاطفةِ *waning of affect* باعتبارها من أهمّ خصائص ما بعدَ الحداثيّة ، مُشيرًا في الوقتِ ذاته إلى أنّه "بالطبع لن يكونَ دقيقًا الإيحاء بأنّ كلّ عاطفة ، كلّ إحساسٍ ، أو شعورٍ ، كلّ ذاتيّة ، قد تلاشت من الصّورة الجديدة". (16)

ويتركّزُ الشعرُ ، هنا ، إلى بلاغةِ الصّورة ، وإلى علاقاتِ الأشياءِ داخلَ المشهدِ ، وإلى الحيادِ ، كهذا النصّ ، لمحمّد متولي (1970 -) بعنوان : " صديقان " :

"في شاطئ كهذا

لا يأتي سوى طائرٍ وحيدٍ

ليحطّ على حطامِ المراكبِ

وَفِي بَيْتٍ كَهَذَا
إِلَى جَوَارِ شَجَرَةٍ مَمْنُوصَةٍ
لَا يَجْلِسُ فِي الشَّرْفَةِ
سِوَى رَجُلٍ وَاحِدٍ
لِيُرَاقِبَ الطَّائِرَ. " (17)

مِنْ عِلَاقَةِ الْأَشْيَاءِ ، بَعْضُهَا بَعْضٍ ، تَتَفَجَّرُ شِعْرِيَّةُ هَذَا الْمَشْهَدِ ؛ مِنْ التَّوَازِي الْحَادِثِ فِي
الْحَالَتَيْنِ: الطَّائِرِ الْوَحِيدِ وَالرَّجُلِ الْوَحِيدِ ، حُطَامِ الْمَرَائِبِ وَالشَّجَرَةِ الْمَمْنُوصَةِ ، وَحْدَةِ
الطَّائِرِ وَوَحْدَةِ الرَّجُلِ ، وَانْفِصَالِ كُلِّ مِنَ الطَّائِرِ وَالرَّجُلِ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، وَتَأْتِي الْخَاتِمَةُ لِتُؤَكِّدَ
عَلَى تَوَاضُلِ الْحَالَتَيْنِ ، وَالْمَوْثُوقِ الضَّمْنِيِّ ، هُنَا ، لَا يُعْلَقُ عَلَى الْمَشْهَدِ ، عَبْرَ خِطَابِ السَّارِدِ
، وَإِنَّمَا يَكْتَفِي ، فَحَسْبُ ، بِبَيْتٍ هَذِهِ الْحَالَةِ عَنْ طَرِيقِ الصُّورَةِ ، خِلَاصًا مِنْ أَدَاءٍ عَاطِفِيٍّ
رُومَانْتِيكِيٍّ، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَفْرَضَهُ الْمَوْقِفُ ، وَتَتَوَارَى التَّبَرُّؤُ الدَّائِيَّةُ ، فَيَتَجَلَّى دَوْرُ الْبِنَاءِ
السَّرْدِيِّ الْمَحْكَمِ .

وَمِنْ ذَلِكَ ، أَيْضًا ، هَذَا الْمَجْتَرُّ ، لِيَاسِرِ عَبْدِ الْلطِيفِ (1969 -) :

" الْجَدُّ الَّذِي أَغْرَنَكَ نَظَارَتُهُ الطَّبِيبَةُ .
وَكُوفِيَّتُهُ الصُّوقِيَّةُ بِتَقْلِيدِ أَسْلُوبِهِ فِي الْحَيَاةِ .
سَتَجِدُهُ - حِينَ تَفْتَحُ عَلَيْهِ الْغُرْفَةَ -
وَاضِعًا سَمَاعَاتِ الْهَيْدِفُونِ عَلَى رَأْسِهِ .
فَاتِحًا أَسْفَارَ الْفِيدَا أَمَامَهُ
سَتُغْلِقُ الْبَابَ بَعْدَهَا - مُحْتَرِمًا فِيهِ ذَلِكَ
وَسَتَنْصَرِفُ فِي هَدْوٍ
وَمِنْ شُرْفَتِكَ الْوَحِيدَةِ
سَتُتَّقِي بِظِلِّكَ إِلَى الشَّارِعِ
لِتَدُوسَهُ الْعَرَبَاتُ
وَرَأْسُكَ الْمَيْكْرُوْيَاسِ
وَالْيُونَيْسَكُو ،

وَجَامِعِ الْقَطْنِ

وَأَفْرَادُ الْقَبَائِلِ الْمُنَسِّيَةِ فِي الصَّحَرَاوَاتِ . " (18)

ثُمَّ ، أَيْضًا ، حَالَةُ الْإِنْسِحَابِ وَالْأَسْتِيحَاشِ ؛ الَّتِي تُشَارَفُ حَدَّ التَّلَاشِي ، دُونَ ضَجِيجِ
عَاطِفِي مِنَ الدَّاتِ الْبَسِيطَةِ الْمُنْكَسِرَةِ الْأَسْيَانَةِ ، وَهَذِهِ الدَّاتُ ذَاتَ وَعِيٍّ وَاضِحٍ ، وَلَكِنَّهَا
مُسْتَمْتَعَةٌ بِالْقَلِيلِ الْمَتَاحِ ، كَمَا نَجَدُ فِي هَذَا الْمَجْتَرِ لِمَحْمُودِ عَبْدِ اللَّهِ (1978 -) :

" جَرُّبُوا أَنْ تَشْرُبُوا الشَّاي

فِي الشَّرْفَةِ بِمَلَابِسٍ دَاحِلِيَّةٍ

وَتَأْمُلُ لِلْفَضَاءِ

دُونَ أَنْ تُعَكِّرُوا صَفْوَهُ هَذِهِ اللَّحْظَةَ

بِالنَّظَرِ لَشُرَفَاتِ الْآخَرِينَ

وَعَرَبَاتِهِمُ الْمُلَوَّنَةَ . " (19)

إِنَّهَا الدَّاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْبَسِيطَةُ ، فِي حَالَاتِهَا الْبَسِيطَةِ ، عَبْرَ أَدَائِهَا ؛ الَّذِي لَا يَقُلُ بَسَاطَةً ،
وَهَذِهِ الْبَسَاطَةُ تُعَدُّ إِحْدَى السَّمَاتِ الْمَهْمَةِ ؛ الَّتِي رَكَّزَ عَلَيْهَا مُنْظَرُو مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ؛ فَقَدْ
حَدَّدَ فَرْدَرِيكُ جِيْمَسُونُ شِعْرَ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ، بِأَنَّهُ " الشَّعْرُ الَّذِي يَمِيلُ إِلَى الْبَسَاطَةِ ، وَالَّذِي
ظَهَرَ كَرْدٍّ فَعَلٍ ضِدَّ الشَّعْرِ الْحَدَاثِيِّ الْمَعْقَدِ الْأَكَادِيمِيِّ " (20) ، وَكَثِيرًا مَا تُنِيحُ لُغَةُ التَّفَاصِيلِ
لِلشَّاعِرِ أَنْ يَعْتَمِدَ الْمَفَارِقَةَ ؛ لِتَحْقِيقِ حَالَةٍ شِعْرِيَّةٍ دَالَةٍ ، مِنْ عِلَاقَاتِ الْأَشْيَاءِ الْيَوْمِيَّةِ بَعْضُهَا
بِبَعْضٍ ؛ كَهَذَا النَّصِّ ، لَعَلِي مَنْصُورٌ ، بِعَنْوَانِ : (فَاَنْتَازِيَا) :

" الشَّاعِرُ الْمُسْكِينُ

الشَّاعِرُ الَّذِي تَحَدَّثَ فِي قَصِيدَتِهِ

عَنْ جَنِيهِ يَنْزِفُ دَمًا

فَوْقَ مَا نَشِيتُ (الْإِتْعَاشُ الْاِقْتِصَادِي) !!

عَنْ قَتَاةٍ فَجَرَتْ خِصْرَهَا

عِنْدَ حَاجِزٍ ،

وَأُخْرَى تُفَجِّرُ خِصْرَهَا فِي الْأَغَانِي !!

عَنْ الْمُحْمُومِينَ بِالسُّؤَالِ :

أفائدة البنوكِ حَرَامٌ أم حَلَالٌ ؟ !
 بَيْنَمَا اللّصُّ يُعْبِرُونَ - فِي هَدُوءٍ -
 بِأَمْوَالِ الْمَحْرُومِينَ ! !
 الشَّاعِرُ الْمُسْكِينُ . .
 قَادَهُ حَظُّهُ الْعَاثِرُ ، لَطَاوِلُهُ ، وَنَاقِدِينَ ! !
 تَحَدَّثُوا عَنْ الْفَانِتَازِيَا ،
 وَشَعْرَةِ النَّفَاصِيلِ ! !
 تَحَدَّثُوا عَنْ أُسْطَرَةِ الْوَاقِعِ ، ، وَابْتَسَمُوا ! !
 ثُمَّ صَفَّقَ الْحُضُورُ الْهَزِيلُ ! !
 يَا لِلشَّاعِرِ الْمُسْكِينِ ! ! . " (21)

وَقَدْ اكْتَسَبَتِ الْمَفَارِقَةُ مَنْزِلَهُ خَاصَّةً ، فِي شِعْرِيَّةٍ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ؛ حَيْثُ جَعَلَتْ مِنْهَا إِحْدَى
 آيَاتِهَا الْأَسَاسِيَّةِ فِي إِنتَاجِ شِعْرِيَّتِهَا .

التَّفَاصِيلُ

فِي مُقَابِلِ شِعْرِ الْحَدَاثَةِ ؛ الَّذِي رَكَّزَ عَلَى الْكُلِّيَّاتِ وَالْمَجْرَدَاتِ وَالْمُطْلَقَاتِ وَالْمِيتَافِيزِيكَا ، جَاءَ
 شِعْرُ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ - فِي إِطَارِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ - مُرَكِّزًا عَلَى الْجَزَائِيَّاتِ ، وَالتَّفَاصِيلِ الْيَوْمِيَّةِ
 الْمَعِيشَةِ ، وَالْبُسْطَاءِ ، وَمُفْرَدَاتِ الْوَاقِعِ الْقَرِيبَةِ ، وَالنَّسْبِيِّ ، وَالْفِيزِيكَا ، وَالْأَشْيَاءِ فِي وُجُودِهَا
 الْحَقِيقِيِّ الْحَيِّ الْمَتَعِينِ ، وَهُوَ مَا مَثَّلَ صُعُودَ الذَّاكِرَةِ الْبَصَرِيَّةِ فِي مُقَابِلِ الذَّاكِرَةِ الدَّهْنِيَّةِ ،
 تَجَلَّى الْوَاقِعِ مِنْ حَيْثُ وُجُودِهِ الْمَتَحَقِّقُ لَا الْمَتَصَوِّرُ ، وَبِهَذَا مَثَّلَ هَذَا الشَّعْرُ عَصْرَ الصُّورَةِ فِي
 الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ . " لَقَدْ فَقَدَتِ الْحِكَايَةُ الْكُبْرَى مِصْدَاقِيَّتَهَا " (22) ، كَمَا يَقُولُ جَانْ فِرَانْسُو لِيُوتَار
 (1924 - 1998) ، وَلِهَذَا تَشَبَّهَ الشَّاعِرُ بِأَشْيَائِهِ الصَّغِيرَةِ ، الْبَسِيطَةِ ، الْمَتَعَدَّدَةِ ، وَبِدَائِهِ ،
 وَبِحِكَايَاتِهِ الصَّغِيرَةِ الْحَمِيمَةِ الْمَعِيشَةِ ؛ لِيُؤَسَّسَ مِنْهَا خِطَابَهُ الشَّعْرِيَّ الْحَقِيقِيَّ الْخَاصَّ ، مِنْ
 النَّسْبِيِّ الْبَسِيطِ أَمْكَنَ لِلشَّاعِرِ أَنْ يَكْتَشِفَ الْمَطْلَقَ ، وَمِنْ الْجَزَائِيَّاتِ تَبَدَّى لَهُ جَوْهَرُ الْكُلِّيِّ ،
 وَمِنْ الْقَرِيبِ الْحَمِيمِ الْمَلْمُوسِ يَكْتَشِفُ الْحَقِيقَةَ الْكَامِنَةَ الْعَمِيقَةَ ، دُونَ أَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ
 الْأَسَاسِيُّ - عَلَى سَبِيلِ الْإِجْرَاءِ الشَّعْرِيِّ - أَنْ يَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْكُبْرَى ؛
 فَالشَّاعِرُ هُنَا ، لَا يَنْطَلِقُ مِنْ وَآلِي الثَّقَافِيِّ أَوْ الْإِيدُولُوجِيِّ أَوْ الْيَقِينِيِّ ، بَلْ يَبْدَأُ بِمَا يَمْلِكُهُ ،

وَيُعَايِنُهُ ، وَيَلْمُسُهُ ، وَيُحِيطُ بِهِ ، وَيَحْيَاهُ بِتَفَاصِيلِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ الدَّقِيقَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ ، هَذَا النَّصُّ ،
لِعِمَادِ أَبِي صَالِحٍ (1967 -) ، بِعنوانٍ : " وَسَنَصِلُ لِلْسَّتِّينَ " :

" سَكُونُ لَنَا بِيوتٌ صَغِيرَةٌ .

نَذْهِنُهَا بِالْأَخْضَرِ . .

ثُمَّ الْأَزْرَقِ ، ثُمَّ الْأَزْرَقِ

وَزَوْجَاتُ يَهْجُرُنَا بِسَبَبِ كَعْكَ الْعِيدِ

وَنُصَالِحُهُنَّ ، وَيَهْجُرُنَا حِينَ نَغَازِلُ صَدِيقَاتِهِنَّ

سَيَكُونُ لَنَا جِيرَانٌ يَشَاجِرُونَا

ثُمَّ يَهْدُونَا أَطْبَاقَ الْحُلْوَى ، وَيُشَاجِرُونَا .

وَأَطْفَالٌ نَذْرُكُهُمْ - بِالْكَادِ -

قَبْلَ وَقُوعِ الْمَاءِ السَّاخِنِ

ثُمَّ يَحْرِفُهُمُ الْمَاءُ السَّاخِنُ .

سَنَمْرُضُ أَسْبُوعَيْنِ بِالْأَنْفُلُونَا .

وَسَنَلْبَسُ سُرَاتٍ رَمَادِيَّةً . .

عَلَى بَنَاطِلٍ بِيضَاءَ

سَيَكُونُ لَنَا بَنَاتٌ جَمِيلَاتٌ

وَضُرُورِي سَنَرَفُضُ خُطَابَهُنَّ . .

وَنَحْنُ وَأَضْعَيْنُ سَاقًا عَلَى سَاقٍ . .

فِي حُجَرَاتِ الصَّالُونِ .

بَنَاتٌ جَمِيلَاتٌ سَنَقْبَلُ خُطَابَهُنَّ . .

بَعْدَ أَنْ يُتِمَّنِعْنَ عَنِ الطَّعَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

سَكُونُ أَيَّامًا صَعْبَةً ، وَالْأَوْلَادُ يُؤَدُّونَ الْامْتِحَانَاتِ

وَسَيَنْجَحُونَ .

يَرْسُبُ وَاحِدٌ ، وَيَنْجَحُ .

سَيَقْتَرِضُ أَصْدَقَانَا مَنَا ثَمَانِينَ جُنَيْهَا . . .
وَيَرُدُّونَهَا ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ
وَأَزْوَاجُ بَنَاتِ خَالَاتِنَا سَيُفْصَلُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ
وَيَعُودُونَ بَعْدَ سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا .
إِنَّا - بِالْأَكِيدِ - سَنُحِبُّ نِسَاءَ غَيْرِ رُوحَانِنَا
وَنَهْمُ أَنْ نَتَزَوَّجَ عَلَيْهِنَ . .
وَسَيُعَقِّلُنَا أَنَا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ .
عَلَيْنَا - فَقَطْ - أَنْ نَنْتَظِرَ قَلِيلًا .
وَأَنْ نَحْكُ حُزْنَنا - كُلَّ مَسَاءٍ .
بِفُرْشَةِ الْبَلَاطَاتِ . " (23)

بهذه الدقة الواضحة ، وبالتفاصيل المعيشية الحية العديدة ، يُشيدُ الشاعرُ نصّه جزءًا جزءًا ،
تشييدًا يكشفُ عنْ وَلَعِهِ بِوَقَائِعِ الشَّعْرِ وَحَدِيثِهِ . الشَّعْرُ هُنَا اخْتِفَالٌ بهذه التفاصيلِ وتمجيدٌ
لِهَا ، وَبِتَفَاصِيلِ أَقْلٍ ، وَبِنِيَّةٍ أَشَدَّ إِحْكَامًا وَتَكثيفًا وَتَوَلِيدًا لِلدَّلَالَةِ الشَّعْرِيَّةِ يَقْدِّمُ مُحَمَّدٌ
صالح (1942 - 2009) نصّه : " الصندوق " :

" تَرَكْتُ أُمِّي تَسْعَةً قَرَارِيْطَ
وَحُلُخَالِينَ مِنْ فُضَّةٍ
وَصَفَاثِرَ مُسْتَعَارَةٍ
صُنِعَتْ مِنْ حَرِيرٍ
وَتَرَكْتُ هَذَا الصَّنْدُوقَ
أَفْتَحُهُ
فَأَجِدُ أَشْيَاءَ أُمِّي
أَجِدُهَا وَلَا أَجِدُ أُمِّي . " (24)

لَقَدْ رَبَطَتْ التَّفَاصِيلُ الْقَصِيدَةَ بِالْحَيَاةِ ؛ بِوَقَائِعِهَا ، وَطُقُوسِهَا ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ تُصْبِحَ الْقَصِيدَةُ
عَالَمًا مِنَ الْكَلِمَاتِ وَالتَّصَوُّرَاتِ أَصْبَحَتْ عَالَمًا مِنَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ الْحَيَّةِ وَالْأَشْيَاءِ

الحميمية ، وتراجع دور التأويل ؛ الذي رأت فيه ما بعد الحداثة وسيلة لتخليص الموقف الشعري إلى مجردات مطلقة ، تطمس خصوصية النص ، وانطلاقة الحرة ، وتردّه إلى الدلالات المركزية العامة الثابتة .

التشدير

اعتبر التشدير من أهم المظاهر الجمالية لما بعد الحداثة ؛ حيث رأت ما بعد الحداثة أنه لا بد من " خوض حرب ضد الكلية ، والإغلاء ، بدلاً من ذلك ، من شأن فنون وعلوم المجتمع بعد الصناعي ، والتي تتمثل فكرتها الرئيسية في التجزيء بدلاً من التماسك . " (25) في شعرية التشدير ، يصبح النص نثراً ؛ تتناثر الجمل الشعرية المكثفة المشعة ، مؤكدة على منطق أنه كما جاز أن تكون القصيدة جملة واحدة جاز كذلك أن تكون الجملة الواحدة قصيدة كاملة ؛ تتناثر الجمل الشعرية المشعة ؛ كضربات متوالية ، ومستقلة ، في حيز النص ، بحيث يبدو النص - بشكل عام - وحدات شعرية متجاوزة ومتوالية ، كأن " ليس ثمة ترائط أو تلاحم بين الجمل في النص ، وكأن كل جملة تمثل عالماً مستقلاً عن العوالم التي تمثلها الجمل الأخرى . " (26)

وقد رأى البعض في نص التشدير ، " نسفاً بنائياً يوهم بالتفكيك فيما يُدعى نص الكسور والفجوات ، نص هذا العالم المتصدع " (27) ؛ أي أن هذا النص جاء انعكاساً لانهيارات الكيانات الكبرى ، ولتداعي أيدولوجيات ونظم ، وتشظيها .

بينما رأى ماذان ساروب أن " الانتقال من الحداثة إلى عالم ما بعد الحداثة يُمكن التعرف عليه إذا ما عرفنا أن الاغتراب عن الموضوع قد حلّ محله تفتيت الموضوع . " (28) وهكذا اكتسب التشدير أهميته الكبرى ، في شعرية ما بعد الحداثة ، وأصبح نصه عقداً من النصوص المتتابعة ؛ التي تؤكد على مبدأ التجزؤ والتشظي ، كمقابل لشموليات الحداثة وثوابتها " (29) ، أصبح النص يتشكّل من سلسلة من النصوص المتوالية ، في فضائه ، في كثافة شديدة ، تؤسس لجماليات التشظي والتفكيك والتفتيت والتشدير . ولهذا النص مرجعتان أساسيتان :

* بنيّة الهايكو الياباني بكثافتها الشديدة المشعة ؛ التي لم تُفقد لها الترجمات شعرية .
* بنيّة تراثية عربية عديده ، منها : (في تراثنا القديم) : الحكيم والأمثال ، والأحاديث النبوية ، وأواخر كتاب (نهج البلاغة) لعلي بن أبي طالب ، والأقوال الصوفية المركزة العديدة ؛ التي يأتي في طليعتها : (المواقف والمخاطبات) للنقري ، و(الإشارات الإلهية) لأبي حيان

التَّوْحِيدِيَّ ، وَفُنَّ التَّوْقِيعَاتِ . و(في ثُرَاتِنَا الْحَدِيثِ) : (رَمْلٌ وَزَبَدٌ) لجبران خليل جبران ، يأتي في طليعة هذه الكتابات .. (30)، وَلَا شَكَّ أَنَّ المَرْجِعِيَّةَ الْأُولَى ؛ الْقَرْيَةَ (الهايکو الياباني) كَانَتْ مُحَفِّزًا قَوِيًّا لِإِعَادَةِ اكْتِشَافِ المَرْجِعِيَّةِ الثَّانِيَةِ ؛ الْبَعِيدَةِ ، فِي ضَوْءِ شِعْرِيَّةِ التَّشْدِيرِ ، كَخَلَاصٍ مِنْ إِعَادَةِ إِنْتَاجِ شِعْرِ (الهايکو الياباني) ، ثُمَّ بَدَأَتْ الشَّعْرِيَّةُ تَتَخَلَّصُ تَدْرِيجِيًّا مِنْ رُؤَى المَرْجِعِيِّينَ ، تَحْتَ تَأْثِيرِ دَوَافِعِ التَّجْرِبِ ، وَمَنْ سَاهَمُوا فِي تَرْسِيخِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ : خَزَعِلُ المَاجِدِيِّ ، وَنَصِيفُ النَّاصِرِيِّ ، وَزَاهِرُ الْغَافِرِيِّ ، وَرَعْدُ عَبْدِ الْقَادِرِ ، وَمَنْعَمُ الْفَقِيرِ ، وَمُنْذَرُ عَامِرٍ ، وَمُحَمَّدُ آدَمَ ، وَسَيْفُ الرَّحْبِيِّ ، وَمُحَمَّدُ الصَّالِحِيِّ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَمِنْ الْمَشَاكِلِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي تُهَدِّدُ شِعْرِيَّةَ التَّشْدِيرِ : تَكَرَّرُ الْأَبْنِيَّةِ ، الْإِلْحَاحُ عَلَى بَنِيَّةِ الْمَفَارَقَةِ ، التَّعَمُّدُ ، الْمُنْطَقِيَّةُ الْمَتَحَكِّمَةُ فِي إِدَارَةِ الْفِعْلِ الشَّعْرِيِّ ، الْاسْتِسْهَالُ .

وَلَا يَنْتَمِي إِلَى هَذِهِ الشَّعْرِيَّةِ كُلُّ نَصٍّ شِعْرِيٍّ قَصِيرٍ ، وَهَذَا مَا تَكْشِفُهُ هَذِهِ الْمَجْتَزَاتُ مِنْ نَصِّ خَزَعِلِ الْمَاجِدِيِّ (1951 -) " أَرْزَعُ يَدِكَ وَأَقْطُفُهَا " :

• أَمَامَ هَذَا الشَّعْرِ الطَّوِيلِ الْمُلْتَهَبِ بِسَوَادِهِ

سَجَدَ الْمَقْصُ .

• عِنْدَمَا تَصُبِّنِ الْعَسَلَ

تَسْقُطُ أَصَابِعُكَ مَعَهُ .

• أَخُو الْمَطَرِ هَذَا

فَكَيْفَ لَا أَحْبُهُ ؟ .

• وَأَنْتِ تَدَخِّنِينَ

تَلْسَعِينَ ظَهَرَ حَيَوَانٍ رَاقِدٍ فِي أَعْمَاقِي .

• مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ لَمَعَتْ سَيُوفِي

مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ .

• دَلَّنِي عَلَى ذَهَبٍ حَيٍّ

غَيْرِ شَعْرَهَا .

• أَيُّهَا الْكَلْبُ أَنْبِخْ عِنْدَمَا يَأْتِي أَحَدٌ

مَعِي فَتَأْتِي .

• منذُ سِنَيْنِ

وَحَدُهُ فِي لَغَطٍ مُتَّصِلٍ مَعَ الْقَمَرِ . " (31)

وَهَذِهِ النُّصُوصُ لِمَنْعَمِ الْفَقِيرِ (1953 -) :

"يُحَدِّقُ بِي اللَّيْلُ
كَمَا لَوْ أَنِّي مَطْلُوبٌ لَهُ .

عِنْدَمَا

ارْتَدَيْتُ الْهَوَاءَ
اعْتَرَضَتْ الْمِرْأَةُ .

أَعْضَائِي
تَسْكُمُ
بِاتِّظَارِ
الرَّغْبَةِ .

فِي

الْأَرْضِ
اعْشَوْشَبَتْ
قَدَمَايَ .

لَا تَنْحَنِ
يَا جَسَدِي
كَيْ
لَا يَتَدَخَّرَ
رَأْسِي . " (32)

وَهَكَذَا شَدَّدَ التَّشْدِيرُ عَلَى أَنْ تَكُونَ لِلْمَوْضَعِ الشَّعْرِيَّةِ الْخَاطِفَةِ دَلَالَاتٌ شَعْرِيَّةٌ ، لِالْجُمْلَةِ شَعْرِيَّةٍ ؛ بَلْ لِنَصِّ شَعْرِيٍّ كَامِلٍ شَدِيدِ الْاِخْتِرَالِ وَالْإِشْرَاقِ .

تَشْطِي الْحِكَايَةِ وَلَا مَعْقُولِيَّةُ السَّرْدِ

فِي مُقَابِلِ اهْتِمَامِ الْحَدَاثَةِ بِالشَّكْلِ الْمَغْلَقِ ، وَالْحِكَايَةِ الْكُبْرَى الْمُحْكَمَةِ ، جَاءَتْ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ؛ لِتُؤَكِّدَ عَلَى الشَّكْلِ الْمَفْتُوحِ ، وَالْحِكَايَاتِ الصُّغْرَى الْمُتَشَطِّئَةِ ، وَلَا مَعْقُولِيَّةُ السَّرْدِ ، وَتَفْجُرَ الْمَرْكَزَ الْحِكَايَّ ، "وَالْتَّشَابُكُ الْاِخْتِلَاطِيَّ ، وَانْهِيَارُ الْمَعْقُولِيَّةِ وَالْمُمْكِنِيَّةِ ، وَالتُّزْوِجُ السَّرِّيَالِي" (33) ، فِي السَّرْدِ ، وَيُمَثِّلُ هَذَا الْمَلْمَحَ ، بِوَضُوحٍ ، سَرْدُ فَتْحِي عَبْدِ اللَّهِ (1957 -) الشَّعْرِيَّ ، فِي مُعْظَمِهِ ؛ فِي دِيَوَانِهِ الْأَوَّلِ : "رَاعِي الْمِيَاهِ" ، نَقْرًا :

يَحْدُثُ دَائِمًا

هَبْوَطِي مِنَ الْأَعَالِي

وَفَيْضَانُ فِي قَاعِ الْمَنْزِلِ

أَرْتَبُ أَمْوَاتِي الْأَعْرَاءَ

وَيَقْلِيلُ مِنَ الْهَدُوءِ

أَضَعُ الْقَوَارِبَ

سَلَاسِلَ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ

وَالرَّذَاذُ يُحْتَكِرُ الْمِينَاءَ

لِمَلَاكِمِ أُنْبُضَ

رَبَّمَا يَعْبُرُونَ بِقُمُصَانٍ

خَفِيفَةٍ

وَأَدْعُو النَّادِلَ فِي

هَوَاءِ الصَّبَاحِ

لِيُرْتَبَ الزَّهْوَرُ

فَمَا زَالَتْ الْحَدِيقَةُ

تَحْتَاجُ طَائِرَ . " (34)

يُقَدِّمُ الشَّاعِرُ، هُنَا ، نَوْعاً مِنْ شَذَرَنَةِ الْحِكَايَةِ ؛ الَّتِي تَتَدَاخَلُ فِيهَا الصُّورُ ، فِي أَدَاءِ سَرْدِيٍّ ، هَذِيَانِيٍّ ، أَقْرَبَ إِلَى الشَّطْحِ السَّرِيَالِيِّ ، يَتَمَحَوِّرُ حَوْلَ التَّجَرِبَةِ ، وَلَا يَبْدُو مَشْغُولاً بِنَقْلِهَا. إِنَّ تَشْطِيَّ الزَّمَنِ يَقْوَدُ إِلَى تَشْطِيٍّ الْحَدَثِ ، وَالْغَاءِ التَّسْلُسِلِ الْمُنْطِقِيِّ ، وَتَدَاخُلِ الْأَحْدَاثِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ ، وَفِي دِيَوَانِهِ : "سَعَادَةٌ مُتَأَخَّرَةٌ " ، نَقْرًا :

"فِي الصَّبَاحِ
أَسْمَعُ حَيَوَانَاتٍ غَرِيبَةً
قَطَارَاتٍ يُجْرُهَا فَلَاحُونَ
وَسَابِلَةٌ يَضْعُونَ الْوَرُودَ
أَمَامَ الْمَقَابِرِ
مَلَائِكَةً يَهْتَمُّونَ لَهُ
يَتَذَكَّرُ بِلُغَاتٍ مَهْجُورَةٍ
حَدِيقَةً لِمُوسِيقَارِ عَجُوزٍ
فَمَنْ يَسْتَطِيعُ فِي الثَّلَاثِينَ
أَنْ يَدْخِرَ حَرَارَةً
لأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ
خَاصَّةً وَأَنَا مُهْدَدٌ
بِسَرَطَانِ الرَّتَةِ
وَيُزْوِرُنِي مَنْ شَارَكُوا
فِي الْحُرُوبِ
وَأَبْنَاءِ الْهَلَالِ
الَّذِينَ ذَهَبُوا . " (35)

تَصَدُّعُ الْحُدُودِ الْمَوْضُوعَةِ بَيْنَ الْأَجْنَاسِ الْأَدَبِيَّةِ

إِنَّ الْقَوْلَ بِنَقَاءِ النَّوعِ الْأَدَبِيِّ لَمْ يَعُدْ مُفْنَعًا ؛ فَعَلَى مُسْتَوَى الْمَنْجَزِ الْأَدَبِيِّ ، لَمْ تَكُنْ الْأَشْكَالُ دَوَائِرَ مُغْلَقَةً أَوْ جُزْأً مُنْعَزَلَةً دَاخِلَ الْخَرِيطَةِ الْأَدَبِيَّةِ ، كَمَا تَسْعَى نَظَرِيَّةُ الْأَنْوَاعِ الْأَدَبِيَّةِ إِلَى تَكْرِيسِهِ ؛ " فَالْحُدُودُ بَيْنَهَا تُعْبَرُ بِاسْتِمْرَارٍ ، وَالْأَنْوَاعُ تُخْلَطُ أَوْ تُمَزَّجُ..وَتُخْلَقُ أَنْوَاعٌ جَدِيدَةٌ " (35). وَقَدْ رَكَّزْتُ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ، عَلَى قِيَمَةِ " مُنَاهِضَةِ الشَّكْلِ الْمُنتَهِي ، وَدَعْتُ لِلشَّكْلِ الْمَفْتُوحِ. " (37)

وَلَمْ تَكْتَفِ قَصِيدَةُ النَّثْرِ بِكَوْنِهَا شَكْلًا شِعْرِيًّا جَدِيدًا ، وَإِنَّمَا تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ إِلَى مَفْهُومٍ أَكْثَرَ شُمُولًا ، يَنْزِعُ إِلَى كَوْنِهِ شَكْلًا جَامِعًا ؛ يَجْمَعُ فِي فَضَائِهِ شَتَّى الْإِمْكَانِيَّاتِ الْمَتَاحَةِ فِي الْأَشْكَالِ الْأَدَبِيَّةِ الْأُخْرَى ، وَيَصْهَرُهَا فِي نَسِيجِهِ الْعَامِّ ، وَبِنَيْتِهِ الشَّامِلَةِ ، وَمِنْ التَّجَارِبِ الْبَارِزَةِ فِي هَذَا السِّيَاقِ : (النَّشِيدَةُ) لِعَلَاءِ عَبْدِ الْهَادِي (1956 -) ؛ حَيْثُ يَخْرُجُ فِيهَا عَلَاءٌ عَلَى إِطَارِ الْقَصِيدَةِ إِلَى آفَاقِ الشَّكْلِ الْمَفْتُوحِ ، وَشِعْرِيَّةِ الْكِتَابَةِ ، مُسْتَشْفِرًا فِي بَنَائِهَا أَنْوَاعًا أَدَبِيَّةً مُتَعَدِّدَةً ، تَشْمَلُ مُجْمَلِ الْكِتَابَةِ الْأَدَبِيَّةِ ، وَهِيَ : النَّثْرُ الْفَنِيُّ ، النَّثْرُ الصُّوفِيُّ الشَّعْرِيُّ ، الْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ ، الْمَسْرُحُ ، الشَّعْرُ ؛ بِتَجْلِيَّاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ، تَأْسِيسًا لِمَبْدَأٍ: وَحْدَةِ التَّجَرِبَةِ وَتَعَدُّدِ الْأَدَاءِ ؛ فَبِجَانِبِ إِمْكَانِيَّاتِ الشَّعْرِ الْمُخْتَلِفَةِ ، يَتَجَلَّى السَّرْدُ فِي خِبْرَاتِهِ الْكُبْرَى ؛ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ سَرْدٌ يُبَارِي أَدَاءَ النَّقْرِ ، وَيَتَّحِدُ بِهِ ، وَفِي الْمَقَامِ الثَّانِي سَرْدٌ يُنَاطِرُ (طُوقَ الْحَمَامَةِ) لِابْنِ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيِّ ، وَيُوظَّفُ فِيهِ نَصُوصًا شِعْرِيَّةً عَرَبِيَّةً أُيْرُوسِيَّةً ، وَفِي الْمَقَامَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ سَرْدٌ يُنَازِعُ سَرْدَ الْجَاحِظِ وَالتَّوْحِيدِيِّ ، وَيَسْتَشْمِرُ فِي مَجْرَاهُ الْكَثِيرَ مِنْ مَقُولَاتِ نَظَرِيَّةِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، وَأَيَّاتًا مِنْ عِيُونِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، وَفِي الْمَقَامِ الْأَخِيرِ سَرْدٌ يَنْتَمِي إِلَى أَدَبِ الْمَجْلِسِيَّاتِ ؛ وَبِخَاصَّةٍ : مَقَامَةِ الْقَرِيضِ لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ .

يُؤَدِّي النَّثْرُ الْخَالِصُ - دَاخِلَ الْبَنِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ الْكَامِلَةِ - أَدْوَارًا شِعْرِيَّةً مُتَعَدِّدَةً ، وَيَسْتَشْمِرُ النَّصُّ بِشَكْلِ أُسَاسِيٍّ ، تَقْنِيَّةَ الْمَقَامَاتِ ؛ حَيْثُ يَقُومُ النَّصُّ عَلَى بَطْلٍ وَرَاوِيَةٍ (38)، وَحَيْثُ تَتَعَانَقُ فِيهَا شِعْرِيَّةُ النَّثْرِ الْفَنِيِّ وَشِعْرِيَّةُ الْقَصِيدِ ، وَبَطْلُ الْمَقَامَةِ ، هُنَا ، لَيْسَ شَخْصِيَّةً غَيْرِيَّةً ، بَلْ (أَنَا) أُخْرَى ؛ قَرِيبٌ ، وَبَنِيَّةُ الْمَقَامَةِ ، هُنَا ، تَسْتَقِلُّ عَنْ عُنْصَرِ بِنَائِيٍّ أُسَاسِيٍّ فِي بِنَاءِ الْمَقَامَاتِ ، وَهُوَ الزُّخْرَفُ الْبَدِيعِيُّ ، وَبِخَاصَّةِ السَّجْعِ ، وَالْمَلَاخِظُ ، هُنَا ، إِطْلَاقُ مُصْطَلَحِ الْمَقَامِ ، وَهُوَ مَا يَسْتَدْعِي دَلَالَتَهُ الصُّوفِيَّةَ .

يَبْدَأُ كُلُّ مَقَامٍ ، بِسَرْدٍ شِعْرِيٍّ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى شِعْرِ التَّشْطِيرِ الْحُرِّ ؛ الْمَوْزُونِ أَوْ الْمَنْثُورِ ، وَيَتِمَّتْعُ كُلٌّ مِنَ السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ وَالتَّشْطِيرِ الْحُرِّ بِتَجْلِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ حَيْثُ تَتَّسِعُ الْبَنِيَّةُ الشَّعْرِيَّةُ

في (النَّشِيدَة) ، لمحاوَرَة التُّراثِ الصُّوفِيِّ وَالتُّراثِ النِّقَدِيِّ وَتُّراثِ العِشْقِ وَالتُّراثِ الشَّعْرِيِّ بِأَلْيَاتِهِ المتعدِّدة .

تتنوَّعُ تَجَلِّيَّاتُ الشَّعْرِ ، دَاخِلَ بِنْيَةِ (النَّشِيدَة) الشَّعْرِيَّة ؛ لِتَشْمَلَ تَصَانِيفَ الشَّعْرِ الْأَسَاسِيَّةِ المتوَاجِدَةِ في المَشْهَدِ الشَّعْرِيِّ ، كَمَا يَلِي :

- شِعْرُ الْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ الْكِلَاسِيِّ ، وَمِنْهُ رِثَاءُ الرَّائِيَةِ لِقَرِينِهِ فِي هَذَا النَّصِّ :

"رَيْثِكَ يَا قَرِينُ وَلَا أَصَادِي وَلَمْ أَكُ مِنْ جَفَاكَ ، وَلَمْ تُعَادِ
تُدْرِدُ دَقَقَةَ الشَّهَقَاتِ صَدْرِي وَكَمْ خَالَعْتُ فِي صَحْوِي رُقَادِي
لُمُعْتَلِّ اللِّسَانِ بَغِيرَ شَكْوٍ طَوَاهُ الْوَقْتِ يَأْتِي فِي سُهَادِي
فَكَانَتْ دَعْوَتِي لِلْقَاكِ شَوْقًا وَكَانَ فِرَاقُنَا وَصَلًا وَهَادِي
عَلَامَ تَحْضُنِي زَفَاتُ خَطْوٍ تُهَيِّجُ نَشِيدَتِي صَمًّا وَشَادِي
فَكَمْ يَتَوَارَى فِي التُّسَاكِ شَجْوُ وَكَمْ تَجَاهَلُ الْخُطُواتُ حَادِي" (39)

- شِعْرُ التَّفْعِيلَةِ ، المَعْتَمِدِ عَلَى تَكَرُّرِ التَّفْعِيلَةِ ، وَتَكَرُّرِ بَعْضِ الْحُرُوفِ ، وَاسْتِثْمَارِ الْفَرَاغِ ؛ لِإِبْرَازِ الْبُعْدِ الْإِيقَاعِيِّ لِلنَّصِّ :

"هِيَ ذِي . . . تَنَازَعُنِي الْفَضَاءُ

وَسَوْقُ لِي الْفَجَوَاتِ

تَمْلُؤُهَا الرُّؤْيُ !

هَذَا أَنَا الْمُبْسُوطُ

خَطَّ مَلَا حِمَا

هَلْ أُسْتَرِجُ كَمَا اسْتَرَّاحَ الْخَطُوفُ فِي شَبَقِ الدُّعَاءِ ؟

صَوْتِي يُعَقِّ حُلْمَهُ

فَوْقَ السَّمَاءِ . " (40)

- شِعْرُ النَّشْرِ الْحُرِّ *free verse* المَعْتَمِدِ عَلَى اسْتِثْمَارِ طَاقَاتِ النَّبْرِ ؛ لِإِبْرَازِ

الْإِيقَاعِ ، كَمَا يُسَاعِدُ عَلَى تَمْدِيدِ الْإِيقَاعِ عِلَاقَاتُ السُّطُورِ الشَّعْرِيَّةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ،

وَمِنْهُ : عِلَاقَةُ السَّبَبِيَّةِ ، أَوِ التَّيْجَةِ ، أَوِ الْعَظْفِ ، أَوِ التَّعْلِيلِ :

"كَمْ فَاحَ إِسْرَائِي بِفَضَائِحَ أَشْرَعَتْهَا الْمُمَكِّنَاتُ

فقبلت الأمانة
وتعاطني البلاد .
تغضنت نافذتي . . .
وأنا أرجع البصر . . إلى غيمة شاردة
أفتح قلبي . . بما دسسته التباريح . .
فيدخل قلبي غرابٌ ،
كتب نبوءته بريشتين من صراخ ،
وما تبقي في العروق
تماهيت داخلتي . " (41)

- شعر التشدير والصقاع اللغوي المقطر :

"يشدني جسدي إلى
وما مددت له يدي ! " (42)

"هذي قدم
يعرق من تعبي فيها الغيم . " (43)

- شعر النثر الذي يعتمد التفصيلية واليومى المعيش :

"مرت دقيقتان
تأخرت عن التوقيع " قليلاً . . .
سيوقع لي صديقي
صباحاً جديداً . . . ! " (44)

"حَارَةٌ مُسْعِدٌ" تَمْشِطُ هَوَاءَ "مايو".

الْبَقَالُ يُرْتَبُّ أَحْلَامُهُ

بَعْضُ الْغُبَارِ الْمُنْدَى تَقْذِفُهُ مِيَاهُ الْمَحَالِ

وَالْحَارَةُ تَحْتَ قَاطِنِهَا عَلَى الْمَكُوثِ

تَخْلُقُ حِكْمَتَهَا بِحِكَايَاتٍ شَائِعَةٍ . . .

عَنْ الْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا !. " (45)

- شِعْرُ النَّشْرِ الْمَتَدَفِّقِ الْجَمَلِ وَالْإِيْقَاعِ غَيْرِ الْمَقْطَعِ *Prose Poem* ، وَمِنْهُ هَذَا النَّصُّ ، ذُو
النَّبَرَةِ الرَّخِيَّةِ الْعَمِيقَةِ ؛ الْمَتَشَبِّعَةِ بِلُغَةِ النَّفَرِيِّ :

"لَا تَصِحُّ الْمُحَادَثَةُ إِلَّا بَيْنَ نَاطِقٍ وَصَامِتٍ . الْعِلْمُ الْمُسْتَقَرُّ هُوَ الْجَهْلُ الْمُسْتَقَرُّ . الْجَهْلُ حَدُّ

فِي الْعِلْمِ ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي مَا فِيهَا جَهْلٌ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي مَا فِيهَا مَعْرِفَةٌ . فَاحْمِلْ عِلْمَكَ فِي

تَعْلَمِكَ ، فَإِذَا عِلْمُهُ فَالِقٌ مَا مَعَكَ . أَغْدَى عَدُوٌّ لَكَ إِنَّمَا يُحَاوِلُ إِخْرَاجَكَ مِنَ الْجَهْلِ لَا مِنَ

الْعِلْمِ . . لِأَنَّ الْعَالِمَ يَرَى عِلْمَهُ وَلَا يَرَى الْمَعْرِفَةَ ، فَإِنْ لَمْ تَرْتَبِ وَرَاءَ الضِّدِّينِ رُؤْيَةً وَاحِدَةً ، لَمْ

تَعْرِفْنِي . " (46)

هَكَذَا تَتَوَاشَجُّ الْأَنْوَاعُ الْأَدَبِيَّةُ دَاخِلَ الْبَنِيَّةِ الشَّعْرِيَّةِ الْكُبْرَى ، وَتَتَعَدَّدُ التَّجَلِّيَّاتُ ، فِي فِضَاءِ
نَصِّ جَامِعٍ ، مَفْتُوحٍ بِجِهَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ عَلَى الْأَنْحَاءِ .

جَسَدَانِيَّةُ الذَّاتِ الْفَرْدِيَّةِ

كَانَ الْجَسَدُ الْإِنْسَانِيُّ فِي شِعْرِيَّةِ الْحَدَاثَةِ كَائِنًا فَلَسْفِيًّا ، أَوْ أَيْدِلُوجِيًّا ، وَمَعَ شِعْرِيَّةِ مَا بَعْدَ

الْحَدَاثَةِ اسْتِعَادَ حَقِيقَتَهُ الْبِيُولُوجِيَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ ؛ لِيُصْبِحَ كَائِنًا مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ ، وَخَوَاسٍ ، وَكَانَتْ

الذَّاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ ذَاتًا كُلِّيَّةً جَمْعِيَّةً ؛ ذَاتَ رُؤْيٍ مُطْلَقَةٍ وَمَعْرِفِيَّةٍ شَامِلَةٍ ، وَمَعَ شِعْرِيَّةِ مَا بَعْدَ

الْحَدَاثَةِ أَصْبَحَتْ ذَاتًا فَرْدِيَّةً عَادِيَّةً ؛ لَا تَدَّعِي أَكْثَرَ مَا تَكُونُ بِالْفِعْلِ وَمَا تَمْلِكُهُ حَقِيقَةٌ ، لَا

تَهْرُبُ مِنْ إِنْسَانِيَّتِهَا وَصَوَاتِهَا وَإِحْبَاطَاتِهَا وَتَشَوُّقَاتِهَا وَانْكِسَارَاتِهَا إِلَى آفَاقٍ تَخِيلِيَّةٍ وَمَعْرِفِيَّةٍ ،

وَلَا تَتَكَلَّمُ لُغَةَ الْجَسَدِ ، وَلَا تَحْجُبُ تَطَوُّحَاتِهِ وَإِشْرَاقَاتِهِ وَصَوَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةَ .

إِنَّ اسْتِعَادَةَ إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ زِحَامِ التَّشْكِيلَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْمَجَازِيَّةِ ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَى مَا هُوَ

جَسَدِيٌّ وَمَعِيشٌ فِي التَّجَرُّبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، فِي طَلِيعَةِ اشْتِغَالَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الرَّاهِنَةِ ، وَقَدْ تَعَالَقَ

تحرُّرُ الإنسانِي بتحرُّرِ الشَّعْرِي مِنْ شَتَّى المفاهيمِ والمحدِّداتِ الشَّعْرِيَّةِ ، في خطَابِ شِعْرِيٍّ
حرٍّ ؛ تتجسَّدُ فيه حُرِّيَّةُ الذَّاتِ الإنسانِيَّةِ .
وقَدْ تبدَّتْ خصوصِيَّةُ هَذِهِ الذَّاتِ على محورَيْنِ رَئِيسِيَيْنِ مُتكامِلَيْنِ ، يحفظانِ لَهَا خصوصِيَّتَهَا
الخالصةَ ، هُما :

- الفضاء الإيروسي .

- التاريخ الطفولي الشخصي .

فَعَلَى المَحْوَرِ الأوَّلِ : الفضاء الإيروسي

رَكَزْتُ مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ على تحريرِ الجسدِ مِنْ آليَّاتِ القمعِ المضْرُوبَةِ حَوْلَهُ ، وَالْكَشْفِ عَنْ
صَوْتِهِ السَّرِيِّ وَتَوَقُّدِهِ الجَنَسِيِّ ، وَكَانَ هَذَا التَّركِيزُ جزءًا مِنْ اهْتِمَامِهَا بِالْمَعِيشِ وَالْيَوْمِيِّ
وَالْحَيَاتِيِّ وَالشَّخْصِيِّ ؛ فَالْبُعْدُ الجَنَسِيُّ أَحَدُ الأبعادِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلْجَسَدِ ، وَيَقِفُ وَرَاءَ الكَثِيرِ مِنْ
صورِ الفِعْلِ الإنسانِيِّ عَامَّةً .

يَتَعَامَلُ شَاعِرُ مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ مَعَ فِعْلِ الجَنَسِ بِاعْتِبَارِهِ فِعْلاً إنسانِيًّا طَبِيعِيًّا خَالِصًا ، مِنْ أَحْدَاثِ
الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ الحَمِيمَةِ ، ضِمْنَ تفاصيلِ حَيَاتِيَّةٍ عَادِيَّةٍ أُخْرَى .

تَتَكَاشَفُ الذَّاتُ الشَّعْرِيَّةُ ، هُنَا ، فِي نَبْرَةٍ حَمِيمَةٍ وَخَالِصَةِ الصَّدْقِ ، وَلَا تَسْعَى إِلَى الاتِّجَارِ
الرَّخِيسِ بِالثَّقَافَةِ الجَنَسِيَّةِ ، أَوْ إِثَارَةِ بعضِ المحرومينِ وَالْمَكْبُوتِينَ وَالْمَحْبُطِينَ ، وَلَكِنَّهَا تَسْعَى
إِلَى القَبْضِ على صورِ إنسانِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ ، ظَلَّ الفَنُّ سَاكِنًا عَنْهَا طَوِيلًا ، وَنَابِذًا لَهَا ، نَقَرًا لِأَحْمَدَ
يَمَانِي (1970 -) هَذَا المَقْطَعُ :

"كُلُّ أسْبُوعٍ فِي سُوْقِ الثَّلَاثِ

طُرُقٌ طَوِيلَةٌ مَلِيَّةٌ بِالنِّسَاءِ ، أَتَحَرَّكُ فِي الوَسْطِ

وَأُتْرِكُ لِيَدِي الْيُمْنَى أَنْ تَسْقُطَ

على الأُرْدَافِ المُنْتَصِبَةِ ، طَرِيَّةٌ وَمُنْتَصِبَةٌ ،

مُحَدَّدَةٌ جَدًّا وَمَائِيَّةٌ جَدًّا ،

هَذَا مَا أَحْبَبُهُ تَمَامًا

أَتَحَرَّكُ لِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ

وَأَعُودُ مُحَمَّلًا بِآلَافِ الصُّوَرِ

التي أستخدمُها لترطيب خيالي ،
وإثارة عضوي متوسط الحجم
كي يُقذف ملايين النساء من فتحه الصغيرة . " (47)
ولياسر عبد اللطيف (1969-) ، هذا النص ، بعنوان : " الحاملة " :

"لأن لها تاريخاً طويلاً من الاستمناء
كانت إذا تعين لها الجنس
تُبقي عينيها مفتوحتين تحت حمى القبلات
وأثناء المضاجعات المبتورة
تُبقي عينيها مفتوحتين لالتهاماً للحظة
وإنما اخترنا لها ؛ لئلا تسنى لها استدعاؤها
في لحظات الوحدة المطلقة . " (48)

وكثيراً ما تتكاشف هذه الذات في اعترافات ، تكشف فيها انتهائاتها وخروقاتها لكل ما يُحَدُّ
من أشواقها وصواتها ، ومن ذلك هذا المجتزأ لأسامة الدناصري (1960 - 2007) :

"سامحيني يا صديقتي
لأنني طوال حديثنا
وكلما طرقت عينك
كنت أختلس نظرة سريعة إلى جزء منك :
منبت الشعر المائل قليلاً
إلى أعلى يمين الجبهة
إثر جرح قديم في الخد .
سيولة الكف العاري
وحين ذهبتي إلى دورة المياه
كنت أبكي وأنا أرى جسدك الصغير
يمرق من بين الموائد

هَلْ يَجِبُ أَنْ أَخْبِرُكَ

أَنْيَ لَمْ أَتَعَمَّدْ لَمْسَ ذِرَاعِكَ وَأَنَا أَشْعَلُ لَكَ السَّيْجَارَةَ ؟

لَكِنِّي أَقُولُ لَكَ :

إِنَّ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ الثَّمِينَةَ

جَعَلْتُ بَقِيَّةَ أَعْضَائِي تَبْتَهَلُ طِيلَةَ السَّهَرَةِ

شَاكِرَةً لِيَدِي الْيُسْرَى . " (49)

وَعَلَى الْمَحْوَرِ الثَّانِي ؛ التَّارِيخُ الطُّفُولِيُّ الشَّخْصِيَّ

شَدَّدْتُ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ عَلَى مَرَحَلَةِ الطُّفُولَةِ ، ضِمْنَ تَرْكِيزِهَا عَلَى الْإِنْسَانِيِّ وَالشَّخْصِيِّ وَالْحَمِيمِ . لَقَدْ كَانَ الْإِنْسَانُ ، فِي الْحَدَاثَةِ كَانِنًا مَعْرِفِيًا ابِستمولوجيًا - وَكَانَ مِنْ قَبْلُ كَانِنًا أَيْدِلُوجِيًا - وَمَعَ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَعِيدَ حَقِيقَتَهُ كَكَائِنٍ بَشَرِيٍّ ؛ ذِي حَيَاةٍ حَقِيقَةٍ فِعْلِيَّةٍ ، وَمَرَحَلَةُ الطُّفُولَةِ مِنْ أَهَمِّ مَرَاحِلِ الْحَيَاةِ ؛ فِيهَا يَتِمُّ اكْتِشَافُ الْعَالَمِ ، وَالْإِصْطِدَامُ بِسُلْطَاتِهِ وَآلِيَّاتِهِ الْقَمْعِيَّةِ ، فِيهَا الْبَرَاءَةُ وَالْبَسَاطَةُ وَالرَّهَافَةُ ، كَثِيرُونَ حَاوَلُوا أَنْ يَبْلُغُوا أَفْقَ الطُّفُولَةِ وَيُحَلِّقُوا فِيهِ وَيَتَمَاهَوْا دَاخِلَهُ ، وَيَتَبَنَّوْا رُؤْيَا الطُّفُولَةِ لِلْعَالَمِ ، وَتَمَرَّدَهَا الْإِنْسَانِيَّ الْبَسِيطَ عَلَى السُّلْطَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمَضْرُوبَةِ حَوْلَهَا ، وَاكْتِشَافَهَا الْمَفَارِقَاتِ ، وَمِنْ هَذِهِ الشَّعْرِيَّةِ هَذَا الْمَجْتَزُّ لِيَاسِرِ عَبْدِ اللَّطِيفِ :

"فِي حَيَاتِنَا الصَّغِيرِ ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سِوَى طَبِيبٍ وَاحِدٍ ،

يُعَالِجُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْمَرْضَى

وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَجَاوِزُ دَوْرَهُ كَطَبِيبٍ ؛

لِيَقُومَ بِدَوْرِ الْمَصْلَحِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَالْوَاعِظِ الْأَخْلَاقِيِّ . وَكَانَتْ أَيَْادِيهِ الْبَيْضَاءُ عَلَى كُلِّ

بَابٍ مِنْ بُيُوتِ الْحَيِّ ؛ لِلْحَدِّ الَّذِي جَعَلَ الْمُدْرَسِينَ يُشِيدُونَ بِهِ فِي بَدَايَاتِ الدَّرُوسِ ، وَلِإِمَامِ

الْمَسْجِدِ طَالَمَا دَعَا لَهُ عَلَى مِنْبَرِ الْجُمُعَةِ ، لَكِنِّي أَبْدًا لَمْ أَقْتَنِعْ بِعَاقِبِهِ ، وَفَائِدَتُهُ الْوَحِيدَةُ

بِالنَّسَبَةِ لِي فِي حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ يُلَخِّصُ فِيهِ مَعْنَى الْحَيَاةِ لِعَجُوزٍ تَبِيعَ الْوَرْدَ بِجَانِبِ

سُورِ الْمَدْرَسَةِ وَمَا زِلْتُ أُحْتَفِظُ لَهُ بِصُورَةٍ طَرِيفَةٍ التَّقَطَّهَا لَنَا أَبِي خِلَالَ زِيَارَةِ الطَّبِيبِ
لِمُنَزِّلِنَا بِسَبَبِ إِحْدَى وَعَكَاتِي الطُّفُولِيَّةِ .

كُنْتُ فِيهَا أَجْذِبُ لِحَيْثِهِ الصَّغِيرَةِ ، وَهُوَ يَقُومُ بِتَمْرِضِي فِي طُقُسٍ مِنْ طُقُوسِهِ غَيْرِ
الْمُجْدِيَّةِ . " (50)

وَمِنْ هَذِهِ الشَّعْرِيَّةِ ، أَيْضًا ، هَذَا الْمَجْتَزَأُ لَهْدِي حَسِين (1972 -) :

" تَدِينُ لِي مَدْرَسَةُ الرَّاهِبَاتِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا مِنْ الْقُدُوةِ الْحَسَنَةِ فِي الْإِذَاعَةِ الْمَدْرَسِيَّةِ ،
وَأَنْزَعَا جِ أَيْلَهُ عِنْدَمَا تُوكِّدُ إِحْدَى الطَّالِبَاتِ أَنَّ الزِّي الْمَدْرَسِيَّ يَجِبُ اخْتِرَاقُهُ بِشَكْلِ مَا ،
وَأَرْبَعَةَ أَعْوَامٍ قَايِضَتْنِي بِهَا الْجَامِعَةُ رُتَّةً تَوْهَلُنِي لِامْتِصَاصِ غُبَارٍ أَشَدَّ ، وَلِلْحَنِينِ إِلَى
أَصْدِقَاءِ الطُّفُولَةِ الَّذِينَ مَا زِلْتُ أَسْمَاؤُهُمْ مُحْفُورَةً عَلَى أَبْوَابِ حَمَامَاتِ الْمَدْرَسَةِ ،
وَالَّذِينَ تَسَاقَطُوا الْآنَ فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ فِي أَكْيَاسٍ لِلتَّبَوُّلِ اللَّارَادِيِّ ، سَتَطْرُبُ الْعَجَائِزُ
الْمُتَصَابِيَاتُ لِاِكْتِشَافِ عَطُورِهِنَّ فِي ذِكُورَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَتَقَافَزَ مِنْ فَتَحَاتِ مِنَ السَّرَاوِيلِ ،
تَمَامًا ، كَانْفَالَتَهُمْ مِنْ فَتَحَاتِ السُّورِ الْمَدْرَسِيِّ . " (51)

وَلَدَى الْبَعْضِ كَانَ الْكَثِيرُ مِنْ اسْتِحْضَارِ عَوَالِمِ الطُّفُولَةِ ؛ بِتَفَاصِيلِهِ الْبَسِيطَةِ الدَّقِيقَةِ غَيْرِ بَرِيءٍ
تَمَامًا ؛ حَيْثُ وَقَفْتُ الرُّؤْيَا السَّرْدِيَّةُ لِلشَّاعِرِ السَّارِدِ ، أحيانًا ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَشْهَدِ الطُّفُولَةِ
الْمُسْتَعَادِ ، وَحَافَظْتُ عَلَى وَجُودِ الْمَسَافَةِ الزَّمَنِيَّةِ بَيْنَهُمَا ، وَفِي أَفْضَلِ الْحَالَاتِ كَانَتْ الذَّاتُ
السَّارِدَةُ تَتَوَحَّدُ مَعَ الذَّاتِ الطُّفُولِيَّةِ ، وَتُلْغِي هَذِهِ الْمَسَافَةَ ، وَتَتَجَنَّبُ أَيَّ وَصَايَةٍ عَلَى فِعْلِهَا
أَوْ بَثِّ أَيِّ رِسَالَةٍ ، فَقَطُّ كَانَتْ تَكْتَفِي بِاخْتِيَارِ الْمَوْقِفِ الدَّالِّ وَعَرْضِهِ .

وَكَثِيرًا مَا تُتِيحُ الرُّؤْيَا السَّرْدِيَّةُ الطُّفُولِيَّةُ لِلشَّاعِرِ ، التَّعْبِيرَ عَنْ مَوْقِفِ الشَّاعِرِ السَّارِدِ مِنْ عَالَمِ
الْكِبَارِ وَتَحْدِيدِهِ الدَّائِمَ لَهُ ، وَمُقَاوَمَتِهِمْ ، وَمُرَاوَعَتِهِمْ أحيانًا . وَمِنْ ذَلِكَ هَذَا الْمَجْتَزَأُ لِإِيْمَانِ
مِرْسَال : (1966 -) :

" رُبَّمَا الشُّبَاكَ الَّذِي كُنْتُ أَجْلِسُ بِجَانِبِهِ

كَانَ يَعْذُنِي بِمَجْدٍ غَيْرِ عَادِيٍّ

كُنْتُ عَلَى كُرَاسَاتِي

إِيْمَانِ . . .

طالبةٌ بِمَدْرَسَةٍ : إيمان مِرْسَالِ الابتدائية
وَلَمْ تَسْتَطِعْ عَصَا المَدْرَسِ الطويلِ ،
وَالا الضَّحَكَاتُ الَّتِي تَنْطَبِئُ مِنَ الدَّكَاتِ الخَلْفِيَّةِ ،
أَنْ تُسَيِّبَنِي الأَمْرَ
فَكَرْتُ أَنْ أُسَمِّي شَارِعَنَا بِاسْمِي
شَرْطَ تَوْسِيعِ بَيْوتِهِ
وَأَقَامَةِ عَرَفٍ سَرِيَّةٍ
بِمَا يَسْمَحُ لِأَصْدِقَائِي بِالتَّدْخِينِ دَاخِلَ أَسْرَتِهِمْ ،
دُونَ أَنْ يَرَاهُمْ أَخُوهُمْ الكَبَارُ . " (52)

وَيُلاحِظُ أَنَّ الشَّاعِرَ - فِي هَذِهِ الشَّعْرِيَّةِ - يُرَكِّزُ عَلَى الجَسَدِ كَمَا يَعْرِفُهُ ، وَكَمَا يُعَايِشُهُ ، لَا
كَمَا اسْتَوْعَبَهُ عَنْ طَرِيقِ المِثَاقَةِ ، كَمَا أَنَّ اخْتِفَاءَهُ بِالطُّفُولَةِ ، تَشَبُّهُ بِحَيَوَاتٍ يُجَاهِدُ كَيْ لَا
تُفْلِتَ مِنْهُ وَتَتَلَاشَى .

جَمَالِيَّاتُ القُبْحِ

وَاجَهَتْ مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ النَّزْوَعِ إِلَى المَقْدَسِ وَالسَّامِيِّ وَالنُّجُوبِيِّ ، بِالتَّرْكِيزِ عَلَى المَهْمَلِ
وَالْمَهْمَشِينَ وَالبُسْطَاءِ ؛ فَكَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الشُّعَارِ الَّذِي رَفَعَتْهُ جَمَاعَةُ (الفَنِّ وَالْحُرِّيَّةِ) - فِي
أَوَاخِرِ الثَّلَاثِينَاتِ : " يَحْيَا الفَنُّ المُنْحَطُّ " ، وَلِحَالَةِ رَامِبُو (1854 - 1891) ، حِينَ خَطَّ فِي
(فَصَل فِي الجَحِيمِ) :

"ذَاتَ مَسَاءٍ أَجْلَسْتُ الجَمَالَ عَلَى حِجْرِي ، فَوَجَدْتُهُ حَامِضًا ، فَرَمَيْتُهُ ،
تَسَلَّحْتُ ضِدَّ العَدَالَةِ ."

يُوجِهُ الشَّاعِرُ هَذَا الجَمَالَ الحَامِضَ ، بِجَمَالِيَّاتٍ مُضَادَّةٍ ؛ تَقُومُ بِوَحْزٍ أَحَاسِيْسِهِ ، وَتَحْدِي
ذَاتِقَتَهُ ، وَانْتِهَاكِهَا ، بِاشْتِغَالِهَا عَلَى عَالَمِ القُبْحِ ؛ بِتَفَاصِيلِهِ الواقِعِيَّةِ المُنْقَطَةِ وَالمُسْكُوتِ
عَنْهَا ، وَتَرْكِيزِهَا عَلَى تَفَاصِيلِ البُسْطَاءِ وَالْمَهْمَشِينَ وَالمُسْحُوقِينَ ، وَهَذِهِ الجَمَالِيَّاتُ
المُضَادَّةُ مِنْ أُبْرَزِ الأَسْلِحَةِ الجَمَالِيَّةِ ، الَّتِي وَاجَهَتْ بِهَا مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ جَمَالِيَّاتِ النُّخْبَةِ

السَّامِيَّةِ الْفَاسِدَةِ ، طَعْنَا فِي ذَانِقَتِهَا ، وَرَفَعْنَا لِعَالَمٍ آخَرَ ، وَحَيَوَاتٍ أُخْرَى ، فِي مُوَاجَهَةِ عَالَمِهَا وَحَيَوَاتِهَا .

لَا يَنْتَهِكُ الشَّعْرُ ، هُنَا ، النَّمُودَجَ الشَّعْرِيَّ الْمَكْرَسَ فَقَطْ ؛ وَإِنَّمَا يَنْخَطُّهُ إِلَى كَسْرِ هَذِهِ الذَّائِقَةِ الْجَمَاعِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ ، بِاسْتِخْدَامِ مَا أَسْقَطَهُ الْمُجْتَمَعُ ، اسْتِخْدَامًا جَدِيدًا وَمُفَارَقًا ؛ فَقَصِيدَةُ النَّثْرِ لَمْ تَخْرُجْ ، فَقَطْ عَلَى النَّظَامِ الشَّعْرِيِّ السَّابِقِ ؛ لِتَحْقِيقِ نِظَامِهَا الْخَاصِّ ، وَإِنَّمَا اتَّخَذَ الْخُرُوجُ شَكْلًا أَوْسَعَ ، يَتَعَدَّى النَّمَطَ الشَّعْرِيَّ ، إِلَى الْخُرُوجِ عَلَى سَائِرِ "الطُّرُقِ الْمَمْهَدَةِ" شُعُورِيًّا وَفِكْرِيًّا ، وَتَقْدِيمِ رُؤْيَا مُخَالَفَةٍ لِلْعَالَمِ ، خَارِجَةً عَلَى أَخْلَاقِيَّاتِهِ وَقَوَانِينِهِ ، جَارِحَةً لِحَسِّهِ الْعَامِّ وَمُسَيِّلَةً لِدَمِهِ لَا لِذِمُّوَعِهِ فَحَسَبَ. " (53)

وَهَكَذَا جَعَلَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ثَوْرَتَهَا الشَّعْرِيَّةَ جُزْءًا ، وَعَلَامَةً ، عَلَى ثَوْرَةِ أَشْمَلٍ ؛ تَشْمَلُ الْحَسَّ الْعَامَّ الْمَهْيَمِينَ بِأَخْلَاقِيَّاتِهِ الْمَرْكَزِيَّةِ وَمَحْظُورَاتِهِ الصَّارِمَةِ .

وَهَذَا نَصٌّ لِهَدْيِ حُسَيْنٍ ، بِعَنْوَانٍ : " مُتْعَةُ التَّأْمُلِ " :

"العيونُ التي حَوَّلِي - كَانَهَا طَحَالِبُ مَيَّةُ"

تَسِيلُ بَعْضَ عَلَى وَجْهِ الْمَارَةِ

أَسْتَطِيعُ الْآنَ بَوَاقِحَةً أَنْ أَثْبِتَ عَيْنِي

عَلَى سَرَائِلِهِمْ وَأَتَقَوَّهَ بِكَلِمَاتٍ بَذِيَّةٍ . " (54)

وَهَكَذَا لَمْ تَجِدْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ غَضَاضَةً فِي اسْتِعْمَالِ الْقَبِيحِ وَتَشْفِيرِهِ ، وَتَحْمِيلِهِ بِالرَّسَالَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَقَدْ تَخَيَّرَ الشَّاعِرُ إِبْهَابَ خَلِيفَةِ (1973 -) ، الصَّرَاصِيرَ ؛ لِيَجْعَلَهَا رَمْزًا ، وَيُحْمَلُهَا رِسَالَةً شِعْرِيَّةً سَامِيَّةً ؛ تَتَضَمَّنُ مُقَاوَمَةَ الْجَمَاعَةِ الْفَاسِدَةِ ، فِي نَصِّهِ : "ثَوْرَةُ الصَّرَاصِيرِ" ، وَمِنْهُ :

- 1 -

أَيُّهَا الْأَفْنَدِيَّةُ

لَا تَقْبَلُوا إِهَانَاتٍ أَكْثَرَ

وَلَكِنْ لَدَيْنَا الْعَزِيمَةُ لِرُدْعِ أَيِّ مُبِيدَاتٍ

كُلُّ يَوْمٍ تَزْدَادُ تَحَرُّشَاتُ الْبَشَرِ

كُلُّ يَوْمٍ يَمُوتُ مِنْ خَيْرَةِ أَبْنَائِنَا

صَرُصُورٌ وَاعِدٌ .

اطَّلَعْنَا عَلَى وَسَاخَاتِ الْبَشَرِ
وَنَعْمَلُ كُلَّجَنَّةٍ نَقْتِشُ عَلَى قَدَارَاتِهِمْ
لِنَفْهَمَ سِرَّ أَنْ يُعْزَلَ الْإِنْسَانُ يُرَازَهُ
وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ لَا يَتَصَلُّ مِنَ الْقَتْلِ أَوِ الْكَذِبِ
تَوَاجَدْنَا فِي الْبَالُوعَاتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ طُلَّابَ عِلْمٍ
وَلَيْسَ صَحِيحًا أَنَّا نُحِبُّ الْكَرِيهَ مِنَ الرَّوَاحِ
وَلَكِنْ نَحْنُ عُلَمَاءُ
نُجْرِي تَجَارِبَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا
أَوَّلًا بَأَوَّلٍ . " (55)

على هَذَا النِّحْوِ الْإِنْتِقَامِيَّ يُوَاجِهُ شَاعِرُ الْمَشْهَدِ الْمَهْمَشِ وَاقِعَهُ الشَّائِنَةَ ، وَيُبَادِلُهُ طَعْنًا بِطَعْنٍ
، وَاشْمِئزَازًا بِاشْمِئزَازٍ ؛ يَنْتَقِي رُمُوزَهُ الصَّادِمَةَ ، مِنْ وَاقِعِهِ الْمَهْمَشِ الْمَنْبُودِ ، بِأَشَدِّ مَا اصْطَلَحَ
عَلَى تَصْنِيفِهِ بِالْقُبْحِ ، وَيُحَدِّدُ مَوْقِفَهُ مِنَ الْوَاقِعِ الْمَرْكَزِيِّ وَالْكِتَابَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ ؛
فِيُجَابِهِ الْقِيَمَ الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالذَّائِقَةَ الْمَجْتَمِعِيَّةَ ، فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ الَّذِي يُوَاجِهُ الْقِيَمَ الْجَمَالِيَّةَ
وَالْفِكْرِيَّةَ الْمَهْمِنَةَ عَلَى خِطَابِهِ ، بِقِيَمٍ وَآلِيَّاتٍ بَدِيلَةٍ ؛ فَيَجْعَلُ الْوَضِيعَ سَامِيًا وَالسَّامِيَّ وَضِيعًا
، وَاللَّإِنْسَانِيَّ إِنْسَانِيًّا ، كَمَا فِي هَذَا النَّصِّ ، لِمَاهِرِ صَبْرِي (1969-) ، بِعِنَاوَانِ : " لِمَنْ
يُرَبَّتُ عَلَى ظَهْرِهِ " :

"كَلْبٌ أَجْرَبُ"

فِي حَاجَةٍ لِمَنْ يُرَبَّتُ عَلَى ظَهْرِهِ

يَقِفُ تَحْتَ الْأَمْطَارِ

يَزِيدُهُ الْبَلَلُ قُبْحًا

يَسْتَجِدِي حُبًّا . . وَيَتَذَكَّرُ

يَقْتَرِبُ مِنَ الْأَقْدَامِ
يَلْتَمِسُ حَرَارَةَ الْأَجْسَادِ
تَصْرُخُ امْرَأَةٌ فِي هَلَعٍ
فَيَجْرِي إِلَى الشَّارِعِ الْمُظْلَمِ
خَوْفًا مِنَ الْعِصِيِّ
وَأَحْجَارِ الصَّبِيَّانِ

بِحُكَّارِ جِدَارٍ خَشِنٍ
وَقَفَ يَسْتَعْطِفُ الْأَحْجَارَ
يَحْكُ جَسَدَهُ الْمَتَاكِلَ
وَيَتَذَكَّرُ
لَكِنَّهُ لَمْ يُعِدْ يَتَذَكَّرُ
سِوَى الشَّعْرِ الْمَتَسَاقِطِ
مِنَ الْجَسَدِ

الَّذِي هُوَ فِي حَاجَةٍ لِمَنْ يُرَبِّتُ عَلَيْهِ . " (56)

وَعَلَى الْمَحْوَرِ نَفْسِهِ اتَّخَذَ الشَّاعِرُ الْبَهَاءُ حَسِين (1969 -) الْكِلَابَ رَمْزًا شِعْرِيًّا ، يُحْمَلُهُ
دَلَالَاتٍ جَدِيدَةً ، وَعَدِيدَةً ، كَمَا نَجِدُ فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعِ الثَّلَاثَةِ :

" الْكِلَابُ "

لَا تَعْنِيهِمُ الشُّهُرَةُ
أَنَا شَخْصِيًّا لَا تَعْنِينِي كَثِيرًا
إِنَّمَا الْوَحْدَةُ الَّتِي تَرْنُ
فِي عَيُونِنَا
رَبِّينَا أَجُوفَ .

الْوَحْدَةُ الْكَلْبَةُ الَّتِي تَرْتَقِرُ فِي الضَّمِيرِ . "

"لَكِنَّ أَبِي
أَوْصَانِي أَنْ أُقِيمَ اخْتِفَالاً مَهِيْبًا لَهُ
بَشْرَطِ الْأَدْعُو الْكِلَابَ
الَّتِي يَتَعَفَّفُ حَتَّى عَنْ ذِكْرِ اسْمِهَا
أَوْصَانِي أَنْ أُطَارِدَهَا
تَبَّالَهَا
الْكِلَابُ الَّتِي وَقَعَتْ فِي حُبِّ النُّجُومِ
وَأَبِي لِلْأَسْفِ لَا يُحِبُّ النُّجُومَ ."

"أُمِّي الْكَلْبَةُ بَدَأَتْ تَلْعَبُ بِذُنُوبِهَا . " (57)

يَسْتَعْدِمُ شَاعِرُ الْهَامِشِ الشَّعْرِيَّ وَالْحَيَاتِيَّ ، جَمَالِيَّاتِهِ الْمَعِيشَةُ الْمَضَادَّةُ ؛ لِيُعَبِّرَ بِهَا عَنْ
أَحَاسِيسِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَحَيَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، بِأَشْيَائِهِ الْحَقِيقِيَّةِ ، يَكْتُبُ صَبْحِي مُوسَى (1972 -)

:

"لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الشَّعْرَ أَكْثَرَ مِنَّا ، وَلَا أَحَدٌ يُصَدِّقُ أَنَّنا نقولُ شعراً أفضلَ ممَّا يقولُهُ
الْعُظَمَاءُ ، لَيْسَ لَأَنَّا نَمْلِكُ مَا يَمْلِكُونَهُ مِنَ اللُّغَةِ ، وَلَكِنْ لَأَنَّا نَمْلِكُ الْمَعَانَا ، فَهَذَا فِي تِلْكَ
الضَّوَاهِي النَّائِمَةِ عَلَى حُدُودِ الْمَدِينَةِ ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَقْبِضَ عَلَى الشَّعْرِ فِي أَنْبُوبَةِ الصَّرْفِ ،
فِي الْجُدْرَانِ الَّتِي تَهَالَكَتْ مِنَ الرَّشْحِ فِي الْعَرَبَاتِ الْحَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى خَطٍّ
مِلَاحِيٍّ لِنَقْلُنَا وَسَطَ الْغَائِطِ ، فِي رِصَاصِهَا الَّذِي نَعُودُ بِهِ إِلَى بِيوتِنَا كُلِّ يَوْمٍ كَأَنَّا عُمَالٌ
مَحَاجِرٍ ، هُنَا لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الشَّعْرَ سِوَانَا ، لَأَنَّا نَطْرُبُ لَصَوْتِ شَعْبَانَ عَبْدِ الرَّحِيمِ ،
وَنَسْعَدُ بِجُودِ النَّابِئِينَ أَبْنَاءِ الْمَجَاعَاتِ ، وَنُحَدِّثُ الرَّاحِلِينَ الَّذِينَ اضْطَرُّرْنَا لِلْإِقَامَةِ
مَعَهُمْ . " (58)

إِنَّ السَّعْيَ إِلَى انْتِهَاكَ قَوَاعِدِ الْجَمِيلِ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ ، بِاسْتِخْدَامِ الْقُبْحِ ، يُذَكِّرُ
بِالدَّادِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ أَوَّلَ ثَوْرَةٍ ضِدَّ الْفَنِّ الْقَائِمِ ، وَضِدَّ قَوَانِينِهِ الْإِبْدَاعِيَّةِ الْمَهْمِيَّةِ ؛ حَيْثُ

تَوَالَتْ صَدَمَاتُهَا لِلذَّوقِ الْفَنِيِّ ، وَقَوَاعِدِ الْفَنِّ ، وَالذَّائِقَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ؛ فَتَوَسَّعَ مُصَوِّرُهَا فِي رَسْمِ الْقَادُورَاتِ وَالْفَضَلَاتِ وَالْمُسْتَهْلَكَاتِ ، وَشَكَّلُوا مِنْهَا أَعْمَالَهُمُ الْفَنِّيَّةَ ، كَمَا أَكَّدُوا ثَوْرَتَهُمْ عَلَى تَقَالِيدِ الْفَنِّ ، حِينَ وَضَعَ مَارْسِيل دُوشَامْب شَارِبًا لِلْمُونَالِيزَا ، وَحِينَ وَضَعَ مَبُولَةَ حَمَّامٍ فِي قَاعَةِ الْعَرْضِ⁽⁵⁹⁾ . لَقَدْ كَانَ الْهَدَفُ الْأَوْضَحُ لِلدَّادِيَّةِ " تَحْطِيمَ الصُّورَةِ الْقَائِمَةِ وَخَرْقَ التَّابُو الْجَمَالِيِّ السَّائِدِ الَّذِي يَعْتَقِدُ فِيهِ الْجَمِيعُ "⁽⁶⁰⁾ ، وَقَدْ أَعْقَبَتِ الدَّادِيَّةُ جَمَاعَاتُ مُتَوَالِيَةِ تُرْسُخٍ لِتِيَارٍ ضِدَّ الْفَنِّ ، وَكَانَ مِنْهَا جَمَاعَةُ فِلَكْسُوسِ الْأَمْرِيكِيَّةِ ؛ الَّتِي دَعَتْ إِلَى تَنْظِيمِ إِضْرَابٍ فِي نِيُوبُورِكِ أَمَامَ مُتَحَفِ الْفَنِّ الْحَدِيثِ وَمُتَحَفِ الْمِيْتْرُوبُولِيْتَانِ وَمَرْكَزِ لِيْنِكُولْنِ ، وَحَمَلَ الْمُضْرِبُونَ لَافِتَاتٍ تُنَادِي بِتَدْمِيرِ الثَّقَافَةِ الْجَادَّةِ ، وَتَدْمِيرِ الْفَنِّ ، وَتَدْمِيرِ الْمَتَاحِفِ الْفَنِّيَّةِ ، وَتَدْمِيرِ قَاعَاتِ الْمَوْسِيقَى ، بَلْ وَتَدْمِيرِ مَرْكَزِ لِيْنِكُولْنِ نَفْسِهِ . "⁽⁶¹⁾

وَمَا حَدَثَ مَعَ الدَّادِيِّينَ عَشِيَّةَ انْدِلَاعِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى ، حَدَثَ مَعَ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَيْنِ الْعَرَبِ عَشِيَّةَ بَدَايَةِ الْحَرْبِ الْأَمْرِيكِيَّةِ عَلَى الْعِرَاقِ ، لَقَدْ أَصْبَحَ الْمَوْقِفُ الشَّعْرِيُّ الصَّادِمُ الْعَنِيفُ جُزْءًا مِنْ مَوْقِفِ ثَوْرِيٍّ أَشْمَلَ ، يَتَوَاشَجُ فِيهِ الْجَمَالِيُّ وَالْاجْتِمَاعِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ ، غَيْرَ أَنَّ الْبَعْضَ قَدْ تَصَوَّرَ أَنَّ مُجَرَّدَ انْتِهَاكَاتِ الذَّوقِ الْعَامِ ، فِي حَدِّ ذَاتِهَا ، فِعْلٌ شَعْرِيٌّ يَمْتَلِكُ قِيَمَةً شَعْرِيَّةً ذَاتِيَّةً ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْوَهْمِ .

الإِحَالَاتُ وَالتَّعْلِيقاتُ

- (1) د.صلاح فضل - قِراءة الصُّورة - مكتبة الأسرة : الهيئة المِصْرِيَّة العامة للكِتاب - 2003 - ص : 96 .
- (2) فخري صالح - يانيس ريتسوس في الشُّعر العربيِّ المعاصر : ولادَةُ قصيدةِ التَّفاصِيل - مجلَّة:(الثَّقافة الجديدة) - العدد : 98 - نوفمبر 1996 - ص ص : 39 - 40.
- (3) سعدي يوسف - يومِيَّاتُ الجنوبِ يومِيَّاتُ الجنون - دار ابن رشد - بيروت - 1981 - ص : 16.
- (4) د. سيزا قاسم - بناءُ الرُّواية - مكتبة الأسرة : الهيئة المِصْرِيَّة العامة للكِتاب - 2004 - ص : 94 ، وَقَدْ اسْتَبَدَلْنَا كَلِمَةَ السَّارِدِ بِالرُّوائي ؛ لِثَلَاثِمِ السِّيَاق .
- (5) فاضل الأسود - السَّرْدُ السِّنِمائيُّ - الهيئة المِصْرِيَّة العامة للكِتاب - 1996 - ص : 168 .
- (6) يحيى جابر - الزُّعران - بيروت - 1991 - ص : 39 .
- (7) كريم عبد السَّلام - فتاةٌ وَصِيَّ في المدافن - دار الجديد - بيروت - 1999 - ص : 11 .
- (8) كريم عبد السَّلام - نائِمٌ في جوار الجوارِسيك بَارَك - طبعةٌ خاصَّة - 2008 - ص : 11 .
- (9) محمَّد عبد المطَّلَب - قصيدةُ النَّشْرِ بَيْنَ القَبُولِ وَالرَّفْضِ - مجلَّة:(قوسُ فُرح) - العدد : الأوَّل - مايو 2003 - ص : 77 .

- (10) اندريا هوميسون - رَسْمُ خَريطةٍ لَمَّا بَعَدَ الحَدَاثِ - ضِمْنَ كِتَابٍ: (مَدْخَلٌ إِلَى مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ) ، ترجمة : أحمد حَسَّان - كِتَابَاتٌ نَقْدِيَّةٌ - العدد : 26 - الهَيْئَةُ العَامَةُ لِقُصُورِ الثَّقَافَةِ - مارس 1994 - ص : 248 .
- (11) جان بودريار - الصُّورُ الزَّائِفَةُ وَصُورُ الزَّيْفِ - ضِمْنَ: (الحَدَاثَةُ وَمَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ) - إعداد وتقديم : بيتر بروكر، ترجمة : د. عبد الوهاب علُّوب - مراجعة: د. جابر عصفور - منشورات المجمع الثقافي - الإمارات العربية المتحدة - الطَّبْعَةُ الأولى - 1995 - ص : 98 .
- (12) علي منصور - ثَمَّةٌ مُوسِيقِي تَنْزُلُ السَّلَالِ - دار شَرْقِيَّات - القاهرة - 1995 - ص : 56 .
- (13) مؤمن سمير - غَايَةُ النِّشْوَةِ - الهَيْئَةُ العَامَةُ لِقُصُورِ الثَّقَافَةِ - فرع ثقافة بني سويف - 2002 - ص : 23 .
- (14) عزمي عبد الوهاب - بأكاذيب سوداء كثيرة - كِتَابَاتٌ جَدِيدَةٌ - الهَيْئَةُ المِصْرِيَّةُ العَامَةُ للكتاب - 1998 - ص ص : 17 - 20 .
- (15) رَاجِعُ : دليل النَّاقد الأدبي - لميجان الرُّويلي ، وسعد البازعي - المملكة العربيَّة السُّعُودِيَّة - الطَّبْعَةُ الأولى - 1995 - ص : 106 .
- (16) فردريك جيسمون - المنطقُ الثَّقَافِيُّ للرَّأْسَمَالِيَّةِ المتأخِّرة ، ضِمْنَ: (مَدْخَلٌ إِلَى مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ) - سابق - ص ص : 69 - 70 .
- (17) مجلَّة: (الأربعائِيُون) - العدد : 413 - شتاء 1992 - ص : 83 .
- (18) ياسر عبد اللطيف - ناسٌ وَأَحْجَارٌ - د.ن - 1995 - ص : 8 .
- (19) محمود عبد الله - لقطَةٌ بارِدةٌ - الهَيْئَةُ المِصْرِيَّةُ العَامَةُ للكِتَاب - 2002 - ص : 11 .
- (20) فردريك جيسمون - المنطقُ الثَّقَافِيُّ للرَّأْسَمَالِيَّةِ المتأخِّرة ، ضِمْنَ: (مَدْخَلٌ إِلَى مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ) - سابق - ص : 70 .
- (21) مخطوطٌ أَهْدَانِيهِ الشَّاعِرُ ، في فبراير 2004 .
- (22) جان فرانسوا ليوتار - الوَضْعُ مَا بَعْدَ الحَدَاثِ - ضِمْنَ: (مَدْخَلٌ إِلَى مَا بَعْدَ الحَدَاثَةِ) - سابق - ص : 18 .
- (23) مجلَّة: (الثَّقَافَةُ الجَدِيدَةُ) - العدد : 65 - فبراير 1994 - ص : 37 .

- (24) محمد صالح - حياة عادية - أصوات أدبية - العدد : 305 - الهيئة العامة لقصور الثقافة - أكتوبر 2000 - ص : 23 .
- (25) إليكس كاليנקوس - رَسْمُ الخطِّ وَالْفَاصِلِ : قراءة في كتابِ فردريك جيمسون : ما بعد الحداثة ، ترجمة: بشير السباعي - مجلة: (إبداع) - نوفمبر 1992 - ص : 49 .
- (26) عابد خزندار - ما بعد الحداثة : عَنْ الحداثةِ وَمَا بَعْدَهَا - مجلة: (إبداع) - نوفمبر 1992 - ص : 77 .
- (27) يُمنى العيد - كلامٌ محفورٌ على جَسَدٍ - مجلة: (كَلِمَات) - البحرين - العدد : 17 - 1992 - ص : 30 .
- (28) مادان ساروب - ما بعد الحداثة : تجارة المعرفة وسؤال التاريخ - ترجمة : مرفت دياب - مجلة: (إبداع) - نوفمبر 1992 - ص : 65 .
- (29) دليل الناقد الأدبي - سابق - ص : 107 .
- (30) راجع : مِنْ مُقْتَرِحَاتِ الحداثةِ الرَّاهنةِ ، لحاتم الصَّكَّر ، بمجلة: (شئون أدبية) ، السنة السادسة - العدد : 21 - صيف 1992 - ص : 20 .
- (31) خزعل الماجدي - أزرعُ يدكِ وَأَقْطُفُهَا - مجلة (إبداع) - السنة التاسعة - نوفمبر 1992 - ص : 110 - 111 ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ نُشِرَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ (وَسِوَاهَا) ، فِي صَحِيفَةِ: (الْقَادِسِيَّةِ) الْعِرَاقِيَّةِ ، صَفْحَةِ: (ثقافة) ، فِي تَارِيخٍ : 1991/6/14 .
- (32) منعم الفقير - اللوعات الأربع - دار سينا للنشر - الطبعة الأولى - 1994 - الصفحات التالية ، على التوالي : 166 - 167 - 171 - 197 - 200 .
- (33) كمال أبو ديب - اللحظة الراهنة في الشعر - مجلة: (فصول) - المجلد الخامس عشر - العدد الثالث - خريف 1996 - ص 18 .
- (34) فتحي عبد الله - راعي المياه - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1993 - ص : 10 - 11 .
- (35) فتحي عبد الله - سعادة متأخرة - 1998 - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص : 13-14 .
- (36) رينيه ويلك - مفاهيم نقدية - ترجمة : د. محمد عصفور - عالم المعرفة - العدد : 110 - الكويت - 1987 - ص : 376 .

- (37) إيهاب حسن - (دليل الناقد الأدبي) - سابق - ص : 18 .
- (38) عند بديع الزمان الهمذاني (- 398 هـ) رائد المقامات وواضع دعائمها الشكلية ، كان للمقامة بطل أساسي ؛ هو : أبو الفتح السكندري ، ورواية ؛ هو : عيسى بن هشام ، وتبعاً للهمذاني أنجز الحريري (- 516 هـ) مقاماته ، واختار لبطله اسم : أبا زيد السروجي ، وللرواية اسم : الحارث بن همام ، أمّا لدى علاء عبد الهادي ، فبطله هو : قرينه ، والرواية هو : علاء الرواية ؛ فالعلاقة بينهما عميقة كما نرى ، وفي الختام يرثي الرواية قرينه معلناً انتهاء حالة الانفصال والتجلي الآخر .
- (39) علاء عبد الهادي - النشيدة - أصوات أدبية - العدد : 334 - الهيئة العامة لقصور الثقافة - مارس 2003 - ص : 166 .
- (40) السابق - ص ص : 26 - 27 .
- (41) السابق - ص : 17 .
- (42) السابق - ص : 20 .
- (43) السابق - ص : 125 .
- (44) السابق - ص : 106 .
- (45) السابق - ص : 50 .
- (46) السابق - ص : 12 .
- (47) أحمد يماني - شوارغ الأبيض والأسود - د.ن - 1995 - ص : 25 .
- (48) ياسر عبد اللطيف - ناس وأحجار - سابق - ص : 64 .
- (49) أسامة الدناصري - عين سارحة وعين مندهشة - ميريت للنشر والمعلومات - القاهرة - 2003 - ص ص : 42 - 43 .
- (50) ياسر عبد اللطيف - ناس وأحجار - سابق - ص : 12 .
- (51) هدى حسين - ليكن - الكتاب الأول : المجلس الأعلى للثقافة - 1996 - ص : 31 .
- (52) إيمان مرسال - ممرٌ مُعتَمٌ يصلح لتعلم الرقص - دار شرقيات - 1995 - ص ص : 13-14 .

(53) صلاح فضل - قراءة الصُّورة : مكتبة الأسرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2003 - ص : 117.

(54) مجلة: (الكتابة الأخرى) - العدد الثامن - يونيو 1994 - ص : 85 .

(55) مجلة: (الكتابة الأخرى) - العدد 20/19 - فبراير 1999 - ص : 119 ، وَقَدْ نُشِرَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ - فِيمَا بَعْدُ - فِي دِيَوَانِهِ : (طَائِرٌ مُصَابٌ بِأَنْفَلُونِزَا) - القاهرة - 2006 ، وَالمَلاحَظَةُ أَنَّ إِيهابَ خَلِيفَةَ يُشَدِّدُ عَلَى شِعْرِيَّةِ الْأَشْيَاءِ الْبَسِيطَةِ الْمَهْمَلَةِ الَّتِي تُحِيطُ بِنَا ، وَتُشَارِكُنَا الْعَيْشَ ؛ فِي دِيَوَانِهِ : (مَسَاءٌ يَسْتَرِيحُ عَلَى الطَّائِلَةِ) ، يَكْتُبُ نُصُوصًا شِعْرِيَّةً عَنِ التَّوَكُّلِ ، وَكَيْسَ قِمَامَةِ أَسْوَدَ ، وَنَمْلَةَ ..

(56) ماهر صبري - ماريونيت - كتاب الجراد : العدد : 3 - القاهرة - 1998 - ص : 77 .

(57) البهاء حسين - نصُّ الكِلاب - دار فرحة للنشر والتوزيع - 2003 - ص : 41 - 49 - 55 .

(58) صبحي موسى - لهذا أَرْحَلُ - الدَّارُ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ - يناير 2006 - ص ص 146 - 147 .

(59) رَاجِعْ : د. محمود البسيوني - الفنُّ في القرنِ العشرين - مكتبة الأسرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2001 - ص : 140 ، د. خالد محمَّد البغدادي - اتجاهاتُ النَّقدِ في فنونِ ما بعدَ الحداثَةِ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2008 - ص : 159 .

(60) اتجاهاتُ النَّقدِ في فنونِ ما بعدَ الحداثَةِ - سابق - ص : 159 .

(61) السَّابِق - ص : 188 .

الفصل الثالث

مُشكلاتُ قصيدةِ النَّثرِ الرَّاهِنَةِ

تبدو قصيدة النثر العربية بعد نصف قرن من التجريب ، وارتداد مناطق كانت مجهولة من قبل ، وتأسيس شعريّات مختلفة في فضائها الشعريّ المختلف ، في مآزق حقيقيّ ، يتبدى من الإطلاّع على ما يمور به مشهدها الإبداعيّ الرّاهن ؛ الذي عبّر الهامش إلى بؤرة المتن الشعريّ ، والغريب أن تطال هذه المشكلات جنبات المشهد الشعريّ الثّريّ ، في مُعظم البلدان العربيّة ، بالتّزامن .

فثمةُ مُشابهةٍ واضحةٍ لما يُنجزُ هنا ، وهناك ، ثمةُ تداولٌ لتقنيّاتٍ بعينها ؛ يتغيّب معها أيّ ملمحٍ خاصّ ، أصبح من النّادر أن نلاحظ بصمةً شعريّةً حقيقيّةً أو بصمةً شخصيّةً فارقةً ، وثمةُ مُشكلاتٌ مُزمنةٌ في الشعريّة العربيّة ، برزت من جديد ، في المشهد الشعريّ الجديد ، وهي مُشكلاتٌ كانت تمرُّ بالقصيدة العربيّة ، وكانت القصيدة تتجاوزها في المراحل السّابقة ، وتتركّز هذه المشكلات في :

تماهي الأصوات في صوتٍ واحدٍ - الاستسلام للدّفقِ التّقريريّ

والمباشر - تجاوز قصيدة النثر إلى نشر القصيدة - التّخلي عن

مبدأ التّكثيف .

ومُشكلةُ المُشكلاتِ ، هنا ، أنّها أمراضٌ قديمةٌ ، سرعانَ ما استوطنت الشعريّة الجديدة ، على هذا النحو الذي سيّبدى لنا .

تماهي الأصوات في صوتٍ واحدٍ

اتّخذت قصيدة النثر في المرحلة الأخيرة مجموعةً من الإجراءات العامّة ؛ التي عكف عليها غالبيةُ شعراءِ المشهد الشعريّ ، يستحلّبونها ، ويتناوبون اقتراحاتها ، ويتعاملون معها باعتبارها سلّم الشعريّة الجديدة ، وتتمثّل هذه الإجراءات في : الاستناد على السرد ، والتّفصيل المعيشيّة ، والتّعبير عن ذاتٍ فرديّةٍ هشةٍ في وحدتها ، في أداءٍ بسيطٍ ، عارٍ من التّشكّلات المجازيّة ، أداءٍ يتشابه كما تشابهت المواقف الشعريّة ، والنّبرات الشعريّة ، أداءٌ تضيّع معه ملامح الوجوه الشعريّة ، بينما تتماثل الأجساد ، لقد أصبح من النّادر أن تجد شاعراً داخل نصّه ، إنَّ الاندفاع في تبنّي آلياتٍ محدّدةٍ جعل " هاجس الشكل والتّحزّب أكبر من هاجس الشعريّة ؛ التي هي المهمّة المُقرّضة الأعلى للشعر " (1) ، لقد بدت التجارب الشعريّة المتشابهة كما لو " أن شاعراً واحداً هو الذي يكثّب (مُعظم) قصائد النثر ، ويضع أسماءً مُستعارةً عليها " (2) ، ستبدى لنا هذه الحقيقة ، من تأمل هذين النموذجين ؛ المُستقطّعين من مجلّتين مختلفتين .

النموذج الأول :

-1-

كَانَ لَا يَزَالُ طِفْلاً
عِنْدَمَا مَاتَتْ خَالَتُهُ
وَذَهَبَ مَعَ أُمِّهِ إِلَى هُنَاكَ
وَرَأَى النَّاسَ تَبْكِي
وَفِي غَمْرَةِ أَنْفَعَالِهِمْ
بَكَى طِفْلي أَيْضاً
وَحَمَلَ مَعَهُمُ الْجَسَدَ الْمُسَجَّى إِلَى هُنَاكَ
ثُمَّ وَقَفَ بَيْنَهُمُ وَالْدُمُوعُ فِي عَيْنَيْهِ
يَتَلَقَّى الْعَزَاءَ
كَانَ الْخَلَاءُ شَاسِعاً
سَمِعَ عَوِيلَ النِّسْوَةِ عَلَى الْبُعْدِ
وَبَدَأَ طَيْباً
أَنْ يَشُدَّ كُلُّ هَؤُلَاءِ عَلَى يَدِهِ
وَعِنْدَمَا عَادَ مِنْ هُنَاكَ
كَانَ طِفْلي أَكْبَرَ . (3)

-2-

صَحِيحٌ
كُنْتُ طِفْلاً بَكَاءً
كُنْتُ أَبْكِي قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ
وَفِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ
كُنْتُ أَصْحُو فَأَجِدُ عَلَى مِخْدَتِي

بُفْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ الدُّمُوعِ . (4)

-3-

لَمَّا ذَا أَتَذَكَّرُهُ الْآنَ
كَانَ زَمِيلِي فِي ثَانَوِيَّةٍ "طَلَعَتْ حَرْبُ"
فِي الْبَيْتِ
يَطْرُحُ الْكُتُبَ جَانِبًا وَيَتَعَرَّى
لَأَرَى كَيْفَ تَقْبُ عُضَلَاتُهُ الْمُبَاسَّةُ
وَيَأْخُذُنِي إِلَى الْمَصُورِ مَرَّةً فِي الشَّهْرِ
يَذْهَبُ جِسْمُهُ بِالزَّيْتِ
وَيَأْخُذُ أَمَامَ الْعَدَسَةِ أَوْضَاعًا قِيَاسِيَّةً
ثُمَّ مَا يَنْفَكُ يُرِينِي الصُّورَ
وَيُغِيرُنِي بِالذَّهَابِ إِلَى التَّمْرِينِ . (5)

-4-

وَحِيدٌ فِي غُرْفَتِي
أَتَأَمَّلُ بِلَاطِهَا الْعَارِي
وَأُثْقِلُ الْمَذَاقَ الْمُرَّ
لِنَصْفِ كُوبِ الشَّاي
الْمُمَدَّدِ عَلَى طَاوِلَةِ الْكِتَابَةِ
وَتَرْقُصُ طِفْلَتِي - صَاحِبَةُ الـ 3 سَنَوَاتٍ
وَالْمَلَابِسِ الْقَدِيمَةِ الْمُسْتَعَارَةِ مِنْ أَطْفَالِ الْعَائِلَةِ -
عَلَى إِيْقَاعِ ارْتِطَامِ عُلْبَةِ السُّكَّرِ
- الْأَخِيرَةِ الْفَارِغَةِ -
سَاعَةً قَدْ قُتِلَتْهَا مِنَ التَّافِذَةِ . (6)

إنَّ هَذِهِ الْمَقَاطِعَ الشَّعْرِيَّةَ الْأَرْبَعَةَ ، لِأَرْبَعَةِ شُعَرَاءَ ، يَنْتَمُونَ إِلَى جِيلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، مَنْشُورَةٌ فِي عَدَدٍ وَاحِدٍ مِنْ مَجَلَّةٍ: (الشَّعْر) ، لَكِنَّا لَمْ نَشْعُرْ بِالِانْتِقَالِ مِنْ : مُحَمَّدٍ صَالِحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ الْكَفْرَاوِيِّ إِلَى فَرِيدِ أَبِي سَعْدَةَ إِلَى سَامِحِ قَاسِمٍ ؛ حَيْثُ ظَلَّتْ الْوَحَدَاتُ الشَّعْرِيَّةُ الْأَرْبَعُ ؛ الَّتِي وَضَعْنَاهَا فِي هَذَا التَّرْتِيبِ ، مُحْتَفِظَةً بِمَجْمُوعَةٍ مُحددَةٍ مِنَ الْخَصَائِصِ التَّعْبِيرِيَّةِ ، فِي هَذَا النَّصِّ الْجَمَاعِيِّ ؛ تَتَمَثَّلُ فِي: تَبْنِي الشَّكْلِ الْحِكَايِيِّ لِأَحَادِيثَ شَخْصِيَّةٍ بِتَفَاصِيلَ مَعِيشَةٍ ، وَنُزُوعٍ وَاضِحٍ لِلتَّدَكُّرِ وَاسْتِعَادَةِ فِتْرَةِ الطُّفُولَةِ وَبِدَايَاتِ الشَّبَابِ ، فِي نَبْرَةٍ خَافِتَةٍ .

النَّمُودَجُ الثَّانِي :

عَلَى التَّهَجِّ السَّابِقِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْمَعَ قَصِيدَةً أُخْرَى لِآخَرِينَ ، ذُونَ أَنْ نَشْعُرَ بِالِانْتِقَالِ مِنْ شَاعِرٍ إِلَى شَاعِرٍ ، وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ ، مِنْ قَصَائِدِ مَنْشُورَةٍ فِي عَدَدٍ وَاحِدٍ مِنْ مَجَلَّةٍ: (الثَّقَافَةُ الْجَدِيدَةُ) ، تَصْلُحُ أَنْ تُسَمَّى : (أَحْذِيَّةٌ) :

-1-

قَبْلَتْ حِذَاءَكَ الْجَدِيدَ
وَرَجَوْتُ إِلَهَهُ وَإِلَهَنَا الْبَسِيطَ
أَلَا يَمْشِي بِكَ إِلَّا فِي طَرِيقِ الْفَرَحَةِ
وَلَيْكُنْ الضَّوُّ حَوْلَكَ
وَبَيْنَ ظِلَالِكَ . (7)

-2-

كُلُّهُ حِذَاءُ
فَمَتَى يَنْفُضُ حِذَاءَهُ مِنْ تُرَابِ أَجْسَادِنَا
وَيَخْرُجُ
تَارِكًا لَنَا بَعْضَ الْمَآسِي
كَذِكْرِي عَلَى وَخْشِيَّةِ قَدَمَيْهِ . (8)

لا أدري لماذا - دائماً -

أختارُ حذاءً مَقاسُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَدَمَيَّ

هِيَ عَادَةُ الْفُتَاهُ مِنْذُ الطُّفُولَةِ

حَيْثُ كَانَتْ تَخْتَارُ أُمِّي لِي حِذَاءَ رَجُلٍ .⁽⁹⁾

إِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مُجْتَزَعَاتٌ مِنْ قَصِيدَةٍ (سَلَمَى) لَهَيْثَم خَشَبَةَ ، وَقَصِيدَةٍ (قَصَائِدِهِ) لِمُحَمَّدِ
الْحَمَامِصِيِّ ، وَقَصِيدَةٍ (الْعُبُورُ مِنْ شَارِعٍ وَاسِعٍ) لَعِيدِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ، وَلَكِنَّهَا - فِي النِّهَايَةِ -
تُشَكِّلُ قَصِيدَةً وَاحِدَةً .

الاستِسْلَامُ لِلدَّفْقِ التَّقْرِيرِيِّ الْمُبَاشِرِ

مِنْ الْمَشْكَلَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ فِي الشُّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ التَّقْرِيرِيَّةِ وَالْمُبَاشَرَةِ ، وَهَمَا مَا كَانَا
يَصِلَانِ بِالنَّصِّ الشُّعْرِيِّ ، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَالَاتِ ، إِلَى تُخُومِ (النَّظْمِ) ، وَمِنْ اللَّافِتِ أَنْ تَبَرُّزَ
هَاتَانِ الْمَشْكَلَتَانِ مَرَّةً أُخْرَى ، فِي شُعْرِيَّةِ قَصِيدَةِ النَّشْرِ الْجَدِيدَةِ ، وَعَلَى نَحْوِ يُقَرَّبُ الْأَدَاءَ
الشُّعْرِيِّ مِنَ النَّثْرَةِ ؛ فَقَدْ تَصَوَّرَ الْبَعْضُ أَنَّ مَجْرَدَ طَرَحِ الْمَجَازِ الْبَلَاغِيِّ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلدَّفْقِ
التَّقْرِيرِيِّ مُنْتَجَجٌ لِحِمَالِيَّاتٍ أُخْرَى ، وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا الْبَعْضَ ، قَدْ وَقَفَ عَلَى حُدُودِ
الْهَدْمِ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهَا إِلَى اقْتِرَاحَاتٍ جَمَالِيَّةٍ بَدِيلَةٍ ، وَمِنْ هَذِهِ النَّمَاذِجِ قَوْلُ أَمجد رِيَّانٍ (1953 -):

"عِنْدَمَا اسْتَعْلَ الْكَتَابُ الثَّنَائِيَّاتُ الضَّدِيَّةُ ، وَعِنْدَمَا تَحَدَّثُوا عَنْ الْكَتَابَةِ عَبْرَ التَّوَعِيَةِ
فَقَدْ كَانُوا يَقْصُدُونَ أَنَّ الْحَدَاثَةَ قَدْ بَدَأَتْ تَفْعَلُ أَفَاعِيلَهَا ، ثُمَّ بَدَأَتْ الْمَرَاحِلُ التَّالِيَةُ ،
عِنْدَمَا صَرَخَتْ النِّسَاءُ بِصَوْتٍ عَالٍ فِي التَّلْفَازِ وَاشْتَكُوا [؟] الْوَضْعَ النِّسَائِيَّ عَلَيْنَا :
كُنْ أَوَّلَ مَنْ يُعْلِنُ التَّعَدُّدَ الْوَحْشِيَّ الْإِنْهَائِيَّ ، وَمَنْ يُدْرِي حِينَ تَلْتَقِي الصَّرَخَاتُ ، أَيْةُ قُوَّةٍ
يُمْكِنُ أَنْ تُولَدَ ، وَأَيْةُ هَزَّةٍ سَوْفَ تُوقِظُ الْكَيَانَ الْغَافِي .

أُرِيدُ أَنْ أَصْطَادَ مُشَاهِدَاتِ الْوَقَائِعِ الصَّغِيرَةِ ، وَأَنْ أَلْقِطَ الْأَسْرَارَ الَّتِي تَخْتْفِي تَحْتَ
مَظَاهِرِ الْوَاقِعِ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَعْلَنَهَا وَاضِحَةً قَوِيَّةً : لَقَدْ أَصْبَحَتْ الْحَدَاثَةُ إِحْدَى
كَلَّاسِيكَيَاتِ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ ، وَلَمْ تَعُدْ الثَّنَائِيَّةُ كَافِيَةً لِلتَّبْعِيرِ عَنْ هَذَا التَّعَدُّدِ الْعَارِمِ :

يُنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ عَلَى الْحَقَائِقِ الْجَدِيدَةِ ، يُنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ جَمِيلٌ وَصَاعِقٌ
 فِي حَيَاتِنَا ، يُنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ عَلَى الْجَسَدِ الَّذِي نَسْكُنُهُ ، وَعَلَى الصَّوْتِ الَّذِي نُطْلِقُهُ مِنْ
 حَنَاجِرِنَا ، وَأَنْ تَعْرِفَ عَلَى مَشَاعِرِنَا الْحَقِيقِيَّةِ ، الْحُرَّةِ ، الْمُتَمَرِّدَةِ ، الْمُسْتَقَلَّةِ ، هَلْ نَحْنُ
 نَشْتَمِي إِلَى الْعَالَمِ ، أَمْ نَحْنُ أَغْرَابٌ عَنْهُ أُرِيدُ أَنْ أَصِلَ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ مَعْرُوفٍ عَلَى الْخَرِيطَةِ
 الْمُعَاصِرَةِ ، إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَبَيْتٍ ، أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ عَلَى الْآدَمِيِّينَ ، وَأَنْ أَذْهَبَ إِلَى السَّيْرِ عَلَى
 الْأَقْدَامِ حَتَّى تَوَرَّمْ ، أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ إِلَى الْحِكَايَاتِ السَّاذِجَةِ ، شَدِيدَةِ الْإِمْتَاعِ ، أُرِيدُ أَنْ
 أَقْبِي بِحَيَّةِ الصَّبَاحِ عَلَى الْعَالَمِينَ ، الْيَوْمَ لَا نَقُولُ : صَبَاحَ الْخَيْرِ فَقَطْ . بَلْ نَقُولُ جُودٌ مُورِينِج
 وَبُونُجُورَ وَكَالِيمِيرَا ، وَجُوتِنَ مُورِجِنَ ، وَلَمْ نَعُدْ نَشْتَرِي الْأَهْرَامَ وَالْأَخْبَارَ وَالْجُمْهُورِيَّةَ فَقَطْ ،
 بَلْ صِرْنَا نَشْتَرِي مَبَاتِ الصُّحُفِ الَّتِي تُطْلِعُنَا فِي كُلِّ صَبَاحٍ .
 وَالْوَأَقُعُ الْيَوْمُ يُقَشِّرُ جِلْدَهُ الْقَدِيمَ ، مِثْلَمَا تُقَشِّرُ الْأَفْعَى جِلْدَهَا ، يَهْرَبُ الْوَأَقُعُ الْيَوْمَ مِنَ
 التَّعْمِيمَاتِ وَالْعُمُومِيَّاتِ ، وَيَمْسَحُ الْكَلِيشِيَّاتِ الَّتِي تَرَكَتْ ، وَيَكْسِرُ التَّمَاذِجَ الْهَيَاكِلَ ،
 سَوْفَ نَعْرِفُ الْيَوْمَ نَكْهَةَ الْحَيَاةِ وَحَيَوِيَّتِهَا الْجَدِيدَةِ . (10)

مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ الشَّاعِرَ اعْتَبَرَ تَقْرِيرَ الْوَضْعِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثِ ؛ بِتَمَجِيدِهِ لِلتَّعَدُّدِ يَعْنِي ،
 بِالضَّرُورَةِ ، إِنْتَاجَ قَصِيدَةٍ نَشْرُ مَا بَعْدَ حَدَاثِيَّةٍ ؛ غَيْرَ أَنَّ الْمُتَحَقِّقَ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ إِلَّا التَّقْرِيرُ .
 وَمِنْ ذَلِكَ ، كَذَلِكَ ، نَقْرَأُ لِعَلِيِّ مَنصُورٍ (1956 -) :

"الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ أَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ .

وَالَّذِينَ نَسُوا دِينَهُمْ الْحَقَّ ضَيَعُوا .

التَّسَامُحُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، نَاهِيكَ عَنِ التَّرَاحُمِ .

ثُمَّ إِنَّهُمْ - وَيَا لِلْعَجَبِ - لَا يَتَذَكَّرُونَ

سَمَاحَةَ دِينِهِمْ إِلَّا وَهُمْ يَهَافُتُونَ عِنْدَ

الْآخِرِ ؛ الْآخِرُ الَّذِي صَبَّ عَلَيْهِمْ جَامُ

غَضَبِهِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِمْ غُلَظَةً !! " (11)

إِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَفْعَلْ أَكْثَرَ مِنْ تَكَرُّارِ مَعَانٍ مَحْفُوظَةٍ مُبَاشِرَةٍ ، بِأَدَاءٍ تَقْرِيرِيٍّ ، فِيهِ نُرُوعٌ وَاضِحٌ
 إِلَى الْوَعْظِ بِرُوحٍ تَعْلِيمِيَّةٍ ، لَمْ يُنْقِذْهَا مَجَرَّدَ إِقَامَةِ الْمَفَارِقَةِ فِي نَهَايَةِ النَّصِّ .

وَمِنْ ذَلِكَ ، كَذَلِكَ ، قَوْلُ عَفِيفِ إِسْمَاعِيلِ (1962 -) :

" اسْمِي عَبْد الرَّازِقِ

مُهَاجِرٌ

أَمْ مَطْرُودٌ قَسْرِيًّا ؟؟

أَمْ مُتَخَذَلٌ ؟؟ !!

تَلَطَّفًا تُسَمِّنِي الْأُمُّ الْمُتَّحِدَةُ مُوَاطَّنًا عَالَمِيًّا

هَآ هَآ

يَا صَاحِ

نَحْنُ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَعَوْلَمُهُ

بِلَادِي بَعِيدُهُ

كَرَّاحَةِ الْغَبَارِ الَّتِي تَخْتَفِي الْآنَ

لَنْ أَبُوحَ أَيْنَ مَوْقِعَهَا مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ

رَبَّمَا لَلِ . C.I.A . أَسْلَاكُ تَنْصُتُ تَحْتَ الرُّكَامِ

لَكِنَّا قَرِيبَةٌ مِنْ قَلْبِي . " (12)

تَجَاوَزُ قَصِيدَةَ النَّثْرِ إِلَى نَثْرِ الْقَصِيدَةِ

مَعَ نَزْوِعِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ فِي مَرَحَلَتِهَا الرَّاهِنَةِ إِلَى اسْتِنْفَادِ طَاقَاتِ السَّرْدِ لِأَغْرَاضِ شِعْرِيَّةٍ ، لَوْحَظَ أَنَّ الْبَعْضَ - اسْتِسْلَامًا مِنْهُ لَتَدَايِعَاتِ السَّرْدِ - رَكَّزَ عَلَى خَطِيئَةِ الْحِكَايَةِ وَاسْتِفْصَاءِ جَوَانِبِهَا ، أَكْثَرَ مِنْ تَرْكِيزِهِ عَلَى إِقَامَةِ خِطَابٍ شِعْرِيٍّ ، يَعْتَمِدُ آلِيَّاتِ السَّرْدِ الشَّعْرِيَّ ، وَيَسْتَشْمِرُ طَاقَاتِهِ ، وَهُوَ مَا أَدَّى إِلَى هَيْمَنَةِ الْعُنَاصِرِ الْحِكَايَةِ عَلَى الْعُنَاصِرِ الشَّعْرِيَّةِ ؛ لِتَجَلَّى ، بِوُضُوحٍ ، الْبَنِيَّةُ الْحِكَايَةُ ، بِاعْتِبَارِهَا الْبَنِيَّةُ الْمَرْكَزِيَّةُ الْمَهْمِنَةُ عَلَى آلِيَّاتِ بِنَاءِ النَّصِّ ، وَمِنْ ذَلِكَ نَقْرَأُ ، لِبُولِ

شَاوُولِ (1944 -) مِنْ دِيْوَانِهِ : (دَفْتَرُ سَيِّجَارَةٍ) :

" مَاتَ وَالِدُهُ بِسَبَبِ السَّيِّجَارَةِ ، وَوَالِدَتُهُ أَيْضًا ، وَشَقِيقَتَاهُ ، وَعَدَّةُ أَصْدِقَاءَ ، كُلُّهُمْ مَاتُوا

بِالسَّيِّجَارَةِ ، مَعَ هَذَا فَعِنْدَمَا حَضَرَ جَنَازَاتِ هَؤُلَاءِ ، كَانَتْ السَّيِّجَارَةُ فِي فَمِهِ ، وَكَانَتْهَا

تُشَارِكُ فِي التَّعَزِّيَةِ ، عَزَى وَعَانَقَ وَأَدْمَعَ وَحَزَنَ وَضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا ، وَالسَّيِّجَارَةُ فِي فَمِهِ ،
وَعِنْدَمَا يَضَعُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُجْهِشُ وَيَأْسَفُ وَيَغْضَبُ وَيَخَافُ كَانَتْ السَّيِّجَارَةُ دَائِمًا
تَنْفُثُ دُخَانَهَا بِهَدْوٍ مُضْطَرَبٍ .

كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدَّهَمُ أَحْبَبُوا السَّيِّجَارَةَ مِثْلَهُ ، وَمَاتُوا بِهَا ، هُوَ أَيْضًا كَلَّمَا تَذَكَّرَهُمْ وَهُمْ
يُدْخِنُونَ يَسْحَبُ سَيِّجَارَةً وَيُحْيِيهِمْ وَهُوَ يُشْعِلُهَا بَيْنَ التَّذَكُّرَاتِ وَالْأَسَفِ وَالْإِشْتِيَاقِ
» (13)

يَنْطَوِي هَذَا النَّصُّ عَلَى شِعْرِيَّةٍ لَا تَخْفَى ، تُرَدُّ إِلَى التَّكْرَارَاتِ ؛ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى تَبْنِيِ أُسْطُورَةِ
السَّيِّجَارَةِ ؛ فَتَرَى ارْتِبَاطَ السَّلُوكِيَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ بِالسَّيِّجَارَةِ فِي مَخْتَلَفِ الْعِلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ،
كَذَلِكَ مِمَّا يُبْرِزُ شِعْرِيَّةَ هَذَا النَّصِّ التَّكْثِيفُ الْوَاضِحُ فِي السَّرْدِ . غَيْرَ أَنَّ الطَّابِعَ الْحِكَايِيَّ
يَظَلُّ هُوَ السَّمَةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلخِطَابِ ، وَهُوَ مَا يَقُودُ إِلَى نَشْرِ الْقَصِيدَةِ لَا إِلَى قَصِيدَةِ نَشْرِ ؛ فَفِي
الْأَخِيرَةِ يَظَلُّ الْوَعْيُ الشَّعْرِيُّ مُهَيْمِنًا - بِإِيقَاعَاتِهِ وَتَشْكِيلَاتِهِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْبَنَائِيَّةِ - عَلَى حَرَكَةِ
الْكِتَابَةِ مُنْذُ الْبَدَايَةِ ، فِيمَا فِي الْأُولَى تُهَيِّمُ آيَاتُ الْحِكَايَةِ ، وَهُوَ مَا يَبْدُو - كَذَلِكَ -
بوضوح ، فِي نَصِّ عَلَى مَنْصُورٍ : حِينَ انْتَبَهَتْ الْقَصِيدَةُ عَلَى نَشِيجِ الشَّاعِرِ ، الْآتِي :

"الْجَأْتُ ظَهْرِي لظَهْرِهِ ، وَأَغْمَضْتُ عَيْنِي ، لَكِنَّ الْخَمْسَ دَقَاقَاتٍ دُونَ أَنْ يَسْأَلَنِي عَمَّا
بِي ، حَتَّى أَوْشَكْتُ عَلَى الْبُكَاءِ إِلَّا أَنْ نَحِيبًا مَكْثُومًا عَصَفَ بِهِ ؛ فَاسْتَدْرْتُ
وَاحْتَضَنْتُهُ ، كَانَتْ عَيْنَاهُ حَمْرًا وَبَيْنَ كَأَنَّ لَمْ يَنْمَ لَيْلَتَيْنِ ، قُلْتُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ يَا حَبِيبُ هَوْنٌ
عَلَى قَلْبِكَ وَعَيْنَيْكَ ، قَالَ : أَيْقَلْتُ الْقَتْلَةَ يَوْمَ الدِّينِ ، قُلْتُ : لَا يُقْلَتُونَ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ
اسْتَحْوَذَ عَلَى الْبَيَانِ الْمُجُونُ ، قُلْتُ : فَبِئْسَ الْقَرِينُ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ سَفَّهَ الظُّرْفُ فِطْرَةَ
الطَّيِّبِينَ ، قُلْتُ : أَنْتَ بَرِيءٌ مِمَّا يَقْرُونُ ، قَالَ : فَاشْهَدِي ، قُلْتُ : أَنَا مِنْ الشَّاهِدِينَ
» (14)

إِنَّمَا حِكَايَةُ ، وَمَسْجُوعَةٌ كَذَلِكَ فِي نَصْفِهَا الْأَخِيرِ ، إِنَّ السَّرْدَ ، هُنَا ، لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَى سَرْدٍ
شِعْرِيٍّ ، وَهُوَ مَا لَمْ يُودَّ إِلَى قَصِيدَةِ نَشْرِ بَلْ إِلَى قَصِيدَةِ نَشْرِ قَصِيدَةٍ .

التَّخْلِي عَنْ مَبْدَأِ التَّكْثِيفِ

إِنَّ التَّكْثِيفَ فِي طَلِيعَةِ الْقَوَانِينِ الدَّاخِلِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الْمُنَظَّمَةِ ، فِي بِنَاءِ الْخُطَابِ الشَّعْرِيِّ ،
وَالْتَّكْثِيفُ - مُعْجَمِيًّا يَعْنِي : الْكَثْرَةَ وَالِاتِّفَافَ ، وَكَثَّفَهُ : كَثَّرَهُ وَغَلَّظَهُ ⁽¹⁵⁾ ، وَيَعْنِي اصْطِلَاحًا
- امْتِلَاءَ النَّصِّ بِالِدَّلَالَةِ مَعَ اقْتِصَادِ الْأَدَاءِ اللَّغْوِيِّ ؛ فَلَا يُمْكِنُ لِشِعْرِ جَيِّدٍ ، مَهْمَا كَانَ شَكْلُهُ
، حَذْفَ مُفْرَدَاتٍ ، أَوْ تَرَكَيبٍ ، أَوْ صَوْرِ ، دُونَ أَنْ يَتَأَثَّرَ بِنَاؤُهُ ، غَيْرَ أَنَّ تَدَاعِيَاتِ الشُّعُورِ ،
أَوْ تَدَاعِيَاتِ التَّفَاصِيلِ ، أَوْ تَدَاعِيَاتِ التَّرَاكِبِ ، أَوْ تَدَاعِيَاتِ الْإِيْقَاعِ ، تَقُودُ الْبَعْضَ أحيانًا ،
إِلَى تَزْيِيدَاتٍ ، بِحَذْفِهَا يَعُودُ لِلنَّصِّ تَوْهُجُهُ وَتَرْكِيضُهُ وَإِحْكَامُهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ نَقَرُ لِعِمَادِ أَبِي صَالِحٍ
(1967-) :

ضِدَّ الصَّفِيحِ

ضِدَّ الْبِلَاسْتِيكِ

ضِدَّ السَّنَدِ وَتَشَاتٍ

ضِدَّ الدَّمْعَةِ ، وَالْكُمْبُوتِرِ ، وَضِدَّ نُقْطَةِ الدَّمِ

ضِدَّ الْأَنْفُلُونِزَا

ضِدَّ حِصَصِ الْكِيمِيَا

ضِدَّ الْأَسْفَلَتِ

ضِدَّ شَكْمَانَاتِ الْعَرَبَاتِ

ضِدَّ رَغْبَةِ أَمَلِكٍ

ضِدَّ الْعَالَمِ وَالزَّمَنِ

ضِدَّكَ أَنْتَ نَفْسِكَ

أَنَا خَجَلَانٌ مِنْ أَنْ أَقُولَ :

ضِدَّ إِرَادَةِ اللَّهِ

الَّذِي شَاءَ أَنْ نَكُونِي لَوَاحِدٍ غَيْرِي " . ⁽¹⁶⁾

إِنَّ النَّصَّ الشَّعْرِيَّ ، هُنَا ، هُوَ بِالْفِعْلِ ، فِي الْمَقْطَعِ الثَّالِثِ ؛ الْأَخِيرِ ، وَحْدَهُ .
إِنَّ مِنَ اللَّافِتِ أَنَّ هَذِهِ الْمَشْكَلَاتِ الْمَزْمَنَةَ ، قَدْ ضَمَّتْ - فَيَمَنْ ضَمَّتْ - شُعْرَاءَ لَهُمْ
تَجَارِبُ مُهِمَّةٌ فِي فِضَاءِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ ، غَيْرَ أَنَّ الْبَعْضَ قَدْ حَرَجَ ، أحيانًا ، إِلَى لَا شَيْءٍ .

إنَّ الحرِيَّةَ الشَّاسِعَةَ المتاحَةَ في مَشْهَدِ (قَصِيدَةِ النَّشْرِ) ، لا تَعْنِي اعْتِبَارَ أَيِّ أَدَاءٍ في سَاحَتِهَا قَصِيدَةَ نَشْرِ بِالضَّرُورَةِ ، أَوْ أَنَّهَا بَغَيْرِ قَوَائِنِ دَاخِلِيَّةٍ مُنْظَمَةٍ ، وَإِنَّمَا تَعْنِي أَنَّهَا تَسْمَحُ لِلشَّاعِرِ بِأَنْ يَخْتَارَ ، مِنْ هَذِهِ الْمَسَاحَةِ الشَّاسِعَةِ ، قَوَائِنَهُ الْخَاصَّةَ ؛ الَّتِي يَبْنِي بِهَا نَصَّهُ الْجَدِيدَ الْخَاصَّ ، بِجَمَالِيَّاتِهِ الْخَاصَّةِ. إِنَّ مُحَضَّ الْحِكْمِيِّ - مَهْمَا احْتَشَدَ بِالتَّوَازِيَاتِ أَوْ الشُّطْحَاتِ الْغَرَائِبَةِ - لَا يَصْنَعُ شِعْرِيَّةَ السَّرْدِ ، فِي قَصِيدَةِ النَّشْرِ ؛ وَإِنَّمَا تَصْنَعُهَا حَرَكَةُ التَّجَرِبَةِ الْحَقِيقِيَّةِ ، وَتَحَوُّلَاتِهَا ، بِإِيقَاعَاتِهَا الْخَاصَّةِ ، وَتَكْشِيفِهَا لِلشُّعُورِ وَلِللُّغَةِ ، وَاخْتِيَارِهَا آلِيَّاتِ سَرْدِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي بِنَاءٍ خَاصٍّ ، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ هَذَا السَّرْدَ سَرْدًا شِعْرِيًّا ، وَلَكِي تَكُونَ قَصِيدَةَ نَشْرِ حَقِيقِيَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ (نَشْرُ)هَا شِعْرِيًّا ، وَمَا لَمْ يَكُنِ السَّرْدُ مُحْكُومًا - فِي قَصِيدَةِ النَّشْرِ - بِإِدَارَةِ وَعْيٍ شِعْرِيٍّ لَهُ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَفُودَ إِلَى قَصِيدَةِ نَشْرِ ، بَلْ إِلَى نَشْرِ قَصِيدَةٍ ، كَمَا أَنَّ طُغْيَانَ النَّزْعَةِ الْيَوْمِيَّةِ وَالْجَزَائِيَّةِ - فِي قَصِيدَةِ النَّشْرِ الْعَرَبِيَّةِ - لَمْ يُصَاحِبْهُ ، فِي الْغَالِبِ ، وَعْيٌ بِمُقْتَضَيَاتِ هَذَا النَّوعِ الشَّعْرِيِّ ، فِي الشَّعْرِيَّةِ الْأُورِيبِيَّةِ - عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ - لَدَى شُعْرَاءٍ مِثْلِ : جَاك بْرِيفِير أَوْ يَانِسِ رِيْتَسُوس - حَيْثُ يَعْمَدُ الشَّاعِرُ إِلَى الْمَعِيشِ وَالْجَزَائِيِّ وَالْعَابِرِ ، وَيَعْرِضُهُ عَلَيْنَا بِسَاطَةِ وَاضِحَةٍ ، سُرْعَانَ مَا يَتَكَشَّفُ فِيهَا الْجَوْهَرُ الْعَمِيقُ الْكَامِنُ فِيهَا ، بَيْنَمَا اكْتَفَى الْكَثِيرُونَ ، لَدَيْنَا ، بِالسَّطْحِ ؛ بِمَجَرَّدِ طَرَحِ هَذَا الْبَسِيطِ الْيَوْمِيِّ ، فِي سَرْدٍ نَشْرِيٍّ بَسِيطٍ ، لَا يَحْتَاجُ الْمُتَلَقِّيَّ ، مَعَهُ ، إِلَى أَيِّ اسْتِعَادَةٍ ، أَوْ إِعَادَةٍ قِرَاءَةٍ ، وَأُخْيَانًا إِلَى اسْتِكْمَالِ الْقِرَاءَةِ فِي الْأَسَاسِ

الإحالات والتعليقات

- (1) هايل محمد الطالب - أزمة الشعر السوري الجديد : جيل التسعينات - مجلة: (الآداب) البيروتية - العدد: 2008/9/8/7 - السنة: 56 - ص: 82 .
- (2) سمير درويش - عن قصيدة النثر وأشياء أخرى - مجلة: (الثقافة الجديدة) - العدد: 223 - أبريل 2009 - ص: 111 .
- (3) محمد صالح - في مديح الخالة - مجلة: (الشعر) - العدد: 124 - شتاء 2007 - ص: 45 .
- (4) محمد الكفراوي - من قصيدة : (بالطبع ليست هواية) - مجلة: (الشعر) - سابق - ص: 57 .
- (5) فريد أبو سعدة - من قصيدة : (مت قبله) - مجلة: (الشعر) - سابق - ص: 48 .
- (6) سامح قاسم - من قصيدة : (البيت الغرفة) - مجلة: (الشعر) - سابق - ص: 56 .
- (7) هيثم خشبة - من قصيدة : (سلمى) - مجلة: (الثقافة الجديدة) - سابق - ص: 120 .
- (8) محمد الحمامصي - من قصيدة : (قصائده) - مجلة: (الثقافة الجديدة) - سابق - ص: 122 .
- (9) عيد عبد الحليم - من قصيدة : (العبور من شارع واسع) - مجلة: (الثقافة الجديدة) - سابق - ص: 124 .
- (10) أمجد ريان - بروفيل جانبي أمامي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2006 - ص: 24-25 .
- (11) علي منصور - في مديح شجرة الصبار - الدار للطباعة والنشر - 2008 - ص: 66 .
- (12) عفيف إسماعيل - ممر إلى رائحة الخفاء - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 2006 - ص: 8 .

(13) بول شاوول - دفتر سِجّارة - المقطّع رقم: 15 - أخبار الأدب - 2008/11/30
/ ص: 18 .

(14) علي منصور - في مديح شجرة الصّبار - سابق - ص: 125 .

(15) العلامة ابن منظور (630 - 711 هـ) - لسان العرب - الجزء الثّاني عشر - دار
إحياء الثّراث العربي ، مؤسّسة التّاريخ العربي - بيروت ، لبنان - الطّبعة الأولى -
1999 - ص: 38 .

(16) عماد أبو صالح - جمالٌ كافّر - 2005 - نصّ بعنوان : أحبُّك .

الخاتمة

معالمٌ ، أخرى ، في المشهد المفتوح

على مدى نصف قرنٍ قبل الآن - تحديداً منذ عام 1960 - انطلقت قصيدة النثر - تحت هذا المصطلح - للإعلان عن قصيدة أخرى ، في أرضٍ أخرى ، كانت هناك نصوصٌ من هذه الشعريّة ، تُنشر قبل هذا التاريخ بعامين - أي منذ عام 1958 - لمحمد الماغوط ، وقبلها بعشر سنواتٍ نصوصٌ أخرى لتوفيق صايغ ، غير أن إطلاق المصطلح الجديد: قصيدة النثر - عبر أدونيس - استناداً إلى أطروحة سُوزان برنار عن قصيدة النثر الفرنسيّة ؛ التي قام أدونيس بعرضها في العدد الرابع عشر من مجلّة (شعر)، في عام 1960- أكّد على بداية حركةٍ مفصليّةٍ جديدةٍ في الشعريّة العربيّة ، وأثار المصطلح ولا يزال سجالاً واسعاً ، غير أن ما ساهم في تكريسهِ هو استخدام المؤيدين والمعارضين له ، عبر مُدّة نصف قرن .

وعبر هذه المسيرة غير القصيرة ، استطاعت قصيدة النثر أن تُؤسس خصوصيّتها النوعيّة ؛ باعتبارها شكلاً شعريّاً جديداً ، ذا ملامح وإجراءاتٍ ، تُشكّل مشهداً خاصاً ، في أرضٍ وعرةٍ .

وقد اقتضت دراسته هذا الشكل الشعريّ ، أن يرصد البحث قصاياهُ النوعيّة النظريّة ، ثم ينطلق إلى الكشف عن شعريّته ، وقد وجد البحث أمامه شعريّتين أساسيّتين تهيمنان على الفعل الشعريّ في قصيدة النثر؛ هما شعريّة الحادثة ، وشعريّة ما بعد الحادثة ؛ فتوقّف عند شعريّة الحادثة ، في محاولته الكشف عن شعريّتها الجديدة ، وآليات تشكيل هذه الشعريّة ، في الفصل المعنون بر (قصيدة من خارج الرّحم) ، ضمن الفصل الأول ؛ ليكشف عن مساراتٍ عديدةٍ لإنتاج شعريّتها؛ شكلتها أعمالُ رُواد الحادثة الشعريّة في قصيدة النثر العربيّة : توفيق صايغ ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وإبراهيم شكرالله ، وأدونيس ، وأنسي الحاج ، وشوقي أبو شقرا ، ومحمد الماغوط ، ثم توقّف البحث عند شعريّة ما بعد الحادثة في الفصل الثاني ؛ المعنون بر (شعريّة ما بعد الحادثة) ؛ ليرصد تجليات ما بعد الحادثة في الفعل الشعريّ لقصيدة النثر ، ثم توقّف البحث عند أبرز مُشكلات قصيدة النثر الرّاهنة .

ويُوضّح البحث أن ثمةً قيماً فنيّةً أخرى ، لم يتوقّف عندها ؛ نظراً لخروجها على أفق اشتغالاته ، وتحتاج إلى وقفاتٍ نقديةٍ مُعمّقة ، في أبحاثٍ أخرى ، ومن أبرزها:

- الغنائيّة الجديدة :- حيث انتشرت أصواتٌ شعريّة تُرسّخ لغنائيّةً جُوانيّةً خافتةً ؛ إلى حدّ النجوى والبوح ، وإلى حدّ اعتبارها صوت القلب والدّماء ، ومن أنضح ممثليها : أمجد

ناصر(خصوصاً في: سُرٌّ مَنْ رَأَى) ، وَبَسَامَ حَجَّار ، وَعَقْلُ الْعَوِيْط ، (في مُعْظَمِ أَشْعَارِهِ) ، كَمَا يُمْكِنُ تَلَمُّسُهَا بِوُضُوحٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ شُعْرِ عَبَّاسٍ بِيضُونَ ، وَفِي أَشْعَارِ نُورِي الْجَرَّاحِ ، وَوَدِيعِ سَعَادَةِ ، وَإِسْكَندَرَ حَبَشَ .

- قَصِيدَةُ النَّثْرِ الْمَلْحَمِيَّةِ : الْمُنْفَتِحَةُ عَلَى (السَّرْدِ الشَّعْرِيِّ) بِتَحَوُّلَاتِهِ النَّصِيَّةِ ، وَحَرَكَاتِهِ الدَّائِرِيَّةِ وَغَنَائِيَّاتِهِ السِّيَالَةِ ؛ الَّتِي يُمَكِّنُ اسْتِجْلَالَهَا فِي نَصِّ عَبْدِ وَازِنَ:(حَدِيقَةُ الْحَوَاسِ): 1993؛ الَّذِي يَبْلُغُ امْتِدَادُهُ الْمَوْصُولُ (134) صَفْحَةً مِنَ الْقَطْعِ الْمُتَوَسِّطِ .

- اللَّعِبُ : بِإِمْكَانِيَّاتِهِ التَّجْرِيَّةِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ ، وَانْتِهَاكَاتِهِ لِمَخْتَلَفِ الْبَنِيِّ النَّصِيَّةِ ، وَهُوَ مِنْ الْقِيَمِ الْمَهْمَةِ الَّتِي رَكَّزَتْ (مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ) عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا شُعْرَاؤُنَا كَمَا يَجِبُ ، وَالْإِنْتِبَاهُ الْوَاضِحُ نَجَدُهَا عِنْدَ علاء عبد الهادي فِي عَمَلِيهِ الشَّعْرِيِّينَ: (أَسْفَارٌ مِنْ نُبُوَّةِ الْمَوْتِ الْمَخْبَأِ) : 1996 ، وَ:(سِيرَةُ الْمَاءِ) : 1998 .

- تَفْجِيرُ الْمَرْكَزِ وَبَعَثَرَةُ الْمَشْهَدِ ، بِشَطَايَا أَسَالِيبٍ مُنَوَّعَةٍ : وَأَقْرَبُ التَّمَاذِجِ إِلَى هَذَا التِّيَارِ نَصُّ فَرِيدِ أَبِي سَعْدَةَ: (ذَاكِرَةُ الْوَعْلِ) : 1996 .

هُنَاكَ ، أَيْضًا ، تِيَّارٌ آخَرٌ يُمَثِّلُ: شَعْرِيَّةَ الْحَدَاثَةِ فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ ، يَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَةٍ مُمَاتِلَةٍ ، وَمِنْ شُعْرَاءِ هَذَا التِّيَارِ: أَدُونِيس ، وَقَاسِمُ حَدَّاد ، وَحَلَمِي سَالِم ، وَرَفَعَتُ سَلَام ، وَأَحْمَدُ زَرْزُور ، وَيُلَاحَظُ أَنَّ مُعْظَمَ الْحَدَاثِيِّينَ قَدْ بَدَأُوا بِقَصِيدَةِ الْوَزْنِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقَرُّوا فِي قَصِيدَةِ النَّثْرِ .

- شَعْرِيَّةُ السَّرِّيَالِيَّةِ الْجَدِيدَةِ : وَهِيَ شَعْرِيَّةٌ تَسْتَعِيدُ آلِيَّاتِ السَّرِّيَالِيَّةِ الْأُولَى ، بِوَعْيٍ مَا بَعْدَ حَدَاثِيٍّ ، وَتَتَبَدَّى فِي شِعْرِ فَتْحِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَسَامَةِ الْحَدَّادِ ، وَأَحْيَانًا فِي شِعْرِ يَحْيَى جَابِر . وَمَا بَيْنَ شَعْرِيَّةِ الْحَدَاثَةِ وَشَعْرِيَّةِ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ، ظَهَرَ تِيَّارٌ آخَرٌ رَاوَحَ بَيْنَهُمَا ، وَاحْتَلَّ شُعْرَاؤُهُ مَوَاقِعَ عَدِيدَةٍ ، فِي خَرِيطَةِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ ، وَمِنْ أَبْرَزِ مُمَثِّلِيهِ : مُحَمَّدُ قُرْنِي ، وَعَاطِفُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، حَسَنُ خَضِرٍ ، عَزْمِي عَبْدِ الْوَهَّابِ ، وَالْمَلَا حَظُّهُ أَنَّهُ حَتَّى الْآنَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرُصِدَ تِيَّارَ مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ تَحْدِيدَ شَاعِرٍ مَا بَعْدَ حَدَاثِيٍّ تَحَدَّدَ مَشْرُوعُهُ بِالْفِعْلِ ، غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ الْيَسِيرِ أَنْ نَجِدَ بَعْضَ الْمَلَامِحِ عِنْدَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ ، أَمَّا أَنْ نَجِدَ شَاعِرًا قَدْ اشْتَمَلَ وَعْيُهُ عَلَى زَوَايَا مَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ الْمُخْتَلِفَةِ فَهُوَ مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ إِلَى الْآنَ . ثَمَّةَ مَعَالِمٍ وَاضِحَةٍ لِمَا بَعْدَ الْحَدَاثَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، قَدْ جَاءَتْ نَتِيجَةً لِإِسْهَامِ جَمَاعِيٍّ ، وَجُحُودِ مُتَفَاوَتَةٍ ، فِي كُلِّ مَعْلَمٍ مِنْ مَعَالِمِهَا . وَالْبَحْثُ ، كَمَا اتَّضَحَ ، كَانَ مَعْنِيًا بِرُصْدِ تَحْلِيَّاتِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ - فِي فِعْلِهَا مَا بَعْدَ الْحَدَاثِيٍّ - لَا حَصْرَ شُعْرَاءِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ ، وَبِالتَّالِي تَغْيِيَتْ أَسْمَاءُ مُهْمَةٍ - بَعْضُهَا أَهَمُّ مِنْ بَعْضِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي حَضَرَتْ - لَا بُدَّ مِنْ حُضُورِهَا فِي أَبْحَاثٍ أُخْرَى .

وَلَا تَزَالُ قَصِيدَةُ النَّثْرِ فِي حَاجَةٍ إِلَى دِرَاسَةٍ زَوَايَا عَدِيدَةٍ ؛ تَكْشِفُ الْمَزِيدَ مِنْ تَحْلِيلَاتِهَا الْإِبْدَاعِيَّةِ
الْحَقِيقِيَّةِ وَآلِيَّاتِ بَنَائِهَا ، وَتُضِيءُ مَسَاحَاتٍ أُخْرَى مِنْ مَشْهَدِهَا الشَّعْرِيِّ الْخَاصِّ .

معجم شعراء البحث

إبراهيم شكر الله

وُلِدَ بالإسكندرية ، في الأول من فبراير 1921، وَحَصَلَ على ليسانس الآداب ، مِنْ قِسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة 1941، ثُمَّ على ليسانس التربية وعِلْم النفس ، مِنْ الجامعة الأمريكية بالقاهرة 1955، وَحَصَلَ على الماجستير مِنْ المعهد العالي للدراسات العربية 1955، ودبلوم في الأدب الألماني مِنْ جامعة بون ، وَعَمِلَ بِالصَّحَافَةِ ، ثُمَّ عَمِلَ مديراً لمركز المعلومات التابع لجامعة الدول العربية بأتاوا بكندا ، وَعُيِّنَ سفيراً لجامعة الدول العربية بالهند وجَنُوبِ شَرْقِ آسِيا ، كَتَبَ الشَّعْرَ الحرَّ - بِالمفهوم الأنجلو سكسوني - مُتَأَثِّراً بِالشَّعْرِ الحرِّ الإنجليزِيِّ ، وَبِتَجَرِبَةِ التَّصَوُّفِ ؛ وَبِخَاصَّةِ تَجَرِبَةِ النَّفَرِيِّ ، وَبَدَأَ نَشْرَهُ فِي السِّتِينِيَّاتِ ، فِي مَجَلَّتَيْ (شعر) وَ(أدب) ، وَجُمِعَتْ هَذِهِ الْقَصَائِدُ ، وَسِوَاهَا ، فِي دِيوانِهِ الوحيدِ : (مواقف العشق والهوان وطُيُورِ البَحْرِ) ، الصَّادِرِ عَنْ دَارِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ لِلطَّبَاعَةِ 1982، وَلَهُ مَسْرُوحِيَّةٌ شِعْرِيَّةٌ بِعَنْوَانِ : (رَحْلَةُ السَّنْدَبَادِ الْآخِرَةِ) ، وَكُتِبَتْ عَنْ التَّصَوُّفِ بِعَنْوَانِ : (مِصَارِعُ الْعُشَّاقِ) ، وَجُمِعَتْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ ، فِي كِتَابِ صَدَرَ عَنْ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلثَّقَافَةِ ، قَدَّمَ لَهُ : عبد العزيز موافي سنة 2003، وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ، فِي غَزَلَةٍ رَحَلَ - فِي صَمْتٍ - بَعْدَ إِصَابَتِهِ بِجُلْطَةٍ فِي الْمَخِّ ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي يَوْمِ 29 / 9 / 1995.

أحمد يمانى

وُلِدَ فِي عام 1970، وَحَصَلَ على ليسانس الآداب ، قِسم اللغة العربية ، مِنْ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ عام 1992، لَفَتْ إِلَيْهِ الْإِنْتِبَاهُ ، بِوَضُوحٍ ، ضِمْنَ مَجْمُوعَةِ شُعْرَاءِ أَوَائِلِ التَّسْعِينِيَّاتِ ، فِي مِصْرَ ؛ الَّتِي اعْتَنَقَتْ قَصِيدَةَ النَّشْرِ، وَجَعَلَتْهَا مَشْرُوعَهَا الْأَوْحَدَ ، أَصْدَرَ الدَّوَاوِينَ الْآتِيَّةَ : (شَوَارِعُ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ): 1995- (تَحْتَ شَجَرَةِ الْعَائِلَةِ): 1998- (وَرَدَاتُ فِي الرَّأْسِ): 2001، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى أُسْبَانِيَا فِي عام 2001 ، وَفِيهَا كَتَبَ دِيوانَهُ الْآخِيرَ: (أَمَاكِنُ خَاطِئَةٍ) 2008 .

أدونيس

أُسْمُهُ : علي أحمد سعيد اسبر، وُلِدَ في قَرْيَةِ قَصَّابِينَ ، بِمَحَافِظَةِ اللّاذِقِيَّةِ ، بِسُورِيَا فِي عَامِ 1930، وَلَمْ يَنْتَظِمَ فِي الدِّرَاسَةِ النَّظَامِيَّةِ قَبْلَ سِنِّ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ ، وَلَكِنَّهُ حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ - عَلَى يَدَيِّ وَالِدِهِ - وَحَفِظَ كَذَلِكَ بَعْضَ الْقَصَائِدِ ، تَخَيَّرَ لِنَفْسِهِ لَقَبَ : أَدُونِيسَ ، سَنَةَ 1948، وَقَدْ أَتَمَّ دِرَاسَتَهُ الْجَامِعِيَّةَ فِي الْفَلَسَفَةِ ، وَارْتَحَلَ إِلَى لُبْنَانَ فِي عَامِ 1956، وَشَارَكَ فِي تَأْسِيسِ مَجَلَّةٍ: (شِعْر) ، بِهَا ، فِي عَامِ 1957، ثُمَّ أَسَّسَ مَجَلَّةً: (مَوَاقِف) ، فِي عَامِ 1968، حَصَلَ عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاهِ فِي عَامِ 1973، عَنْ أَطْرُوحِيَّةٍ: (الثَّابِتُ وَالْمَتَحَوِّلُ : بحثٌ فِي الْاِتِّبَاعِ وَالْإِبْدَاعِ عِنْدَ الْعَرَبِ) ، وَدَرَسَ فِي كُليَّةِ التَّربِيَةِ ، بِالْجَامِعَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ مِنْ عَامِ 1974 حَتَّى 1978، وَمِنْ أَهَمِّ كُتُبِهِ النَّقْدِيَّةِ : (زَمَنُ الشَّعْرِ): 1972- (الثَّابِتُ وَالْمَتَحَوِّلُ): 1978- (فَاتِحَةُ لِنَهَايَاتِ الْقَرْنِ): 1980- (سِيَاسَةُ الشَّعْرِ : دِرَاسَةٌ فِي الشَّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ): 1985- (الصُّوفِيَّةُ وَالسُّورِيَالِيَّةُ): 1992- وَلَهُ تَرْجُمَاتٌ عَنْ: سَانَ جُون بِيرْسَ ، وَجُورْجِ شَحَادَةَ ، وَرَاسِينَ ، وَأَعْمَالُهُ الشَّعْرِيَّةُ عَدِيدَةٌ ، وَهِيَ (قَصَائِدُ أُولَى) - (أَوْرَاقٌ فِي الرِّيحِ) - (أَغَانِي مِهْيَارِ الدَّمَشْقِيِّ) (كِتَابُ التَّحَوُّلَاتِ وَالْهَجْرَةِ فِي أَقَالِيمِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ) - (الْمَسْرُوحُ وَالْمَرَايَا) - (وَقْتُ بَيْنَ الرَّمَادِ وَالْوَرْدِ) - (كِتَابُ الْقَصَائِدِ الْخَمْسِ يَلِيهَا الْمَطَابَقَاتُ وَالْأَوَائِلُ) - (مَقْرَدٌ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ) - (كِتَابُ الْحَصَارِ) - (شَهْوَةٌ تَتَقَدَّمُ فِي خَرَائِطِ الْمَائِدَةِ) - (اِخْتِفَاءٌ بِالْأَشْيَاءِ الْوَاضِحَةِ الْغَامِضَةِ) - (الْكِتَابُ) - (أَوَّلُ الْجَسَدِ أَوَّلُ الْبَحْرِ) - (تَنْبَأُ أَيُّهَا الْأَعْمَى) .

أَسَامَةُ الدَّنَاصُورِي

وُلِدَ فِي دِسُوقَ ، فِي عَامِ 1960 ، وَحَصَلَ عَلَى بَكَالوريوسِ عُلُومِ الْبَحَارِ، مِنْ جَامِعَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي عَامِ 1984، وَأَقَامَ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي عَامِ 1995، أَصْدَرَ الدَّوَاوِينَ الْآتِيَةَ : (خَرَاشُفُ الْجَهْمِ): 1991- (مِثْلُ ذَنْبٍ أَعْمَى): 1996- (عَلَى هَيْئَةٍ وَاحِدٍ شَبَّهِي) بِالْعَامِيَّةِ الْمَصْرِيَّةِ: 2001- (عَيْنٌ سَارِحَةٌ وَعَيْنٌ مُنْدَهَشَةٌ): 2003 - وَلَهُ سِيرَةٌ ذَاتِيَّةٌ بِعَنْوَانِ: (كَلْبِي الْهَرَمِ كَلْبِي الْحَبِيبِ) ؛ يُورِّخُ فِيهِ لِفَتْرَةِ مَرَضِهِ بِالْفَسْلِ الْكُلُوبِيِّ ؛ الَّذِي أَنْهَى حَيَاتَهُ فِي الرَّابِعِ مِنْ يَنَايِرِ 2007.

أُجْدَرِيَّان

وُلِدَ فِي الْقَاهِرَةِ فِي عام 1953، حَصَلَ عَلَى ليسانس الآداب ، مِنْ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ الماجستير فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ وَمُؤَخَّرًا حَصَلَ عَلَى الدُّكْتُورَاه ، شَارَكَ فِي تَأْسِيسِ مَجَلَّةٍ: (إِضَاءة) الشَّعْرِيَّة ، فِي أَوَاخِرِ السَّبْعِينِيَّاتِ ، بِالْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ أَصْدَرَ مَجَلَّةً: (الْفِعْلُ الشَّعْرِي) ، لَهُ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ الإِصْدَارَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَالتَّقْدِيَّةِ ؛ وَمِنْ إِصْدَارَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ: (أَغْنِيَاتُ حُبٍّ لِلأَرْضِ): 1972- (الْخَضْرَاءُ): 1978- (أَحْرُثُ وَهَجَ التَّخِيلِ): 1983- (حَافَةُ الشَّمْسِ): 1989- (لَا حُدَّ لِلصَّبَاحِ): 1990- (أَيُّهَا الطِّفْلُ الْجَمِيلُ اضْرِبْ): 1990- (أَوْقَعُ فِي الرِّزْغِ الْأَبْيَضِ): 1991- (أَمْسُ كَانَتْ): 1991- (مِرَاةٌ لِلْأَهَةِ): 1991- (نُوسْتَالُوجِيَا): 2002- (بَرْوِيلُ جَانِبِيَّ أَمَامِيَّ): 2006- (ضِدَّ الْفَرَاغِ الْعَاطِفِيِّ): 2008. وَمِنْ إِصْدَارَاتِهِ النَّقْدِيَّةِ: (الْحَرَكَ الْأَدْبِيَّ): 1996- (مِنْ التَّعَدُّدِ إِلَى الْحَيَادِ): 1997، وَغَيْرَهَا.

أُنْسِي الْحَاج

وُلِدَ فِي بِيروت ، فِي عام 1937، وَدَرَسَ فِي مَدْرَسَةِ الْحِكْمَةِ ، عَمِلَ بِالصَّحَافَةِ مُنْذُ كَانَ عُمُرُهُ 29 عامًا: (1956) ، عَمِلَ بِجَرِيدَةٍ: (الْحَيَاة) ثُمَّ فِي (النَّهَار) ؛ الَّتِي يَرَأْسُ تَحْرِيرَهَا حَالِيًا . شَارَكَ فِي تَأْسِيسِ مَجَلَّةٍ: (شِعْر) ، وَنَشَرَ فِيهَا تَرْجُمَاتِهِ وَقَصَائِدَهُ وَمَقَالَاتِهِ النَّقْدِيَّةَ ، وَعَنْ دَارٍ: (شِعْر) صَدَرَ دِيَوَانُهُ الْأَوَّلُ: (لَنْ): 1960، وَأَعْقَبَهُ بِالْدَّوَابِينِ الْآتِيَةِ: (الرَّأْسُ الْمَقْطُوعُ): 1963- (مَاضِي الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ): 1965- (مَاذَا صَنَعْتَ بِالذَّهَبِ ، مَاذَا فَعَلْتَ بِالْوَرْدَةِ): 1970- (الرَّسُولَةُ بِشِعْرِهَا الطَّوِيلِ حَتَّى الْيَنَابِيعِ): 1975- (الْوَلِيمَةُ): 1994- وَكُتَابَاتٌ إِبْدَاعِيَّةٌ أُخْرَى ؛ مِنْهَا: (كَلِمَاتٌ ، كَلِمَاتٌ ، كَلِمَاتٌ) 1988- (خَوَاتِمُ): 1991- (خَوَاتِمُ 2) 1997.

الْبَهَاءُ حُسَيْن

وُلِدَ فِي أَحْمِيم ، بِسُوهَاج ، عام 1969، أَقَامَ بِمَرْسَى مَطْرُوح ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، يَعْمَلُ مُذِيعًا بِإِذَاعَةٍ: (صَوْتِ الْعَرَبِ) ، أَصْدَرَ الدَّوَابِينَ الْآتِيَةَ: (نَفْسُ الْبَحْرِ): 1999- (الْبَحْرُ كَالْعَادَةِ): 2002- (عُودُ ثِقَابٍ أَخِيرٍ): 2003- (نَصُّ الْكِلَابِ): 2003- (آثَارُ جَانِبِيَّةٍ

لِلسَّعَادَةِ: 2008 ، وَصَدَرَتْ لَهُ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ بِعَنْوَانٍ: (تَأْوِيلُ الْعَابِرِ): 2000، وَكِتَابٌ: (قَرِيبًا مِنْ بَهَاءِ طَاهِرٍ: مُحَاوَرَاتٍ وَمَلَامِحَ): 2004.

إِيْمَانُ مِرْسَالٍ

وُلِدَتْ فِي قَرْيَةٍ مِيتَ عَدْلَانِ ، بِمَحَافِظَةِ الدَّقْهَلِيَّةِ ، فِي عَامِ 1996، حَصَلَتْ عَلَى الْمَاجِسْتِيرِ مِنْ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ حَوْلَ (التَّنَاصُ الصُّوفِيِّ فِي شِعْرِ أَذُونَيْسٍ) ، ارْتَحَلَتْ إِلَى كَنْدَا ، وَدَرَسَتْ - مُنْذُ عَامِ 1999- اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ بِجَامِعَةِ الْبِيرْتَا ، بِكَنْدَا ، أَصْدَرَتْ دِيْوَانَهَا الْأَوَّلَ (اتِّصَافَاتٍ): 1990، مِنْ شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ ، ذِي الْأَدَاءِ الصُّوفِيِّ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ ، تَمَامًا ، إِلَى مَشْهَدِ قَصِيدَةِ النَّشْرِ ، فَأَصْدَرَتْ : (مَمَرٌ صَغِيرٌ يَصْلُحُ لِتَعْلِيمِ الرَّقْصِ): 1995، ثُمَّ (الْمَشْيُ أَطْوَلَ وَقْتُ مَمَكِنٍ): 1997، ثُمَّ (جُغْرَافِيَا بَدِيلَةٌ): 2006.

إِيْهَابُ خَلِيفَةٍ

وُلِدَ فِي الْمَحَلَّةِ الْكُبْرَى ، فِي التَّاسِعِ مِنْ دِيَسَمْبَرِ 1973، وَتَخَرَّجَ فِي كُليَّةِ الْآدَابِ جَامِعَةِ طَنْطَا ، قِسَمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَامَ 1995، وَعَمِلَ بِالتَّدْرِيسِ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ؛ لِيَعْمَلَ بِمَدَارِسِهَا ، ثُمَّ عَادَ وَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ ، وَلَهُ الدَّوَاوِينُ الْآتِيَةُ : (أَكْثَرُ مَرَحًا مِمَّا تَظُنُّ): 1998- (طَائِرٌ مُصَابٌ بِأَنْفُلُونِزَا): 2006- (مَسَاءٌ يَسْتَرِيحُ عَلَى الطَّائِلَةِ): 2007- (قَبْلَ اللَّيْلِ بِشَارِعٍ): 2008 .

بَسَامُ حَبَّارٍ

وُلِدَ فِي عَامِ 1955، أَقَامَ فِي صَيْدَا، بَلْبَنَانِ ، وَعَمِلَ صَحَافِيًّا فِي جَرِيدَتَيْ: (النَّهَار) وَ(السَّفِير) ، أَصْدَرَ مَجْمُوعَةً مِنَ الدَّوَاوِينِ وَالتَّرْجَمَاتِ الْأَدْبِيَّةِ ، وَمِنْ الدَّوَاوِينِ: (مَشَاغِلُ رَجُلٍ هَادِيءٍ جِدًّا) 1980- (لَأَرْوِي كَمَنْ يَخَافُ أَنْ يَرَى): 1985- (فَقَطْ لَوْ يَدُكَ): 1990- (صُحْبَةُ الظَّلَالِ): 1992- (مَجْرَدُ تَعَبٍ): 1993- (مِهْنُ الْقَسْوَةِ): 1993- (مُعْجَمُ الْأَشْوَاقِ): 1994- (حِكَايَةُ الرَّجُلِ الَّذِي أَحَبَّ الْكُنَّارِيَّ): 1996- (مَدِيحُ الْخِيَانَةِ): 1997- (بِضْعَةُ أَشْيَاءَ): 1997- (أَلْبُومُ الْعَائِلَةِ): 2001، وَمِنْ تَرْجَمَاتِهِ: (إِنِّي ذَاهِبٌ) لِحَنَانِ أَشِينُو ، 2005- (غُرْفَةُ مِثَالِيَّةٍ لِرَجُلٍ مَرِيضٍ) لِيُوكُوَا وَغَاوَا، 2005.

بُول شَاوُول

وُلِدَ فِي عام 1944، فِي سِنِّ الْفِيلِ ، بِبِירוْت ، وَحَصَلَ عَلَى إِجَازَتِهِ مِنْ كُلِّيَّةِ الْآدَابِ ، بِالْجَامِعَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ ، وَعَمِلَ بِالصَّحَافَةِ الثَّقَافِيَّةِ ، وَكَانَ مَسْئُولَ الْقِسْمِ الثَّقَافِيِّ فِي مَجَلَّةِ: (المَوْقِفِ الْعَرَبِيِّ) حَتَّى عام 1992، ثُمَّ رَأَسَ الْقِسْمَ الثَّقَافِيَّ فِي جَرِيدَةِ السَّفِيرِ ، لَهُ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ الإِصْدَارَاتِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَالْمُسْرَحِيَّةِ ، وَالتَّقْدِيَّةِ ، وَالتَّرْجُمَاتِ ؛ فَمِنْ الإِصْدَارَاتِ الشَّعْرِيَّةِ: (بُوصَلَةُ الدَّمِ): 1977- (وَجْهٌ يَسْقُطُ وَلَا يَصِلُ): 1981- (مَوْتُ نَرْسِيْس): 1990- (أَوْرَاقُ الْغَائِبِ): 1992- (دَفْتَرُ سِيحَارَةٍ): 2008- (بِلَا أَثَرٍ يُذَكِّرُ): 2008- (حُجْرَةٌ مَلِيئَةٌ بِالصَّمْتِ): 2009- (حَدِيقَةُ الْمَنْفَى الْعَالِي): 2009 . وَمِنْ إِصْدَارَاتِهِ الْمُسْرَحِيَّةِ: (الْمَتَمَرِّدَةُ) وَ(قَنَاصُ يَاقَنَاصُ) وَ(السَّاعَةُ خَمْسَةٌ) وَ(مِيْنَةُ تِذْكَارِيَّةٍ) . وَمِنْ إِصْدَارَاتِهِ التَّقْدِيَّةِ: (عَلَامَاتُ الثَّقَافَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ) وَ(الْمُسْرَحُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ) . وَمِنْ تَرْجُمَاتِهِ: (نَهَايَةُ اللَّعْبَةِ) لَصَامُوِيلِ بِيكْت ، وَ(كِتَابُ الشَّعْرِ الْفَرَنْسِيِّ الْحَدِيثِ) .

تَوْفِيقُ صَايَغ

وُلِدَ فِي عام 1923، وَهُوَ فَلَاسْطِينِي الْأَصْلِ ، انْتَقَلَ إِلَى بِيروْت ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى إِنْجَلْتِرَا وَأَمْرِيكََا وَدَرَسَ فِي جَامِعَتَيْهَا ، أَصْدَرَ مَجَلَّةً: (حَوَارٍ) فِي بِيروْت ، بَيْنَ عَامَيْ (1962- 1967)، وَهُوَ فِي طَلِيْعَةِ مَنْ كَتَبُوا الْقَصِيدَةَ النَّثْرِيَّةَ ، تَحْتَ مُصْطَلَحِ الشَّعْرِ الْحَرِّ، مُنْذُ عام 1947، مُتَأَثِّرًا بِمَفْهُومِ الشَّعْرِ الْحَرِّ الْأَنْجَلُوسَكْسُونِيِّ ، وَبِالتَّصَوُّفِ الْمَسِيحِيِّ ، أَعْمَلَهُ الشَّعْرِيَّةُ هِيَ: (ثَلَاثُونَ قَصِيدَةً): 1954- (الْقَصِيدَةُ كُ): 1960- (مُعَلَّقَةُ تَوْفِيقِ صَايَغ): 1963، كَمَا صَدَرَتْ لَهُ مَجْمُوعَةٌ: (صَلَاةُ جَمَاعَةٍ ثُمَّ فَرْدٍ) ضِمْنَ مَجَلَدِ الْأَعْمَالِ الشَّعْرِيَّةِ الْكَامِلَةِ ، الصَّادِرِ عَنْ دَارِ رِيَاضِ الرِّيسِ لِلْكِتَابِ وَالنَّشْرِ ، بِلَنْدَنْ ، 1990. تُوْفِّيَ عام 1971.

جَبْرَا إِبْرَاهِيمُ جَبْرَا

وُلِدَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ ، بِفَلَاسْطِينِ ، فِي عام 1920، انْتَقَلَ إِلَى الْعِرَاقِ لِيُقِيمَ فِيهِ مُنْذُ 1948، وَهُوَ شَاعِرٌ ، وَرَوَائِيٌّ ، وَرَسَّامٌ ، وَكَاتِبُ سِينَارِيُو، وَمُتَرْجِمٌ ، وَنَاقِدٌ ، أَصْدَرَ ثَلَاثَةَ دَوَاوِينِ هِيَ :

(تمؤز في المدينة): 1959- (المدار المغلق): 1964- (لوعة الشمس): 1979، وجمعت هذه الدواوين في مجلد واحد ؛ صدر عن دار رياض الرئيس للكتب والنشر بلندن ، 1990. كما أسس جبرا - مع جواد سليم وغيره من رسامي العراق - جماعة الفن الحديث عام 1951، وأصدر مجموعة من الروايات ، هي: (صراخ في ليل طويل) - (صيادون في شارع ضيق) - (البحث عن وليد مسعود) - (العرف الأخرى) - (السفينة) - (يوميات سراب عفتان) .

وفي النقد الأدبي له عدة كتب منها : (الحرية والطوفان): 1960- (الرحلة الثامنة): 1967، وفي الترجمة ترجم سبع مسرحيات لشكسبير، ومجموعة من سوناتاته ، وترجم لفوكنر: (الصخب والغفوان) ، وتبلغ مؤلفاته أربعة وستين كتابا ، وقد توفي في عام 1994.

حلمي سالم

وُلد في الزاهب ، بالقرب من شين الكوم ، في 16 من يونيو 1951، درس الصحافة في جامعة القاهرة ، شارك في تأسيس مجلة: (إضاءة) الشعرية ، ثم أصدر مجلة: (قوس قزح) الأدبية المستقلة ، عمل صحافيا في جريدة: (الأهالي) ، ومديرا لتحرير مجلة: (أدب ونقد) ، ثم رئيسا لتحريرها ، وله مجموعة من الإصدارات الشعرية والنقدية ؛ ففي الشعر أصدر: (الغربة والانتظار) 1972، بالاشتراك مع رفعت سلام - (حبيتي مزروعة في دماء الأرض): 1974- (سكندريا يكون الألم): 1981- (الأبيض المتوسط): 1984- (سيرة بيروت): 1986- (البائية والحائي): 1988- (دهاليزي والصيف ذو الوطء): 1990- (فقه اللذة): 1990- (الشغاف والمرميات): 1994- (سراب التريكو): 1995- (الواحد الواحدة): 1997- (يوجد هنا عيمان): 2001- (تجليات الحجر الكريم): 2003- (الغرام المسلخ): 2005، (عيد ميلاد سيدة النبع): 2005- (مدائح جلطة المخ): 2006- (حمامة بنت جيل): 2007- (الثناء على الضعف): 2007- (الشاعر والشيخ): 2008.

وفي الدراسات الأدبية من إصداراته: (الثقافة تحت الحصار): 1984- (الوتر والغارفون): 1990- (الحداثة أخت التسامح): 2001- (ثقافة كاتم الصوت): 2003- (صيف لبنان المشتعل): 2007.

توفي - بعد صراع تجاوز العام - في 28 من يوليو 2012.

خزعل الماجدي

وُلِدَ في كركوك بالعراق ، في عام 1951، وَحَصَلَ على الماجستير في عِلْمِ الأَحْيَاءِ الدَّقِيقَةِ ،
ثُمَّ الدُّكْتُورَاهُ في تَارِيخِ الحَضَارَةِ ، يَعْمَلُ - حَالِيًا - مُحَاضِرًا في كُليَّةِ الآدَابِ ، جَامِعَةِ دِرْنَةِ ،
في لِيبيَا ، أَعْمَالُهُ الشَّعْرِيَّةُ هِيَ: (يَقْطَعُ دِلْمُونَ) - (أَنَاشِيدُ اسْرَافِيل) - (مُوسِيقَى لِهْدَمِ البَحْرِ)
- (كِتَابُ خَزْرَائِيل) - (هِيروغليفيَا رَغْوَةِ الوُرْدَةِ) ، وَقَدْ صَدَرَ الجزءُ الأوَّلُ مِنْ أَعْمَالِهِ
الشَّعْرِيَّةِ الكَامِلَةِ عَنِ المَوْسَسَةِ العَرَبِيَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ ، بِبِירוْتِ في عَامِ 2001، وَفِي
المَسْرَحِ لَهُ: (عُزْلَةُ الكَرِيسْتَالِ ، ثُمَّ حَفْلَةُ المَاسِ) - (هَامِلَتِ بِلَا هَامِلَتِ) - (سِيدْرَا) ، وَفِي
السَّحْرِ وَالأَسْطُورَةِ وَبِخَاصَّةٍ فِي بِلَادِ الرَّاغِدِينَ لَهُ : (إِنجِيلُ بَابِل) - (سِفْرُ سُوْمَر) - (سِفْرُ
النِّيلِ) - (السَّحَرُ وَالدِّينُ وَالأَسْطُورَةُ فِي بِلَادِ مَابِينِ النَّهْرَيْنِ) - (تَارِيخُ القُدْسِ القَدِيمِ) .
(المَعْتَقَدَاتُ الرُّومَانِيَّةُ) - (المَعْتَقَدَاتُ الآرَامِيَّةُ) - (أَذْيَانُ وَمَعْتَقَدَاتُ مَا قَبْلَ التَّارِيخِ) -
(الدِّينُ المِصْرِيُّ) - (الدِّينُ السُّومَرِيُّ).

سرمكون بولص

وُلِدَ بالقَرَبِ مِنْ بَحِيرَةِ الحَبَّانِيَّةِ بِالعِرَاقِ ، فِي عَامِ 1944، عُرِفَ فِي أَوَاخِرِ سِتِينِيَّاتِ القَرْنِ
الْمَاضِي؛ ضِمْنَ مَنْ عُرِفُوا بِشُعْرَاءِ جَمَاعَةِ كَرْكُوكَ ، مَعَ فَاضِلِ العَرَائِي ، وَمُؤَيَّدِ الرَّائِي ، وَجَانِ
دَمُو ، وَصَلَاحِ فَائِقِ ، ثُمَّ عُرِفَ عَلَى نِطَاقٍ أَوْسَعٍ ؛ حِينَ بَدَأَ أَدُونِيسُ يَنْشُرُ أَشْعَارَهُ فِي
مَجَلَّةٍ: (مَوَاقِفِ) ، أَقَامَ فِي سَانَ فَرَنسِيْسْكَو بِالْوِلَايَاتِ المِتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ بَيْنَ عَامِي 1969،
1982، ثُمَّ تَنَقَّلَ بَيْنَ أَمْرِيكََا اللَاتِينِيَّةِ وَبَعْضِ الدُّوَلِ الأَوْرُوبِيَّةِ ، وَأَقَامَ فِي أَلْمَانِيَا ؛ وَنَالَ مِِنْحَةً
لِلتَّفَرُّغِ الأَدَبِيِّ ، أَصْدَرَ عَنْهَا كِتَابَيْنِ بِالْأَلْمَانِيَّةِ هُمَا: (غُرْفَةُ مَهْجُورَةٍ): 1996- (شُهُودٌ عَلَى
الصُّفَافِ): 1997، وَأَصْدَرَ الدَّوَاوِينَ الآتِيَّةَ: (الْوُصُولُ إِلَى مَدِينَةِ أَيْنِ): 1985- (الْحَيَاةُ قُرْبُ
الْأَكْرَبُولِ): 1988- (الأَوَّلُ وَالتَّالِي): 1995- (حَامِلُ الفَانُوسِ فِي لَيْلِ الذَّنَابِ): 1996-
(إِذَا كُنْتُ نَائِمًا فِي مَرْكَبِ نُوحٍ): 1988، وَهِيَ الأَعْمَالُ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُ أَحَدَ العَلَامَاتِ
الكُبْرَى ، فِي مَشْهَدِ قَصِيدَةِ النَّشْرِ العَرَبِيَّةِ ، تُوفِّيَ فِي 22 مِنْ أَكْتُوبَرِ 2007 .

سعدِي يوسف

وُلِدَ في أبي الخصب ، بالبصرة ، في العراق ، في عام 1934 ، وأكمل دراسته الثانوية في
 البصرة ، وحصل على ليسانس شرف في آداب العربية ، وعمل في التدريس والصحافة
 الثقافية ، تنقل بين عدة بلدان عربية وغربية ، وطُورِدَ وسُجِنَ ونُفي ، كتب في مختلف الأنواع
 الأدبية ، ومُعْظَمُ أعماله وأبرزها أشعاره ؛ ومنها الدواوين الآتية: (القرصان): 1952- (أغنيات
 ليست للآخرين): 1955- (51 قصيدة): 1959- (التجم والرماذ): 1960- (قصائد
 مريئة): 1965- (بعيداً عن السماء الأولى): 1970- (نهايات الشمال الأفريقي): 1972-
 (الأخضر بن يوسف وشواغله): 1972- (تحت جدارية فائق حسن): 1974- (الليالي
 كلها): 1976- (الساعة الأخيرة): 1977- (كيف كتب الأخضر بن يوسف قصيدته
 الجديدة): 1977- (قصائد أقل صمتاً): 1979- (من يعرف الوردة): 1981- (يوميات
 الجنوب يوميات الجنون): 1981- (مريم تأتي): 1983- (النبوغ): 1983- (خذ وردة
 الثلج ، خذ القيروانية): 1987- (محاولات): 1990- (قصائد باريس ، شجرة إيثاكا
): 1992- (جنه المنسيات): 1993- (الوحيد يستيقظ): 1993- (ايروتিকা): 1994-
 (كل حانات الدول): 1995- (قصائد العاصمة القديمة): 2001- (أربع حركات: قصائد
 مختارة): 1996- (حانه الفرد المفكر): 1997- (يوميات أسير القلعة): 2000- (حياة
 صريحة): 2001 ، وله ترجمات عديدة ، منها: (أوراق العشب) ، لولت وايمان ، 1979-
 (وداعاً للإسكندرية التي تفقدناها) لكفاقي ، 1979- (إيماءات) ، ليانيس ريتسوس ، 1979 ،
 وغيرها ، وفي القصة القصيرة له: (نافذة في المنزل المغربي): 1974 ، وفي المسرح كتب
 المسرحية الشعرية: (عندما في الأعالي): 1989 ، وكتب رواية: (مثلث الدائرة): 1994 ،
 وجمعت مقالاته المتنوعة في عدة كتب .

سليم بركات

شاعرٌ وروائيٌ ، سوريٌ ، من أصلٍ كُرْدِيٍّ ، وُلِدَ في القامشلي عام 1951 ، ودرس الأدب
 العربي في دمشق وبيروت في عام 1970 ، قبل أن يهاجر ، بدأ بشعر التفعيلة في أوائل
 السبعينيات ثم انتقل إلى قصيدة النثر ، شارك الشاعر محمود درويش في إصدار مجلة:
 (الكرمل) ، وكتب أكثر من ستين مؤلفاً في الشعر والرواية والسيرة الذاتية ؛ ومن دواوينه:
 (كل داخل سيهتف لأجلي ، وكل خارج أيضاً) - (هكذا أبغضت موسيسانا) - (للغبار ،
 لشمدين ، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك) - (الجمهرات) - (الكراكي) - (بالشباك ذاتها

، بِالثَّعَالِبِ الَّتِي تَفُودُ الرِّيحَ) - (البَازِيَارُ) - (المَجَابِهَاتُ ، المَوَائِقُ ، الأَجْرَانُ ، التَّصَارِيفُ ، وَغَيْرِهَا) - (طَيْشُ الْيَافُوتِ) - (المِثَاقِيلُ) - (المُعْجَمُ) - (شَعْبُ الثَّالِثَةِ فَجْرًا مِنَ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ) - (ترجمة البازلت) ، وَمِنْ رَوَايَاتِهِ: (فُقَهَاءُ الظَّلَامِ) - (أَرْوَاحُ هِنْدَسِيَّةٍ) - (الرَّيْشُ) - (مُعْسَكَرَاتُ الْأَبَدِ) - (الْفَلَكيُّونَ فِي ثَلَاثَةِ الْمَوْتِ) - (أَنْقَاضُ الْأَزْلِ) - (الأَخْتَامُ وَالسَّدِيمُ) - (مَوْتَى مُبْتَدِئُونَ) - (السَّلَامُ الرَّمْلِيَّةُ) - (هِيَاجُ الْأَوْزِ) .

شوقي أبو شقرا

وُلِدَ فِي بِيروت ، فِي عَامِ 1935، وَتَخَرَّجَ فِي مَعْهَدِ الْحِكْمَةِ بِبِيروت ، عَمِلَ بِالصَّحَافَةِ ، وَهُوَ حَالِيًا الْمَسْنُولُ الثَّقَافِيُّ فِي جَرِيدَةِ النَّهَارِ ، عُرِفَ فِي الْبِدَايَةِ كَأَحَدِ شُعْرَاءِ حَلْقَةِ الثُّرَيَّا ، ثُمَّ كَأَحَدِ شُعْرَاءِ مَجَلَّةِ شِعْرِ اللَّبْنَانِيَّةِ ، وَسَكَرْتِيرِ تَحْرِيرِهَا ، وَلَهُ مَجْمُوعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الدَّوَاوِينِ ، مِنْهَا : (أَكْيَاسُ الْفُقَرَاءِ): 1959- (خُطَوَاتُ الْمَلِكِ): 1960- (مَاءٌ إِلَى حِصَانِ الْعَائِلَةِ: 1962- (سِنَجَابٌ يَقَعُ مِنَ الْبُرْجِ): 1971- (يَتَبَعُ السَّاحِرَ وَيَكْسِرُ السَّنَابِلَ رَاكِضًا) - (خَيْرَتِي جَالِسَةً ثُقَاحَةً عَلَى الطَّائِلَةِ) - (لَا تَأْخُذْ تَاجَ فَتَى الْهَيْكَلِ) 1992- (صَلَاةُ الْاِشْتِيَاقِ عَلَى سَرِيرِ الْوَحْدَةِ): 1994- (ثِيَابُ سَهْرَةِ الْوَاحَةِ وَالْعُشْبِ): 1998- (نُوتِي مُزْدَهَرُ الْقَوَامِ): 2002.

صُبْحِي مُوسَى

وُلِدَ فِي قَرْيَةٍ سَمَّا بِمَحَافِظَةِ الْمَنُوفِيَّةِ ، فِي عَامِ 1972، تَخَرَّجَ فِي كَلِيَّةِ الْآدَابِ ، جَامِعَةِ الْمَنُوفِيَّةِ ، أَصْدَرَ الدَّوَاوِينَ الْآتِيَةَ : (يُفْرِفُ بِجَانِبِهَا وَحْدَهُ): 1998- (قَصَائِدُ الْغُرُفَةِ الْمَغْلَقَةِ): 2001- (هَانِيَالُ): 2003- (لَهَذَا أَرْحَلُ): 2005، وَأَصْدَرَ الرِّوَايَاتِ الْآتِيَةَ : (صَمْتُ الْكَهْنَةِ): 2003- (حَمَامَةٌ بِيضَاءُ): 2005- (الْمَوْلُفُ): 2008. عَمِلَ بِإِدَارَةِ النِّشْرِ بِالْهَيْئَةِ الْعَامَةِ لِقُصُورِ الثَّقَافَةِ ، ثُمَّ بِإِدَارَةِ الْمَسْرَحِ ، بِالْهَيْئَةِ نَفْسِهَا ، كَمَا يَعْمَلُ مُحَرِّرًا صَحَافِيًا بِمَكْتَبِ جَرِيدَةِ (الْقَبَسِ) الْكُوَيْتِيَّةِ.

عَبَّاسُ بِيضُون

وُلِدَ فِي لَبْنَانَ ، فِي عَامِ 1947، عَمِلَ بِالتَّدْرِيسِ وَبِالصَّحَافَةِ ، وَبِجَانِبِ الشُّعْرِ يَكْتُبُ الْمَقَالَ النَّقْدِيَّ ، بَدَأَ شَاعِرًا تَفْعِيلِيًّا ، ثُمَّ انْتَقَلَ كَلِيَّةً إِلَى مَشْهَدِ قَصِيدَةِ النَّشْرِ؛ لِيُرسِي فِيهَا تَجْرِبَتَهُ

الخاصّة ؛ التي أفادت بوضوح من عمل يانيس ريتسوس، و رينيه شار، من دواوينه : (صور):
1974- (صيد الأمثال): 1981- (مدافن زجاجية): 1982- (الوقت بجرعات كبيرة):
1982- (زوار الشتوة الأولى): 1985- (نقد الألم): 1987- (حجرات): 1987- (خلاء
هذا القدح): 1990- (أشقاء ندمنا): 1993- (لمريض هو الأمل): 1997- وصدرت
مختاراته الشعرية في مصر ، بعنوان : (دعوا الشقاء سالماً): 1998، وكتب رواية
بعنوان: (تحليل دم)، وصدرت أعماله الشعرية الكاملة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر
، بيروت ، في عام 2008.

عبد وازن

شاعرٌ وصحافيٌّ وناقدٌ لبنانيّ ، وُلد في عام 1956، درس الفلسفة والأدب العربيّ ، في
الجامعة اللبنانية ، وبدأ الكتابة في عام 1980، ونشر ديوانه الأول في عام 1982، يعمل
مترجماً من الفرنسيّة إلى العربيّة ، ومسؤولاً عن الصفحة الثقافية في جريدة (الحياة) ، صدر
له : (أبواب النوم): 1996- (سراج الفتن): 2000- (نار العودة): 2003- (حياة
معطلة): 2007، أمّا نصّه (حديقة الحواس) فقد أصدره في عام 1993، وصدر قرارٌ بحظر
توزيعه وتداوله ، من الرقيب اللبناني.

عزمي عبد الوهاب

وُلد في قرية الدراكسة ، بالدقهلية ، في عام 1964، وحصل على ليسانس الآداب ، قسم
اللغة العربيّة ، يعمل صحافيّاً في مجلة (الأهرام العربيّ) ، بدأ شاعراً تفعليّاً ، ثمّ انتقل - مع
شعراء جيله - إلى شكل قصيدة النثر ، في بدايات التسعينات من القرن الماضي ، وأصدر
الدواوين الآتية: (الأسماء لا تليق بالأمّكن): 1996- (بأكاذيب سوداء كثيرة): 1996-
(التوافد لا أثر لها): 1998- (بعد خروج الملاك): 2003- (حارس الفنار العجوز):
2008.

عفيف إسماعيل

وُلِدَ فِي مَدِينَةِ الْحِصَاصِيصَا، بِالسُّودَانِ، فِي عَامِ 1962، يُقِيمُ - حَالِيًا - فِي مَدِينَةِ بِيرُث، غَرْبِ أَسْتْرَالِيَا، أَصْدَرَ الدَّوَاوِينَ الْآتِيَةَ: (فَخَاخٌ.. وَثَمَّةٌ أَثَرُ)، بِالْخَرْطُومِ ، 2001- (رِهَانُ الصَّلْصَالِ)، بِالقَاهِرَةِ ، 2003- (مَمَرٌ إِلَى رَائِحَةِ الْخَفَاءِ)، بِالقَاهِرَةِ ، 2006.

عَلَاءُ عَبْدِ الْهَادِي

وُلِدَ فِي طَنْطَا ، فِي أْبْرِيلِ 1956، حَصَلَ عَلَى دَكْتَوْرَاهِ الْفَلَسَفَةِ فِي النَّقْدِ الْأَدْبِيِّ ، مِنْ أَكَادِمِيَّةِ الْعُلُومِ الْمَجْرِيَّةِ ، أَصْدَرَ أَعْمَالَهُ الشَّعْرِيَّةَ الْآتِيَةَ: (لَكَ صِفَةُ الْيَنَابِيْعِ يَكْشِفُكَ الْعَطَشُ): 1987- (حَلِيْبُ الرَّمَادِ): 1994- (مِنْ حَدِيثِ الدَّائِرَةِ): 1994- (أَسْفَارٌ مِنْ نَبْوَةِ الْمَوْتِ الْمُحِبِّ): 1996- (سِيرَةُ الْمَاءِ): 1998- (الرَّغَامُ): 2000- (مُعْجَمُ الْغَيْنِ): 2002- (النَّشِيدَةُ): 2003- (شَجَن): 2004- (مُهْمَلٌ تَسْتَدْلُونَ عَلَيْهِ بِظُلٍّ): 2007، وَلَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَعْمَالِ النَّقْدِيَّةِ ، وَمِنْهَا: (مُقَدِّمَةٌ إِلَى نَمُودَجِ النَّوْعِ النَّوِيِّ : نَحْوُ مَدْخَلِ تَوْحِيدِيٍّ إِلَى حَقْلِ الشَّعْرِيَّاتِ الْمَقَارَنَةِ) ، وَمِنْ تَرْجُمَاتِهِ: (الشَّعْرُ الْمَجْرِيُّ الْمَعَاوِرُ : شُعْرَاءُ السَّبْعِيْنِيَّاتِ).

عَلِي مَنصُور

وُلِدَ فِي شَبِينِ الْقَنَاطِرِ، فِي دِيْسَمْبَرِ 1956، وَحَصَلَ عَلَى بَكَالَوْرِيُوسِ الصَّيْدَلَةِ ، مِنْ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ 1979، كَمَا حَصَلَ عَلَى الْمَاجِسْتِيرِ فِي الصَّيْدَلَةِ ، أَقَامَ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ بِالْكُوَيْتِ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَقَرَّ بِالقَاهِرَةِ ، بَدَأَ بِشَعْرِ التَّفْعِيلَةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ - مَعَ شُعْرَاءِ جِيلِهِ - فِي مَطَالَعِ تَسْعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي إِلَى مَشْهَدِ قَصِيدَةِ النَّثْرِ - أَصْدَرَ الدَّوَاوِينَ الْآتِيَةَ: (الْفُقْرَاءُ يَنْهَزُمُونَ فِي تَجْرِبَةِ الْعِشْقِ): 1990- (وَرْدَةُ الْكِيْمِيَاءِ الْجَمِيلَةِ): 1993- (عَلَى بُعْدِ خُطْوَةٍ): 1993- (ثَمَّةٌ مُوسِيقِي تَنْزِلُ السَّلَالِمَ): 1995- (عَصَافِيرُ خَضْرَاءَ قُرْبَ بَحِيرَةٍ صَافِيَةٍ): 1998- (عَشْرُ نَجْمَاتٍ لِمَسَاءٍ وَحِيدٍ): 2002- (خِيَالُ مُرَاهِقٍ): 2003- (الشَّيْخُ): 2005- (فِي مَدِيحِ شَجَرَةِ الصَّبَارِ): 2008.

عِمَادُ أَبُو صَالِح

وُلِدَ بإحدى قُرى مَدِينَةِ المنصُورَةِ ، في ديسَمبر 1967 ، انتقلَ إلى القَاهِرَةِ مُنذُ سبتمبر 1991 ، بدأ نَشْرَ أشعاره مُنذُ عام 1995 ، في طبعاتٍ شَعْبِيَّةٍ وَمَحْدُودَةٍ ، أُتِيحَ لَهَا الاِنتِشَارُ بَعْدَ نَشْرِهَا الكَترُونِيًّا ، وَدَوَاوِينُهُ هِيَ: (أُمُورٌ مُنْتَهِيَةٌ أَصْلًا): 1995 - (كَلْبٌ يَنْبُحُ لِيَقْتُلَ الوَاقِت): 1996 - (عَجُوزٌ تُؤَلِّمُهُ الضَّحَكَاتُ): 1997 - (أَنَا خَائِفٌ): 1998 - (قُبُورٌ وَاسِعَةٌ): 1999 - (مُهَنْدِسُ العَالَمِ): 2002 - (جَمَالٌ كَافِرٌ): 2005 .

فتحي عبد الله

فتحي عبد الله إبراهيم بدر الدين ، وُلِدَ في رَمْلَةِ الأَنْجَبِ ، مركز أشمون ، بِمَحَافِظَةِ المَنُوفِيَّةِ ، في عام 1957 ، تَخَرَّجَ في كَلِيَّةِ دارِ العُلُومِ ، بِجَامِعَةِ القَاهِرَةِ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى العِرَاقِ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ ، ثُمَّ عَادَ لِيَعْمَلَ في الهِئَةِ المِصْرِيَّةِ العَامَةِ لِلكِتَابِ ، مُحَرِّرًا بِمَجَلَّةِ (القَاهِرَةِ) ، ثُمَّ مَدِيرًا لِتَحْرِيرِ سِلْسِلَةٍ: كِتَابَاتٍ جَدِيدَةٍ؛ الصَّادِرَةِ عَن نَفْسِهَا الهِئَةِ ، كَمَا أَشْرَفَ عَلَى تَحْرِيرِ الصَّفْحَةِ الثَّقَافِيَّةِ بِجَرِيدَةِ: المِصْرِي اليَومِ .
صَدَرَ لَهُ: (رَاعِي المِيَاهِ): 1993 - (سَعَادَةٌ مُتَأَخِّرَةٌ): 1998 - (مُوسِيقِيُونَ لِأَدْوَارٍ صَغِيرَةٍ): 2001 - (أَثَرُ البُكَاءِ): 2004 - (الرَّسَائِلُ عَادَةً لَا تَذْكُرُ المَوْتَى): 2007 .

فريد أبو سَعْدَه

وُلِدَ في مَدِينَةِ المَحَلَّةِ الكُبْرَى ، في نَوفَمبر 1946 ، وَتَخَرَّجَ في كَلِيَّةِ الفَنُونِ التَّطْبِيقِيَّةِ ، جَامِعَةِ حُلُوانِ عَامَ 1972 ، ثُمَّ حَصَلَ عَلَى دِبلُومِ الدِّرَاسَاتِ العُلْيَا في الصَّحَافَةِ وَالنَّشْرِ بِكَلِيَّةِ الإِعلامِ في عَامَ 1981 ، وَعَمِلَ سَكْرَتِيرًا لِتَحْرِيرِ مَجَلَّةِ: (الْمَنْهَلِ) السُّعُودِيَّةِ فِيمَا بَيْنَ عَامِي (1982 - 1987) ، وَحِينَئِذٍ عَادَ إِلَى مِصْرَ رَأْسَ الْقِسْمِ الفَنِيِّ بِمُؤَسَّسَةِ دَارِ المَعَارِفِ ، لَهُ الدَّوَاوِينُ الآتِيَةُ : (السَّفَرُ إِلَى مَنَابِتِ الأنْهَارِ): 1985 - (وَرْدَةُ الطَّوَاسِينِ): 1998 - (الغَزَالَةُ تَقْفُزُ في النَّارِ): 1990 - (وَرْدَةُ القَيْظِ): 1993 - (ذَاكِرَةُ الوَعْلِ): 1996 - (طَائِرُ الكَحُولِ): 1998 - (معلقة بشص): 1998 - (جَلِيسٌ لِمَحْتَضَرٍ): 2001 - وَقَدْ حَصَلَ عَلَى جَائِزَةِ الدَّوَلَةِ التَّشْجِيعِيَّةِ عَامَ 1993 ، عَن دِيوانِ (وَرْدَةُ القَيْظِ) ، وَلَهُ مَسْرُحِيَّاتٌ شِعْرِيَّةٌ مِنْهَا: (حَيَوَانَاتُ اللَّيْلِ): 1995 - (عِنْدَمَا تَرْتَفِعُ الهَارْمُونِيكا): 1996 - (سَمَاءٌ عَلَى طَاوِلَةٍ): 2003 - (سِيرَةٌ ذَاتِيَّةٌ لِمَلَاكٍ): 2008 - (مُكَاشَفَتِي لِشَيْخِ الوَقْتِ): 2009 .

كريم عبد السلام

وُلِدَ في المنصورة ، في عام 1967 ، حَصَلَ على بكالوريوس الإعلام مِنْ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ ، عَمِلَ بِالصَّحَافَةِ الْأَدَبِيَّةِ ، مُحرِّرًا بِمَجَلَّةٍ: (القاهرة)، ثُمَّ نَائِبًا لرئيس تحرير مجلَّة: (سطور)، ثُمَّ محرِّرًا في صحيفَة: (اليوم السابع)، وَقَدْ حَرَّرَ مجلَّة: (شعر) المتخصصة في قصيدة النثر ؛ فأصدرَ منها عددين، وأصدرَ الدَّواوين الآتية: (استثناس الفراغ): 1993- (بين رجفة وأخرى): 1996 - (باتجاه ليلنا الأصلي): 1997 - (فتاة وصبي في المدافن): 1999- (نائم في الجوراسيك بارك): 1999- (مريم المرحلة): 2004.

مؤمن سمير

وُلِدَ في المملكة العربية السعودية ، في عام 1975 ، تَرَاوَحَتْ إقامته بين بني سويف وبور سعيد ، ثُمَّ انتقلَ إلى بني سويف ؛ حيثُ يعملُ مُحامياً بها ، أصدرَ الدَّواوين الآتية: (بورتريه أخير لكونشرتو العنمة): 1998- (هواء جاف يجرح الملامح): 2000- (غاية النشوة): 2001- (بهجة الاحتضار): 2003- (السريون القدماء): 2003- (ممر عميان الحروب): 2005- (تفكيك السعادة): 2009.

محمد آدم

وُلِدَ في قرية تلبنات إبشيش بمركز الباجور ، بمحافظة المنوفية ، في عام 1954، وتخرج في كليَّة الآداب جامعة عين شمس ، قِسِمَ الفلسفة ، بدأ بِشعر التفعيلة ، وسرعان ما تركه إلى مشهد قصيدة النثر ، أصدرَ الأعمال الشعرية الآتية: (متاهة الجسد): 1988- (كتاب الوقت والعبارة): 1992- (أنا بهاء الجسد واكتِمالات الدائرة): 1992- (هكذا عن حقيقة الكائن وعزله أيضاً): 1995- (حجر وماس): 2002- (نشيد آدم): 2003- (كل هذا الليل): 2007، وصدرت أعماله الشعرية الكاملة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، في عام 2008.

محمّد الماغوط

وُلِدَ في مدينة سَلَمِيّة ، بمحافظة حماة السُورِيّة ، في عام 1934 ، وانتَقَلَ مِنْ سَلَمِيّة إلى دِمَشق ، فيروت ، لم يُكَمِلْ دِرَاسَتَهُ النِّظامِيّة ، وَلَكِنَّهُ اعْتَمَدَ على ثقافته وموهبته الفطريّة ؛ الّتي لَفَتَتْ إِلَيْهِ الانتباهَ بِسرعة ، كانت قصائده الأولى ؛ الّتي نَشَرَهَا في عام 1958 ، وَشَكَّلَتْ مُعْظَمَ دِيوانِهِ الأوّل ، السَّنَدَ الأساسَ أمامَ شُعراءِ مَجَلَّة (شعر) اللبناييّة ، لِلتَّرويحِ لِقَصِيدَةِ النَّثرِ في الأدبِ العَرَبِيِّ ، والدِّفاعِ عَنْهَا . كَتَبَ القَصِيدَةَ النَّثْرِيّة ، والمسرحيّة ، والرَّوَايَةَ ، وسيناريو الفيلم ، والمسلسلَ التِّلْفِزيونيّ ، وأَعْمَالُهُ الشَّعْرِيّةُ هِيَ : (حُزْنٌ في ضَوْءِ القَمَر) : 1959 - (غُرْفَةٌ بِمَلايِينِ الجَدْرَانِ) : 1966 - (الْفَرْحُ لَيْسَ بِمَهْنَتِي) : 1970 ، وَمِنْ مَسْرُحِيَّاتِهِ : (العُصفُورُ الأَحَدُ) : 1960 - (المهرج) : 1998 - (ضِيَعَةُ تَشْرِينَ) ، لم تُطْبَعْ وَتُثِّلَتْ في عام 1973 - (غُرْبَةٌ) ، لم تُطْبَعْ ، وَتُثِّلَتْ في عام 1974 ، وَمِنْ السِّينَارِيُوهَاتِ الّتي أَنْجَزَهَا سِينَارِيُو فيلم (الحدود) ، وسيناريو فيلم (التَّقْرِير) ، وَتُوفِّيَ في 3 من أبريل 2006 .

محمّد صالح

وُلِدَ في قرية مَنِيّة شتتا عِيَّاش بِمحافظة الغريّة ، في الخامسِ مِنْ أبريل 1942 ، وَكَانَ في الخامسَةِ مِنْ عُمُرِهِ حِينَ تُوفِّيَ أبُوهُ بِدَاءِ الكُولِيرا ، في عام 1947 ، ثُمَّ تُوفِّيَتْ أُمُّهُ ، في اليَوْمِ التَّالِي ؛ نَتِيجَةً لِحَمَى النَّفَاسِ ، بَعْدَ انْتِهَائِهِ مِنَ المَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ ، في مدينة المحلّة الكُبرى ، التَّحَقَّ بِكُلِّيَةِ الآدَابِ قِسمِ الدِّرَاسَاتِ اليُونَانِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ القَدِيمَةِ ، بِجامعَةِ القَاهِرَةِ ، وَأُلْحِقَ بِالْجِيْشِ في هَذِهِ المَرَحَلَةِ ؛ حَيْثُ شَارَكَ في حَرْبِ اليَمَنِ بَيْنَ عَامَي 1962-1963 ، ثُمَّ عَادَ إلى الدِّرَاسَةِ في كُلِّيَةِ الآدَابِ جَامِعَةِ عَيْنِ شَمْسٍ قِسمِ الفَلَسَفَةِ ، وَبَعْدَ تَخْرُجِهِ عَمِلَ في قِطَاعِ المَضَارِبِ والمَطَا حِينَ والمَخَابِرِ في القَاهِرَةِ ، وَفي عام 1978 سَافَرَ إلى المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ؛ لِيَعْمَلَ في مُؤَسَّسَةِ المَدِينَةِ لِلصَّحَافَةِ بِجَدَّة ، ثُمَّ عَادَ لِيَسْتَقِرَّ بِالقَاهِرَةِ ، في عام 1987 ، بَدَأَ بِقَصِيدَةِ التَّفْعِيلَةِ ؛ في دِيوانِهِ : (الوطنُ الجَمْرُ) : 1984 ، وَبَعْضَ دِيوانِهِ الثَّانِي : (خَطُّ الزَّوَالِ) : 1992 ، ثُمَّ صَفَّتْ تَجربَتُهُ تَمَامًا لِقَصِيدَةِ النَّثرِ ، وَقَدَّمَ فِيهَا : (صَيْدُ الفَرَّاشَاتِ) : 1996 - (حَيَاةٌ عَادِيَّةٌ) : 2000 - (مِثْلُ غَرِيَانٍ سُوْدٍ) : 2008 - (لَا شَيْءَ يَدُلُّ) : 2009 . تُوفِّيَ في الثَّانِي مِنْ دِيسَمْبَر ، بَعْدَ صِرَاعٍ قَصِيرٍ مَعَ المَرَضِ .

محمّد متولي

وُلِدَ في القَاهِرَة ، في عام 1970، وَتَخَرَّجَ في كُليَّة الآداب ، قِسم اللُغة الإنجليزِيَّة في عام 1992، وَفي العامِ نَفْسِه فَازَ بجائزة يوسف الخال ؛عَنْ دِيوانِه:(حَدَثَ ذَاتَ مَرَّةً أَنْ...)، شَارَكَ الشَّاعِرَ أحمد طه في إصدارِ مجلَّة(الجراد) ، وَنَشَرَ ضِمْنَ مَطْبُوعَاتِهَا ، دِيوانُهُ الثَّاني:(القِصَّةُ الَّتِي يُرَدِّدُهَا النَّاسُ في هَذَا المَساءِ):1998، ثُمَّ سافَرَ إلى الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمريكيَّةِ ، ثُمَّ عادَ ، وَأصدرَ دِيوانَ:(الثُّرَعاتُ المفقودة):2010.

محمود عبد الله

وُلِدَ في بني سويف ، في عام 1978، وَحَصَلَ على ليسانسِ الآدابِ ، قِسم الاجتماعِ ، صدرَ لَهُ دِيوانٌ:(لقطة باردة):2002.

منعم الفقير

وُلِدَ في بغداد ، في عام 1953، وَهَاجَرَ إلى الدَّنمارك ، وَفيها حَرَّرَ مجلَّة (السُّنونو) الأدبيَّة بالعربيَّة والدَّنماركيَّة ، صدرَ لَهُ في دِمَشقَ دِيوانانِ ، هُما:(بعيدًا عنه):1983- (المختلِف): 1986، وَصدرَ لَهُ في كُوبنهاجن:(أُسئلةٌ عقل):1990- (أثرٌ على ماء):1991- ، وَصدرَتْ لَهُ بمِصرَ، مختاراتُهُ مِنْ هَذِهِ الدَّواوينِ تحتَ عنوان:(اللوعَاتُ الأربعة):1994، ثُمَّ دِيوان:(خَواصُّ خَاسِرَة):1997.

هُدَى حُسَيْن

وُلِدَتْ في عام 1972، حَصَلَتْ على ليسانسِ الآدابِ ، مِنْ قِسمِ اللُغة الفَرَنسيَّةِ ، جامِعة القَاهِرَة في عام 1993، تَكُتِبُ الشَّعْرَ والرَّوَايَةَ ، صدرَ لَهَا شِعْرًا:(لِيَكُنْ):1996-(فِيما مَضَى):1998-(عِشْوائِيَّة):2000- (أَقْبَعَةُ الوُرْدَة):2002- (نَحْنُ المِجانينُ): 2006- (خَريطَةُ الذَّاتِ): 2008، وَروايَةُ:(دَرْسُ الأُميِّيا):1998، وَتُرجمَتْ رِوايةٌ لآني أرنو بِعنوان:(امْرَأَةٌ وَعِشْقٌ بَسِيطٌ) ، وَروايَةُ لفرنك بيجو بِعنوان:(وَضَعُ حَدًّا).

وديع سعادة

وُلِدَ في لبنان، في عام 1948، وَهَاجَرَ إِلَى أستراليا ، وَيَقِيمُ في سيدني ، مُنْذُ أواخر 1988 ، أَصْدَرَ الأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةَ الآتِيَةَ: (لَيْسَ لِلْمَسَاءِ أَخُوَّةٌ): 1981 - (المِياهُ المِياهُ): 1983- (رَجُلٌ في هَوَاءٍ مُسْتَعْمَلٍ يَقْعُدُ وَيُفَكِّرُ في الحَيَوَانَاتِ): 1985- (مَقْعَدُ رَاكِبٍ غَادَرَ الباصِ): 1987- (بِسَبَبِ غَيْمَةٍ عَلَى الأَرْجَحِ): 1992 - (محاوَلَةُ وَصْلِ صَفَّتَيْنِ بِصَوْتٍ): 1997 - (نَصُّ الغِيَابِ): 1999- (غُبَارٌ): 2001- (رُتْقُ الهَوَاءِ): 2006- (تَرْكِيبُ آخِرٍ لِحَيَاةٍ وَدِيعِ سَعَادَةٍ): 2006- (مَنْ أَخَذَ النَّظْرَةَ الَّتِي تَرَكَتْهَا أَمَامَ البابِ) - (قُلْ لِلْعَابِرِ أَنْ يَعُودَ نَسِيَ ظِلَّهُ) .

ياسر عبد اللطيف

وُلِدَ في القَاهِرَةِ، في عام 1969، وَحَصَلَ عَلَى ليسانسِ الآدابِ ، في الفَلَسْفَةِ ، مِنْ كُليَّةِ الآدابِ ، بِجامعَةِ القَاهِرَةِ في عام 1994، عَمِلَ بِالتَّليْفِ المِصْرِيِّ ، أَصْدَرَ دِيوَانَهُ الأوَّلَ: (ناسٌ وَأَخْجَارٌ): 1995 ، ثُمَّ أَصْدَرَ رِوايةً: (قانون الوراثة): 2000، وَلَهُ قَيْدُ الإِصْدَارِ دِيوَانٌ آخَرٌ ،عنوانُهُ المقترحُ : (مَسامِيرُ في جَسَدِ مَدِينَةٍ).

يحيى جابر

وُلِدَ في لبنان ، في عام 1961، عَمِلَ بِالصَّحَافَةِ وَبِالمِسرَحِ ، وَأَصْدَرَ الدَّواوِينَ الآتِيَةَ: (بحيرة المِصْلِ): 1988 - (الرُّعْرانُ): 1991- (خُذْ الكِتابَ بِقُوَّةٍ): 1994 - (كَأَنِّي امْرَأَةٌ مُطَلَّقة): 2007 ، وَفي الأَدَبِ وَالصَّحَافَةِ أَصْدَرَ : (نَجْوَمُ الطُّهْرِ): 1995 - (عَوَاصِمُ مِنْ خَطَأٍ): 1998- (بلادي): 1997- (كَلِمَاتُ سَيِّئَةِ السُّمْعَةِ): 2001 ، وَفي المِسرَحِ أَصْدَرَ : (ابتسِمِ أَنْتَ لِبَنانِي): 1997، (يا لا يا طَلَقَ عِلْقَ) وَفي الأَدَبِ السِّيَاسِيِّ أَصْدَرَ: (رفيق 14 شباط) ، (قمر 14 آذار).

أَعْمَالُ الْكَاتِبِ

أَعْمَالُ شِعْرِيَّةٍ

- 1- عُزْلَةُ الْإِنْقَاضِ، طبعة أولى، 1994.
- 2- لَا تُطْفِئِ الْعُتَمَةَ، طبعة أولى، 1996.
- 3- مَجْرَةُ التَّهَيَّاتِ، طبعة أولى، 1992.
- 4- الْجَنَّةُ الْأُولَى، طبعة أولى، 2001.
- 5- حَيَوَاتٌ مُفْقُودَةٌ، طبعة أولى، 2003، 2010.
- 6- أَنْتَ أَيُّهَا السَّهْوُ، أَنْتَ يَا مَهَبَّ الْعَائِلَةِ الْأَخِيرَةِ، 2012.

أَعْمَالُ نَقْدِيَّةٍ

- 1- قَصِيدَةُ النَّشْرِ، فِي مَشْهَدِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، 2010.
- 2- شِعْرُ النَّشْرِ الْعَرَبِيِّ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، 2010.
- 3- آفَاقُ الشَّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَدِيدَةِ فِي قَصِيدَةِ النَّشْرِ، 2011.

- 4- الأشكال النثرية في الأدب العربي، 2014 .
- 5- قصيدة النثر المصرية: شعريات المشهد الجديد، 2014 .
- 6- تحولات القصيدة عبر العصور .
- 7- أفق الخطاب الشعري الجديد في قصيدة العامية المصرية .